



اتحاد القتايم العربيم  
دمشق

# الحركة الأدبية في دمشق

1918 - 1800

د. اسكندر لوقا  
دراسة





اتحاد الحدايم العربي  
دمشق



دمشق 2008  
Damascus 2008  
عاصمة الثقافة العربية  
Arab Capital of Culture

طبع بمناسبة احتفالية  
دمشق عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٨

السعر داخل القطر : ١٨٠ ل.س  
خارج القطر : ٣٠٠ ل.س

محمد بنديرة الدين الأيوبي

الهيئة الأدبية  
فجدة دمشق

الحقوق كافة  
محمولة  
لاتحاد الكتاب العرب

البريد الإلكتروني: [net.sy@vunecri](mailto:net.sy@vunecri)

[aru@net.sy](mailto:aru@net.sy)

موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت

<http://www.awu.dam.org>

الإخراج الفني: سنديا عثمان

وفاء الساطي

تصميم الخلف: محمد بدر الدين الأيوبي



الدكتور: اسكندر لوقاً

# الهرقة الأدبية فج دمشق

1918 - 1800

طبعة خاصة

في مناسبة إعلان دمشق عاصمة

للثقافة العربية

2008

منشورات اتحاد الكتاب العرب

دمشق



## الإهداء

إلى نروحي التي عايشتني ظروف إنجاز هذه الدراسة،  
بكل ما في قلبها الواسع من محبة، وحنو، وقدرة على التضحية  
من أجل غدٍ لا يتوقف.

إلى أولادي الأربعة، الذين أردتُ أن أقول لهم، إن شباب  
العقل، هو الشباب الحقيقي، الدائم، للإنسان.

"المؤلف"





## ● على عتبة الدراسة :

لنعترف، أولاً، أن دراستنا للحركة الأدبية في دمشق (1800 - 1918)، إنما هي دراسة استكشافية، وإن غلب التحليل والتعليل في بعض فصولها.

ولنعترف، أيضاً، أننا مذ خطونا فيها، كنا كمن يقتحم ظلمات مغارة مهجورة منذ وقت طويل. فباستثناء بعض البؤر الضوئية في جدرانها، فثمة ظلام حقيقي ظل يغلف دمشق، أديباً، خلال معظم القرن التاسع عشر.

وفي اعتقادنا، أن خلو المكتبة العربية، من مؤلف، يحدد موقع دمشق، من إطار الحركة الأدبية النامية في عدد من مدن السلطنة الرئيسية، كبيروت والقاهرة، راجع إلى صعوبة الوصول إلى تلك البؤر، وتحمل مشاق السير في هذا السبيل. فضلاً عن ذلك، القناعات التي تتشكل لدى الدارس، من حين إلى آخر، بعدم جدوى البحث عن الضوء في قلب الظلام.

ولسنا ننكر أننا تعرضنا، في بداية الطريق، إلى مثل هذا الموقف. إلا أن ما أولانا به أستاذنا الكبير، الدكتور جبور عبد النور، من عطف ورعاية، حفزنا على مثابرة البحث، والاستقصاء، إلى أن اكتملت بين أيدينا مبررات عرض الدراسة على القارئ.

وقد عمدنا، كي تكون دراستنا منهجية، بالقدر الذي تستوعبه محاولة متواضعة أولى كهذه المحاولة، إلى وضعها في إطارها السياسي والاقتصادي والاجتماعي. وقمنا بذلك، بما أمكننا من إيجاز، حتى لا تخرج الدراسة عن أغراضها. ومن ثم، عرضنا لمنابع الثقافة، فاستكملنا أسباب الحديث عن التيارات الأدبية، فنونها وموضوعاتها.

إن بقاء الحركة الأدبية في دمشق، حتى زمن متأخر من القرن التاسع عشر، مطوقة تراثاً إسلامياً من جهة، وعثمانياً من جهة ثانية، طبع فكرها، ولفترة قرون،

بطابع الارتداد إلى السلف، أو الوقوف في المكان، دونما تطلع إلى ما وراء الأسوار، حيث بلغ الفكر الأوروبي ما بلغه من شأن في التألق والإشراق، منذ القرن الثامن عشر. ومن هنا، من الإحساس بضرورة مواكبة الفكر المعاصر، كانت بداية الصراع الأدبي في البيئة الشامية عموماً، والدمشقية خصوصاً، الذي اصطبغت به مرحلة السبعينات وما بعد من القرن التاسع عشر.

فحتى ذلك الحين، لم يكن لأدباء دمشق من غرض فكري، سوى التكيّف مع معطيات السلف، تقليداً أو ترديداً أو محاكاة. ولم تسجل السنوات الممتدة بين 1800 و1875، ظاهرة أدبية تتجاوز هذا الطابع، باستثناء سنوات الحملة المصرية على الشام (1831 - 1840)، كما سنرى، ما أسهم، عملياً، في غلبة اتجاه أدبي عريض، له أنصاره ومريدوه. وقد أسميناه بالاتجاه السكوني، دلالة على تمسكه بالواقع، ودفاعاً عنه ضد أيّ اتجاه دخيل يفد إلى البلاد من خارجها. وقد كان لرسوخ هذا الاتجاه، وعميق تأثيره، ما جعله ينسحب حتى نهاية العهد العثماني.

وبعد عام 1875، وبفعل عدة عوامل، منها توافر وسائل التعبير، كالمطبعة والصحيفة والمسرح، بضرورة مواكبة الفكر المعاصر، كانت بداية الصراع الأدبي في البيئة الشامية عموماً، والدمشقية خصوصاً، الذي اصطبغت به مرحلة السبعينات وما بعد من القرن التاسع عشر.

فحتى ذلك الحين، لم يكن لأدباء دمشق من غرض فكري، سوى التكيّف مع معطيات السلف، تقليداً أو ترديداً أو محاكاة. ولم تسجل السنوات الممتدة بين 1800 و1875، ظاهرة أدبية تتجاوز هذا الطابع، باستثناء سنوات الحملة المصرية على الشام (1831 - 1840)، كما سنرى، مما أسهم، عملياً، في غلبة اتجاه أدبي عريض، له أنصاره ومريدوه.

وقد أسميناه بالاتجاه السكوني، دلالة على تمسكه بالواقع، ودفاعاً عنه ضد أيّ اتجاه دخيل يفد إلى البلاد من خارجها. وقد كان لرسوخ هذا الاتجاه، وعميق تأثيره، ما جعله ينسحب حتى نهاية العهد العثماني.

وبعد عام 1875، وبفعل عدة عوامل، منها توافر وسائل التعبير، كالمطبعة والصحيفة والمسرح، بدأت تتبلور في ربوع دمشق، كما في باقي مدن الولايات

السورية، اتجاهات أدبية جديدة، كالاتجاه الانتقائي، والاتجاه المستقبلي. وكان لاتصال بعض أدباء دمشق، بأقرانهم من أدباء القاهرة وبيروت، في زمن الحملة المصرية وبعدها، دوره في وضع أساسات هذين الاتجاهين، كمظهر من مظاهر رفض الواقع، وتجاوز مقولاته الفكرية. فتولدت عن الاتجاه الانتقائي، موضوعات تتصل بالرغبة في تغيير الأوضاع، واختيار الصيغ الأكثر ملاءمة لتعامل السلطة مع أبناء رعيته، سياسياً ودينياً وإدارياً. وفي هذا الصدد، كان لتزمت الحكم العثماني، ومعاداته لدعاة الاتجاه، أثره المباشر في نشأة الاتجاه المستقبلي. ومن خلال هذا الاتجاه، اندفع بعض أدباء دمشق، إلى حد المطالبة بانفصال الأقطار العربية عن جسم السلطنة. حتى أن قسماً منهم، فضل الارتقاء في أحضان الغربيين، على قبول سياسة العثمينة، أو التتريك، وهي السياسة التي مارسها غلاة العثمانيين في أواخر عهد العزب بهم.

وفيما احتضن الاتجاه السكوني الحنين إلى الماضي، واحتضن الاتجاه الانتقائي الأمل في واقع أفضل، احتضن الاتجاه المستقبلي تطلمات الغد. وكانت الغلبة في النهاية. ذلك ما سنلاحظه في سياق استعراضنا للقضايا الفكرية التي نتجت عن هذه الاتجاهات الثلاثة، من فنون وموضوعات تقليدية، إلى أخرى جديدة ومستحدثة.

\* \* \*

ورأينا، استكمالاً للفائدة، أن نرفق دراستنا هذه بفهرس لأعلام الفترة من الأدباء الدمشقيين (1718 - 1976)، وردت ترجماتهم وفق الترتيب الهجائي، وما أنتجوه خلال سنوات حياتهم من مؤلفات مخطوطة أو مطبوعة، كما أرفقناها بعدد وافٍ من الملاحق، توضيحاً للوقوعات المختلفة في تاريخ دمشق وأدبائها، وما يقابل بعض الألفاظ العثمانية في اللغة العربية، لتكون بين أيدي الدارسين من أبناء جيلنا.

\* \* \*

وبعد ، فإننا مدينون بهذه الدراسة ، بما فيها من مؤشرات تستدعي القيام بمزيد من البحث والتقصي ، لإغنائها ، إلى الإنسان الذي أحبيناه في شخص الأستاذ الدكتور جبور عبد النور. فقد قادنا ، ببصيرته النافذة ، وفكره المتفتح ، عبر منعطفات الدرب إلى أعماق المغارة المهجورة ، فكان الضوء نفسه ، وكانت هذه البؤرة الضوئية في حياة دمشق الأدبية خلال القرن التاسع عشر وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى.

دمشق ، 1976

"د. إسكندر لوقا"



## المقدمة

استكشاف الفلِزات التي تكون معدنَ أديبٍ محدود مكانياً وزمناً ومادياً أمر في غاية الصعوبة، إن لم يكن مستحيلاً مهما اصطنعنا من أساليب البحث البيئي أو البيئوي أو التحليل النفسي، فكيف بنا إذا طمحننا إلى معرفة الفلِزات التي دخلت في تركيب مدينة عظيمة في ماضيها وحاضرها، كمدينة دمشق، تراكم فيها التراث العربي والإسلامي جيلاً بعد جيل، وتفاعلت عناصره في صراع مستمر، متصف حيناً بالبرودة العلمية، ومتفجر أحياناً في عنف البراكين!

مع ذلك فصديقي السيد إسكندر لوقا قد تصدّى لهذا العمل، ومثل أمامنا محاسبته على هذه الجرأة، بل هذه المغامرة الرهيبة.

\* \* \*

مع ما كان يفصل الحواضر العربية في القرن التاسع عشر من أبعاد، ومع ما كانت محاولة العثمانيين شرسة في تقطيع العلائق بينها، فإنها، كلها، من تونس، إلى القاهرة، إلى بيروت، إلى دمشق، إلى حلب، إلى بغداد... كانت تمر في أخطر مرحلة من مراحل وجودها.

الغرب، بعد تعرضه سنة 1683 للانهيال أمام الجحافل العثمانية التي دقت أبواب فيينا، كان قد تطور خلال قرن ونصف القرن تطوراً مذهلاً، في جميع مرافق حياته، عسكرياً واقتصادياً واجتماعياً وسياسياً، وانتقل من الدفاع إلى الهجوم. أفتك ما استعمل من أسلحة: تقنية متطورة، وفهم واقعي لطبيعة الإنسان وعلاقته بربه وحاكمه، وسنن عقلية تنتظم فيها طبقات الشعوب لتأخذ حظها من الحياة.

كيف يتسنى للفكر العربي آنذاك هضم هذه الحضارة الجديدة؟ وكيف يقوى على مجابقتها؟ وما السلاح الذي يتصدى به للغزو والاجتياح؟

كما كان سلاح الماليك في مصر غير متكافئ مع مدفعية بونابرت وخططه الحربية، كذلك كان الفكر العربي في تلك المرحلة بالذات، وبالتالي الأدب المعبر عنه، عاجزاً كل العجز عن إدراك حقيقة ما يجري حوله، أو بالأحرى حقيقة الأحداث، فعالج الدُّوار الذي أصابه بالتمسك بما بين يديه من ثوابت ماضيه، وهكذا آل ضياعه في المجابهة المفاجئة إلى تشبث عنيد بعاداته وأساليبه في المحاكمة والتعبير.

الارتداد إلى السلف في موقف الفكر الدمشقي وأداته الأدبية هو إذاً شبيه بموقف الفكر العربي ككله، على اختلاف منازلها، وناتج عن بواعث جذرية غير واعية، أو مدركة تمام الإدراك للخطر الذي تتعرض له، أهمها:

1 - عقابيل الحروب الصليبية، أو كما نقول في تعبيرنا الصحفي اليوم، آثار العدوان.

2 - الاحتكاك الماركنتيليّ خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر بجشع التجار الغربيين، واتصاف فئات من هؤلاء بروح القرصنة في الحصول بأبجس الأثمان في إنتاج من سموهم المشاركة.

3 - توثب الاستعمار الغربي في أفريقيا وآسيا، ولاسيما في البلدان العربية ومحاولته، حسب تخطيط دقيق، تدمير مقومات الشخصية الإسلامية والعربية وطمس معالمها.

4 - إثارة أذهان الشعوب الغربية ضد الشرق وإعدادها نفسياً وعملياً للقيام بحملة استعمارية شاملة، الغاية منها استثمار خيرات الأرض وسواعد السكان.

كان من المحتّمات على هذا الفكر، في مثل هذه المأساة التي يعاصرها ويعيشها، أن يتخذ موقفاً واضحاً يؤدي إلى:

- الدفاع عن الحياة أمام الموجات الاستعمارية الكاسحة فكراً وأرضاً.
- الحرص على المجتمع في مفهومه التقليدي بحيث أن كل خلخلة فيه تؤدي إلى تفجر شبيه بتفجر الذرة إذا شطرنها وبدلنا في نظام جزئياتها.

- المحافظة على المضامين الاجتماعية السُّكونية لأن القضايا الطبَّية والإيمانية والمدنية مصوغة في حلول مسلّم بها، أو مفروضة فرضاً عقدياً.

الإبانة عن هذه الرؤية، وإبراز الهموم العاصفة بأذهان الأدباء الدمشقيين ومفكرها، والمدى الذي بلغوه في الدفاع عما ارتضوه من كيان.. كل هذا أبرزه السيد لوقا في قسم مهم من رسالته، مشيراً، في إفاضة حيناً، وفي إيجاز أحياناً، إلى الخيوط الدقيقة التي نسجت منها قماشة الأدب آنذاك. وبهذا كان له على الدراسات الأدبية والفكرية والدمشقية يدٌ ندية وفضل مشكور.

\* \* \*

إن طواعيةَ الذهن العربي، في جميع أطواره، واستعداده للتكيف والأخذ والعطاء، وقابليته لتحدي المستحدثات، وسواها من ملكاته الكامنة، أدت، بعد الصدمة الأولى، إلى ظهور تيارات متفتحة على الجديد الغربي، متفحصه له، محاكمةً لمنجزاته، آخذةً منه ما يوائم بيتها، مقتبسة في حذر مدروس، ما يؤدي إلى تحولات في مفاهيم الأدب وفي فنونه وموضوعاته وأساليبه.

كان على الأديب أو المفكر الدمشقي أن يخوض المعترك الجديد، وأن يتمثل الغذاء الدخيل ليُجره في عروقه بعد أن يحوله إلى دم موافق لجسمه. وكان من ذلك ازدهار ربيع أدبي في شتى الميادين بحيث جارت مدينة دمشق الحاضرتين العرييتين القاهرة وبيروت في اقتحام عوالم الصحافة والقصة والأقصوصة والتمثيلية والأبحاث الفلسفية والاجتماعية والسياسية، وكل ما تكمن فيه عناصر اليقظة والمجتمع الجديد.

\* \* \*

أقبل السيد إسكندر لوقا على مدينته بقلبه وفكره معاً، فاستجلى في القسم الآخر من رسالته عملية التبدل والتحول في أدبها، وعلل بواعثه، وبين مظاهره، وغاص على نصوص الكتاب، ووقف على القديم من الصحف، وعلى المخطوط من المصنفات. وأوضح لنا، في رصانة الباحث وحماسة المحب، حظ هذه المدينة الأثيرة لدينا، من التجديد والإبداع إلى سنة 1918، متحرراً في معظم ما قال من مرض العصر في الادعاء وتوريم الذات والنظر إليها بالمناظر المكبرة. وهي صفة من أراد السير في طريق البحث الشاق، وروض نفسه على بلوغ اللب وإن كان دونه صبر وعناء.<sup>(1)</sup>

---

<sup>(1)</sup> نص الكلمة التي مهد بها الأستاذ المشرف على الرسالة الدكتور جبور عبد النور لجلسة المناقشة يوم 10 تموز 1975، في معهد الآداب الشرقية بجامعة القديس يوسف في بيروت.



## الفصل الأول

### خلفيات الحركة الأدبية

الفترة التي تحدد إطار دراستنا هذه - وهي مئة وثمانية عشرة سنة - هي ، في الوقت نفسه ، السنوات التي يندرج تحتها ، من حيث الواقع ، القرن التاسع عشر. ذلك بأن السنوات الثماني عشرة الأولى من القرن العشرين ، هي جزء لا يجزو فصله عن السنوات المئة السابقة. إذ بها تنقضي ، نهائياً ، الحقبة التي عاشتها الأقطار العربية ، ومنها بلاد الشام ، سورية ولبنان وفلسطين - والتي امتدت أربعة قرون - في ظل سلاطين بني عثمان<sup>(1)</sup>. ففي أواخر سنة 1516 ، هزم السلطان سليم الأول<sup>(2)</sup> (1470 - 1520) جيش المماليك بزعامة قائده السلطان قانصوه الغوري (1449 - 1516) في معركة مرج دابق بالقرب من مدينة حلب (1516/8/14).<sup>(3)</sup>

ويانتصار السلطان سليم الأول ، دانت له ، ولخلفائه من بعده ، معظم أقطار الوطن العربي ، وبقيت راية الهلال العثماني تحفّق فوق سمائها حتى انهيار الإمبراطورية العثمانية<sup>(4)</sup> بانتها الحرب العالمية الأولى (1914 - 1918).

---

(1) هو عثمان الأول (1258 - 1326) ابن أرطغرل بن سليمان شاه. نودي به سلطاناً في سنة 1300 ، وهو الذي أسس الدولة العثمانية. وكان أول من تسمى بادشاه Pâdish ملك ، شاه.

(2) هو تاسع سلاطين آل عثمان. لقب بياوز YAVUZ سليم : الرهيب ، الجبار.

(3) قيل وقع تحت سنايك الخيل وضاعت جثته. وقيل حز أحد قواده رأسه بعد مقتله وألقى به في مياه نهر الفرات خشية عرض رأسه في أرجاء الدولة.

(4) يسميها مؤرخو التاريخ العثماني بالدولة العلية العثمانية حيناً ، وبالسلطنة العثمانية حيناً ، وبالممالك المحروسة حيناً.

وفي خلال تلك الحقبة من الاحتلال العثماني للأقطار العربية (1516 - 1918) تعاقب على سدة الحكم ستة وعشرون سلطاناً<sup>(1)</sup>، ثمانية من بينهم حكموا خلال السنوات (1789 - 1918)، وهم: سليم الثالث (1762 - 1808)، مصطفى الرابع (1779 - 1808)، محمود الثاني (1784 - 1839)، عبد المجيد (1823 - 1861)، عبد العزيز (1830 - 1876)، مراد الخامس (1840 - 1904)، عبد الحميد الثاني (1842 - 1918)، ومحمد رشاد الخامس (1844 - 1918).

ولقد واجه هؤلاء السلاطين، كل بدوره، جملة من قضايا العصر العاصف، منها ما كان امتداد لعوامل تكوينها في الماضي، ومنها ما كان وليد الظروف الداخلية التي رافقت حكم السلاطين أنفسهم. على أنها جميعاً، شاركت في النهاية، بجعل الإمبراطورية العثمانية ذلك "الرجل المريض"<sup>(2)</sup> الذي سيقرر الأطباء مستقبل حياته. وربما ساعد أكثر في إيضاح الصورة، أن نلّم - ولو بشكل عاجل - بتفاصيل بعض تلك القضايا، وأشدّها تأثيراً في أحوال الإمبراطورية، مقترنة بسنوات حكم هؤلاء السلاطين، وفي غضون الحقبة، موضوع دراستنا هذه (1800 - 1918):

## 1 - السلطان سليم الثالث (1789 - 1809):

بدأت ولايته بتحالف النمسا وروسيا ضد بلاده في سنة 1789، فيما كانت البلاد في حرب معلنة مع روسيا، بدأت في عهد سلفه السلطان عبد الحميد الأول (1724 - 1789) سنة 1787. وكانت حصيلة هاتين الحربين<sup>(3)</sup>، فقدان أجزاء مهمة من أراضي الإمبراطورية العثمانية: بلغراد، وبخارست، وبلاد الصرب، القرم. وأتاحت، من ثم، فترة السلم التي بدأت بمعاهدة ياسي (1792) واستمرت ست

(1) انظر ملحق سلاطين بني عثمان.

(2) اصطلاح أطلقه رجال السياسة على الإمبراطورية العثمانية في أواخر أيامها بسبب ما أصابها من وهن.

(3) انتهت الأولى منهما بمعاهدة زشتوي Zistow في 14 آب 1791، والثانية بمعاهدة ياسي Jassi في سنة 1792.

سنوات، أتاحت له، استئناف إصلاحات بعض أسلافه.<sup>(1)</sup> فوضع في السنة 1792 - 1793، وبمعاونة لجنة للإصلاح، النظام الجديد (نظامي جديد)، الذي استهدف به تطوير أنظمة الجيش على الأسس الغربية. وفي السنة ذاتها، عمد إلى إنشاء سفارات لبلاده في العواصم الأوروبية الكبرى فيما كان أسلافه "يترفعون عن ذلك زاعمين أن الدول الأوروبية أحوج منهم لمراجعتهم ولإرسال سفرائها إلى عاصمة الدولة".<sup>(2)</sup> وبصنيعه هذا "فتح للأتراك نافذة أخرى على الغرب".<sup>(3)</sup>

على أن المؤشرات الإصلاحية، في عهد سليم الثالث، لم تقتصر على ذلك، فقد عمد إلى إنشاء المدارس وجعل اللغة الفرنسية إجبارية فيها، وأرسل البعثات العلمية إلى فرنسا، كما ضم أربعمئة مجلد في مكتبة متطورة - إذا ما قيست بمكتبات ذلك الوقت - ووضعها بتصرف الدارسين والمدرسين، ولم يبد أدنى اهتمام بما كانت تثيره هذه الإصلاحات من الضغينة في نفوس عدد من مناوئيه كشيخ الإسلام والقائمقام وبعض رجال الدين وعلمائه، إلى أن قامت الثورة في وجهه بتواطؤ هؤلاء وأولئك مع زعماء الانكشارية<sup>(4)</sup>، وتم خلعُه عن العرش في 27 آذار 1807.

(1) انظر: د. أسامة عانوتي. "الحركة الأدبية في بلاد الشام": 4 - 5.

(2) محمد جميل بيهم. "أوليات سلاطين تركيا المدنية والاجتماعية والسياسية": 41.

(3) محمد يوسف نجم. في "الفكر العربي في مائة سنة" تحرير فؤاد صروف ونيه أمين فارس: 26.

(4) ورد في الصفحة 237 من كتاب "مصباح الساري ونزهة القاري" تأليف إبراهيم أفندي الطيب الأول للعاسكر الشاهانية في مدينة بيروت (الجزء الأول) ما يلي: "أول من وضع هذه العساكر السلطان أورخان (1281 - 1360) وكان ذلك في سنة 726 هـ (1325م) وكان حينئذ رجل يدعى حاجي بكطاش، وهو أول من أسس طريقة الدرايش البكطاشية، وكان يرسم الذين يدخلون في هولا (هؤلاء) العساكر اضعا كم ثوبه الأبيض على روس (رؤوس) ضباطهم، وحينئذ يعطيه اسم يكجيري (Yeniceri أي الجنود الجدد). ويسبب ذلك كانت اليكجيرية (أي الانكشارية كما نستعملها اليوم) تعتبره اعتبار الأوليا (الأولياء). والدرايش الذين هم من شيعته، كانوا معتبرين عند اليكجيرية، الذين هم أربعة فرق وهي الجماعة والبلوك والسيان وعجمي أوغلان. وكل فرقة من هؤلاء تقسم إلى جملة أورط أو أوض. وكان عدد هذه الأورط 229 أورطه (فرقة) وكانت العادة أن سبعة وسبعون أورطه منهم تمكث في القسطنطينية والباقي منهم في جهات مختلفة. وكان تحت رئاسة آغا اليكجيرية جملة ضباط ومأمورين كانوا يجرون على قوانين ونظم كانت قد ←

إن حادثة الخلع هذه - وإن كانت القاضية عليه - لم تكن ، مع ذلك ، أسمى ما واجه السلطان سليم الثالث في خلال توليه الحكم. ففي عهده قاد بونابرت حملته المشهورة على مصر (1798 - 1801) ، كما ترعرعت الدعوة الوهابية ، وكانت قد بدأت تنمو في عهد سالفه السلطان عبد الحميد الأول ، وانتزع محمد علي باشا (1769 - 1849) السلطة من أيدي خصومه المماليك في مصر (1805). وفي أواخر أيام حكمه أيضاً ، بدأت شرارة الحرب الروسية الأولى - في القرن التاسع عشر - ضد الدولة (1806 - 1812).

## 2 - السلطان مصطفى الرابع (1807 - 1808):

استهمل حكمه بالعمل على نفس الإصلاحات التي عزم سلفه على تطبيقها وخصوصاً ما يتعلق منها بإلغاء الأنظمة الجديدة التي تمس الجيش. وسلم زمام الحكم للذين نصبوه سلطاناً على العرش ، وصار ، ومن ثم ، العوبة بأيديهم : آغا الانكشارية ، مفتي الإسلام ، والقائمقام ، كل ذلك ، والانكسارات تتوالى على جبهات القتال مع الروس في حربهم ضد الدولة.

وإذ لم تثمر فترة حكم السلطان غير التآمر والصراع بين صانعيه والمتسلطين عليه <sup>(1)</sup> ، فقد دارت الدائرة عليه في النهاية ، ودفع ثمن ذلك عرشه ثم حياته. وكما جيء به بقوة السلاح ، كذلك خلع بقوة السلاح. ولم يكن للإنكشارية ، هذه المرة ، يد في حادثة الإطاحة بالسلطان ، وإنما فعل ذلك أنصار السلطان السابق سليم الثالث ، بمؤازرة جماعية من قادة الجيش. <sup>(2)</sup>

---

وضعت لهم بغاية ما يكون من التهذيب. ولما خرقوا قوانينهم تغيرت عوايدهم وضعفت شوكتهم. وكانوا عند جلوس كل سلطان يأخذون مبلغاً من المال فكانوا يمزلون السلطان ويقتلون كثيراً من رجال الدولة ويتركون روساً (رووساء) العساكر في الحرب مع الأعداء (الأعداء) ويرجعون إلى الوراء ويسبب ذلك افتكر السلطان أن يخلص المملكة منهم.

<sup>(1)</sup> من ذلك الصراع التقليدي بين مفتي الإسلام عطا الله أفندي والقائمقام موسى باشا. ثم بين هذين الرجلين وآغا الانكشارية قره قبوجي أوغلي ، بغية تركيز السلطة ، كل في يده.

<sup>(2)</sup> قاد عملية افتتاح مقر السلطنة مصطفى السيرقدار (1808). وكان السلطان سليم الثالث قد رُقاه إلى رتبة الوزارة لما أظهر من الشجاعة في الحرب ضد روسيا ثم ولّاه على بلدة

←



### 3 - السلطان محمود الثاني (1808 - 1839):

ارتقى عرش السلطنة قبل أن يندمل الجرح الذي أحدثته، في يده، محاولة الاغتيال. وقد صمم، منذ البداية، على مواصلة الإصلاحات التي باشرها ابن عمه السلطان سليم الثالث، وفي مقدمتها تطوير الجيش وتحديثه، وكان أول ثمن دفعه لقاء تصميمه ذلك، حياة الرجل الذي أسند إليه منصب الصدارة العظمى، مصطفى البيروقدار، بعد نجاح حركته ضد السلطان السابق. فقد اتهم هذا الرجل بالكفر، ومن ثم، قتل برصاص المتظاهرين وهو في عقر داره.

وفهم السلطان محمود الثاني أن هذا العمل الموجه للنيل من سلطته، هو من تدبير خصوم الإصلاح: الإنكشارية وأنصارها علماء الدين. وما كان السلطان في ذلك الحين - ولسنوات أخرى عديدة - بقادر على مواجهة التحديات كلها، داخليا وخارجيا، في وقت معاً. فقد كانت البلاد ما تزال مشغولة بقضايا ملحة، تطفئ على مشاغل الداخل. وفي مقدمة تلك القضايا، حرب الروس ضد الدولة، والثورة الملتهبة في إقليم الصرب، وخطر انتشار الحركة الوهابية في الحجاز، فأثر التصدي لها أولاً. ومع هذا، لم يتمكن من تحقيق الانتصار لبلاده على الجبهة الخارجية. فتخلى لروسيا، بموجب معاهدة بخارست (1812) التي أنهت الحرب، عن ولاية بسارابيا وأعاد لها الصرب (1813)، ولم ينجح في قهر الوهابيين في الحجاز إلا بمعاونة والي مصر محمد علي باشا (1818).

ولم تتح للسلطان بعد ذلك، فرصة للالتفات إلى الداخل. فقد كان عليه أن يواجه ثورة أخرى كانت قد نشبت قبل عام من ذلك التاريخ<sup>(1)</sup>. وبعد أربع

---

روشجك. تمكن مصطفى البيروقدار خلال حركته من إنقاذ محمود الثاني بعد إصابته بخنجر في يده، ولكنه لم يتمكن من إنقاذ سليم الثالث لأن السلطان مصطفى الرابع كان قد أوعز بقتله، فمات خنقا حيث كان محتجزاً.

<sup>(1)</sup> ثورة الصرب الثانية التي نشبت في سنة 1817 وقادها ميلس أوبرنفتش.

سنوات، نشبت الثورة في اليونان<sup>(1)</sup>. ثم جاءت معاهدة أدرنه (1829) تعبيراً عن هزيمة السلطان ضد هذين الشعبين وحليفتهما إنكلترا وفرنسا. وبموجب هذه المعاهدة وضعت الصرب تحت سيطرة السلطان الشكلية، وتم استقلال اليونان. كذلك حظيت روسيا بموجب المعاهدة المذكورة، بحق مرور جميع سفنها التجارية في مضيق الدردنيل، وحق حماية الأماكن المقدسة بفلسطين، وذلك ثمناً لحرب شنتها ضد الدولة (1828) تأييداً لثورة الاستقلال اليونانية.

على أن الخطر الحقيقي الذي تهدد سيادة الدولة بعد هذه الأحداث جميعاً - والتي توجب باحتلال فرنسا للجزائر في سنة 1830 - تجسد، عملياً، في الحملة التي أعدها والي مصر محمد علي باشا لاحتلال سورية (1831 - 1840). وترجع أسباب هذه الحملة إلى عدة عوامل منها: أن السلطان محمود الثاني كان قد وعد محمد علي بمنح سورية لابنه إبراهيم باشا (1789 - 1848) بديلاً عن خسارته للمورة (Morée) في حرب الاستقلال اليونانية، ولكنه أخلف الوعد<sup>(2)</sup>، واقترح إعطاء جزيرة كريت (Crète)، فرفض محمد علي بدوره هذا العرض<sup>(3)</sup>. ومنها أيضاً امتناع والي عكا عن تزويد الأسطول المصري بالأخشاب<sup>(4)</sup>. فضلاً عن ذلك فقد كانت سورية غنية بالأخشاب والفحم الحجري والنحاس وذات تربة ملائمة للأعمال الصناعية. كذلك "بسبب مركزها التجاري وموقعها على طريق الحج"<sup>(5)</sup>.

---

(1) قاد هذه الثورة اسكندر ابسلانتي، وهو يوناني الأصل، وكان ياوراً لقيصر روسيا. اجتاز ابسلانتي نهر البروث في 25/2/1821 مشيراً الولايات الدانوبية الخاضعة إذ ذاك للسلطان العثماني، حاملاً لواء القومية اليونانية، متادياً بثورة جميع المسيحيين الذين كانوا خاضعين للحكم العثماني. وقد بادر العثمانيون، رداً على هذه الثورة، إلى شق البطريرك اليوناني في القسطنطينية وقتل اليونان المقيمين بها.

(2) كارل بروكلمان، "تاريخ الشعوب الإسلامية": 547

(3) Mantran, Robert, "Historic de la Turquie 95 -96"

(4) كان إبراهيم باشا قائداً للجيش المصري الذي حارب ضد الثوار اليونانيين أثناء نشوب الحرب بينهم وبين الدولة.

(5) سليمان أبو عز الدين. "إبراهيم باشا في سوريا": 58

أثارت هذه الحملة التي استطاع محمد علي أن يوسع من رقعة عملياتها الحربية - بقيادة ابنه إبراهيم باشا - حتى قونية (Konya)، حفيفة الدول المتحالفة فرنسا وإنكلترا والنمسا، فسارعت للضغط على طرفي النزاع، السلطان محمود الثاني ومحمد علي معاً، كي يتوصلا إلى اتفاق. وحدث ذلك في الوقت الذي كانت فيه روسيا قد سارعت، تلبية لطلب من السلطان نفسه، إلى إرسال جيوشها إلى مقربة من القسطنطينية فيما رست قطع من أسطولها في مياه البوسفور<sup>(1)</sup>، وهكذا أبرم الطرفان معاهدة كوتاهية (Kutahya)<sup>(2)</sup> في 14/5/1833. واغتنمت روسيا تنازلات الدولة لمحمد علي، ففقدت مع السلطان معاهدة خنكار اسكله سي<sup>(3)</sup> (ar IskelesikiHun) في 8/7/1833، مقابل سحب جيوشها وقطع أسطولها.

وإذ لم توفق إنكلترا في رسم سياسة موحدة مع فرنسا، حليفها الرئيسية في المشكلة، لمواجهة خطر محمد علي، فقد أقدمت على احتلال عدن (1838)، لتحول دون توسعه عبر الشرق<sup>(4)</sup>. فتوجت، بذلك، الأحداث التي رافقت عهد السلطان محمود الثاني، ولم يشهد خروج المصريين من سورية (1840)، إذ كانت وفاته قبل ذلك التاريخ (1839/6/30).

(1) Mantran, Robert, "Histoire de la Turquie 96"

(2) وقع المعاهدة البارون روسان (Roussin) سفير فرنسا في العاصمة العثمانية بالنيابة عن السلطان، وإبراهيم باشا قائد الحملة المصرية بالنيابة عن والده محمد علي. وأقرت بالخط الشريف الذي صدر عن السلطان في 6/5/1833. قضت المعاهدة أن يتنازل السلطان لمحمد علي عن سورية وكيليكيا (Cilicie). مقابل تعهد محمد علي بدفع الأموال التي كان يدفعها الولاة السابقون عن سورية لخزينة الدولة. كما قضت بتأييد حكم محمد علي على مصر وكريت، مع تجديد ولاية ولده إبراهيم باشا على جدة ومنحه لقب شيخ الحرم المكي.

(3) خولت هذه المعاهدة الجيش الروسي التدخل في حال الضرورة، للدفاع عن الإمبراطورية العثمانية، لقاء تعهد السلطان بإغلاق مضيق الدردنيل في وجه أية سفينة حربية أجنبية وبأية حجة من الحجج.

(4) كارل بروكلمان. "تاريخ الشعوب الإسلامية": 547

#### 4 - السلطان عبد المجيد (1839 - 1861):

ورث عرش أبيه السلطان محمود الثاني. وورث عنه، فيم ورثه، جملة من الأعباء العسكرية والسياسية التي كان لها أثرها العميق في مستقبل الحكم كما سيأتي. ففي أثر انهزام الجيوش العثمانية من موقعة نصيين (24/6/1839) أمام زحف الجيش المصري، انفرط عقد التحالف بين الحليفين فرنسا وإنكلترا. ووقفت فرنسا، بجانب محمد علي باشا، ووقفت إنكلترا بجانب السلطان. وقد أدى صراع هاتين الدولتين - بين الإبقاء على نفوذ محمد علي باشا في سورية، وتقليص هذا النفوذ، وما رافق ذلك من فوضى اضطبغت بها الحياة العامة داخل البلاد - إلى دفع السلطان لإعلان منشوره الإصلاحية المشهور باسم "خط كلخانة"<sup>(1)</sup>. بيد أن هذا المنشور الذي نعته السفير الروسي في الأستانة بأنه "ضربة مسرحية"<sup>(2)</sup>، والذي استهدف أصلاً تثبيت دعائم الحكم الجديد في مواجهة المصاعب الداخلية والخارجية معاً، لم يجنب الدولة العثمانية المداخلات الأجنبية في شؤونها. إذ سارعت إنكلترا إلى عقد اجتماع مشترك بينها وبين أنصار سياستها إزاء الوجود المصري في بلاد الشام، حضره كل من سفراء النمسا وبروسيا وروسيا. وكانت محصله هذا الاجتماع الذي عقد في لندن (15/7/1840)، إعلان اتفاقية ترمي إلى إضعاف مركز محمد علي باشا أمام السلطان<sup>(3)</sup>. واستناداً إلى ذلك، طلبت الدول

(1) كانت قراءته في 3/11/1839 في الكلخانة (أي دار الورد) وهي من دور السراي المعروفة اليوم باسم متحف طوب قبو (أي باب المدفع)، أمام رجال الدولة وأعيانها وبحضور سفراء الدول الأجنبية. وأهم ما في هذا الخط النص على حماية النفس والملكية، والمساواة بين الرعايا دون تمييز بين المذهب أو الدين، كذلك إلغاء نظام الالتزام والتجنيد بإجراء القرعة، إصلاح الإدارة، وتنظيم جباية الأموال.

(2) كارل بروكلمان، "تاريخ الشعوب الإسلامية": 562

(3) تلخص بنود الاتفاقية كالاتي: 1 - تسلم محمد علي باشا مقاليد مصر كملك وراثي.

2 - إناطة إدارة فلسطين به كملك عليها مدى الحياة. 3 - إعادة جميع الممتلكات الأخرى إلى السلطان. 4 - في حالة عدم موافقة محمد علي باشا على الشروط المقترحة خلال عشرة أيام يحفظ بمصر وحدها. 5 - وإن لم يوافق خلال عشرين يوماً على هذه الشروط يعمل على عزله عندئذ بجهود الحلفاء المشتركة - فلاديمير بوريوفيتش لوتسكي "تاريخ الأقطار العربية الحديث": 141.



الموقعة على اتفاقية لندن من محمد علي باشا في 19/8/1940 التخلي عن مكاسبه ، فرفضها وأعلن أنه ينوي أن يبقى بالسيف على ما ربحه بالسيف<sup>(1)</sup>. عندئذ حملته الدول المتحالفة على الخروج من بلاد الشام بالقوة. وتم جلاء الجيش المصري بقيادة إبراهيم باشا ، فغادر دمشق في 29/12/1840 ، وهو الموعد الذي ينتهي فيه مفعول معاهدة "هنكار أسكله سي" المار ذكرها.

وبعودة سورية إلى حظيرة الدولة العثمانية ، سارعت فرنسا - وقد وجدت نفسها منساقفة إلى تبني سياسة الوفاق مع حلفاء السلطان - إلى المشاركة في توقيع معاهدة لندن (1841/7/13) التي قضت بوجود إغلاق مضيق البوسفور والدردينيل في وجه السفن الحربية الأجنبية ، بما في ذلك السفن الروسية التي كانت تتمتع قبلاً بهذا الحق ، وذلك ما بقي السلطان يعيش بسلام.<sup>(2)</sup>

أعقب معاهدة لندن هذه ، فترة هدوء نسبي استمر تسع سنوات. وتمكن السلطان خلال هذه الفترة من إنجاز عدد من الإصلاحات التي نص عليها خط كلخان<sup>(3)</sup> على أن القوى الأجنبية ما فتئت أن تدخلت في الشؤون الداخلية للإمبراطورية العثمانية<sup>(4)</sup> ، فابتدأت بإثارة الخلافات حول الأماكن المقدسة في فلسطين. فقد استدريج قيصر روسيا نقولا الأول (1796 - 1855) السلطان عبد المجيد لتوكيد سلطته على تلك الأماكن ، بحجة توفير الحماية المطلوبة لأبناء الطائفة الأرثوذكسية في أرجاء الإمبراطورية ، وذلك بمذكرة بعث بها إليه في سنة 1850. وفي السنة التالية طالب رئيس الجمهورية الفرنسية لوريس نابليون الثالث (1808 - 1873) السلطان بما طالبه به قيصر روسيا ، معتبراً نفسه مسؤولاً عن أبناء الطوائف

(1) المصدر السابق : 141

(2) Mantran, Robert, "Historie de la Turquie" p. 98

(3) من ذلك تنظيم محاكم التجارة المختلطة (1846). تنظيم مدارس وبعض دوائر الدولة وأقلامها.

(4) أميل خوري وعادل سليمان ، "السياسة الدولية في الشرق العربي من سنة 1789 إلى سنة 1958" 3 : 91 وما بعدها.

المسيحية التي تدين بالولاء لسلطة البابا. وأمام تأرجح السلطان بين إرضاء هذا أو ذاك انطلقت شرارة الحرب بين روسيا والدولة العثمانية، وهي الحرب المعروفة بحرب القرم (1854 - 1856).<sup>(1)</sup>

انتهت هذه الحرب بمعاهدة باريس (1856/3/30)<sup>(2)</sup> التي أعقبت إعلان السلطان خط التنظيمات الخيرية (1856/2/18) مؤكداً التزامه بمواصلة وتنفيذ الإصلاحات المنصوص عليها في خط كلخانة المعلن سنة 1839. على أن هذه المعاهدة، بتجاوزها معالجة مشاكل الأقليات والأماكن المقدسة - التي كانت السبب الظاهر على الأقل في إثارة حرب القرم - أبقّت مصالح الدول الكبرى وأهدافها متضاربة<sup>(3)</sup>، بل وعاجزة حتى عن مواجهة المضاعفات التي نجمت عن إعلان اتحاد إقليميّ الأفلاق والبغدان (1856)،<sup>(4)</sup> إلى أن تفجر الموقف مجدداً بالفتنة الطائفية

---

(1) أعلنت إنكلترا وفرنسا الحرب على روسيا في 1854/3/23. وأتبعنا هذا الإعلان في 4/10/1854 بتوقيع معاهدة ثنائية بينهما تحدد شروط وأساليب التعاون العسكري بحراً وبراً لإرغام روسيا على الانسحاب من الأراضي العثمانية. وأهم ما في هذه المعاهدة من الناحية السياسية المادة السادسة منها التي تعطي الدول الأوروبية الأخرى حق الانضمام إليها، وقد أريد بها ترك الباب مفتوحاً أمام النمسا وروسيا للحاق بمعسكر الحلفاء. انضم لهذا المعسكر فيما بعد كل من النمسا وسردينيا (1855).

(2) وقعها ممثلو فرنسا وإنكلترا وسردينيا وروسيا والنمسا وروسيا والدولة العثمانية. قضت المعاهدة على روسيا بعدم تحصين البحر الأسود وإن يفتح هذا البحر لل سفن التجارة لجميع الدول دون السفن الحربية. كما قضت بتنازل روسيا عن مصب الدانوب وعن جزء من بسارابيا للأفلاق والبغدان اللتين تم الاعتراف باستقلالهما تحت سيادة السلطان. وأرجعت الحدود بين روسيا والإمبراطورية العثمانية إلى ما كانت عليه قبل نشوب الحرب. وصارت الإمبراطورية العثمانية عضواً في مجالس الدول الأوروبية مع ضمان استقلالها واحترام سيادتها.

(3) أميل خوري وعادل إسماعيل "السياسة الدولية في الشرق العربي 1789 - 1958" 3: 160.

(4) ويعرفان أيضاً باسم إقليميّ مولدافيا Moldavie وفالاشيا Valachie وهما نواة دولة رومانيا اعتباراً من سنة 1859.

(1860) المعروفة بمحادثة الستين.<sup>(1)</sup> وقد أظهرت هذه الفتنة سلبات الوفاق بين فرنسا وإنكلترا، ذلك الوفاق الذي اقتضته ظروف حرب القرم، ومخاوف كل من الدولتين من السماح للديبلوماسية الروسية بالتوسع في ممتلكات الإمبراطورية العثمانية. كما أبرزت النوايا المبيتة منذ إخلاء سورية من المصريين قبل عشرين عاماً. وكانت النتيجة غسل البلاد بالدم<sup>(2)</sup>. وأمام تأزم الحالة، بسبب اتساع رقعة الاقتال الطائفي إلى داخل البلاد حتى شمل دمشق، سارعت خمس دول كبرى هي إنكلترا وروسيا وفرنسا والنمسا وبروسيا إلى عقد مؤتمر باريس (1860/8/3) الذي قضى بفرض حماية على المسيحيين. وأوكل المؤتمر إلى فرنسا مهمة إعادة الأمن ومنع المذابح<sup>(3)</sup>. وقد حدث ذلك في الوقت الذي عهد السلطان إلى صدره الأعظم فؤاد باشا (1815 - 1867) في مهمة تدارك الأمور في كل من بيروت ودمشق<sup>(4)</sup>، وتم بذلك تطويق الفتنة "التي تركت في نفوس الناس أسوأ الأثر إلى اليوم"<sup>(5)</sup>.

(1) يرد معظم الدارسين أسباب هذه الفتنة إلى تشجيع الفرنسيين للموارنة والإنكليز للدروز في جبل لبنان. وقد حدث أول اشتباك بين الطائفتين في 1841/9/4 كما يذكر مؤلف "حسر اللثام عن نكبات الشام" بسبب طير اصطاده بعض شبان دير القمر في أرض الشيخ ناصيف بك أبو نكد في قرية بعقلين الدرزية بجبل لبنان. ثم تكرر الاشتباك بينهما في سنة 1855.

(2) بلغ عدد الذين قتلوا من المسيحيين 20 ألف شخص. ودمرت 380 قرية مسيحية و560 كنيسة و40 ديراً - لوتسكي "تاريخ الأقطار العربية الحديث" : 163.

(3) تقرر أن يتم انسحاب القوات الفرنسية من البلاد حال عودة المياه إلى مجاريها. على أن نابليون الثالث (1808 - 1873)، أراد أن يعد بقاء تلك القوات أطول من الفترة المتفق عليها وهي ستة أشهر، فرفضت إنكلترا ذلك، وكاد الخلاف بين الدولتين يتطور إلى صدام مسلح، عندما رضخت فرنسا وقررت الالتزام بشروط مؤتمر باريس، فتم انسحابها في 1861/6/5.

(4) وصل فؤاد باشا إلى بيروت في 1860/7/17 أي قبل شهر من تاريخ وصول الجيوش الفرنسية إليها في 1860/8/16. وغادرها إلى دمشق في 1860/7/29. وكان أول ما فعله هو إعدام والي دمشق أحمد عزت باشا. ويرجح العارفون - بحسب تعبير صاحب كتاب "حسر اللثام عن نكبات الشام" : 246 - إن سبب السرعة في التخلص من الوالي هو "أن الرجل ساهم في إذكاء نار الفتنة بأمر من فؤاد باشا نفسه ووفق رغبات السلطان".

(5) مصطفى خالدي وعمر فروخ. "التبشير والاستعمار في البلاد العربية" : 137.

## 5 - السلطان عبد العزيز (1861 - 1876):

قبل أن يرتقي عرش السلطنة ، خلفاً لأخيه السلطان عبد المجيد ، عاش عبد العزيز في معزل عن الحياة السياسية والاجتماعية عشرين عاماً<sup>(1)</sup>. وكان السلطان عبد المجيد قد أورثه ، فيما أورث خزانة الدولة من ديون بلغت خمسة وعشرين مليون ليرة<sup>(2)</sup> ، جملة من المتاعب السياسية ، نجمت في عهده ، كما مر معنا ، عن المنازعات بين الدول الأوروبية حول مستقبل المسألة الشرقية<sup>(3)</sup>. وقد تفجرت تلك المتاعب في أواخر حكم السلطان عبد العزيز ، وذلك بإعلان الثورة في إقليم البوسنة والهرسك ، ثم في بلغاريا (1875) ، رداً على رفض الباب العالي شمول هذين الإقليمين بالإصلاحات الإدارية والاجتماعية التي بدأها السلطان منذ توليه الحكم<sup>(4)</sup> ، على أن محاولاته الإصلاحية في هذا المجال ، لم تشفع له ، بسبب ما ذكر في أكثر من مصدر عن إسرافه وتبذيره في أواخر أيامه ، وانقياده إلى مشورة صدره الأعظم محمد نديم باشا ، والسفير الروسي الجنرال ايغنايف في الأستانة ، الأمر

---

(1) كان السلاطين في خوف دائم من أولياء العهد ، فكانوا يضعونهم في قصور يتمتعون بها بما يشاؤون من متارف الحياة وملذاتها ، بحيث لا يغادرونها إلا إلى العرش أو إلى القبر.

(2) هي عبارة عن قروض اقتضتها ظروف حرب القرم. وقد رفعها السلطان عبد العزيز إلى مائتين وخمسين مليون ليرة إنكليزية أيام حكمه بحجة الإنفاق على شؤون التسليح وتحسين مرافق الدولة - قدرى قلعجي. "مدحت باشا أبو الدستور العثماني وخالف السلاطين" 19 - 20.

(3) مصطلح يطلق على العلاقات السياسية بين بعض الدول العربية والإمبراطورية العثمانية إبان القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وأوائل القرن الحالي. وبدأت هذه المسألة بنهضة روسيا دولة أوروبية ذات أطماع توسعية في المضائق التركية ووقوف إنكلترا في وجه هذه الأطماع لحماية مصالحها في الشرق الأقصى والهند بخاصة. كذلك بسبب سعي النمسا لبيسط نفوذها على بعض الأراضي البلقانية - "الموسوعة العربية الميسرة" : 1693.

(4) من ذلك صدور قانون أمانة الرسومات (الجمارك) (1861) ، وترتيب شؤون الدولة المالية وصدور أول ميزانية (1862) ، وصدور نظام الخارجية وتنظيم الاستخدام في السلك القنصلي الأجنبي (1863) ، وصدور نظام الولايات (1864) ، وإعادة تشكيل مجلس الوالا (الشورى) لتدوين القوانين والنظم وإبداء الرأي في الأمور الإدارية (1871) والترخيص بإنشاء نفق غلاطه (Galata).

الذي أدى إلى إطلاق أيدي المقربين من المتنفذين في الدولة للعبث بأرواح الرعية وأموالها، وتردي البلاد في هوة الفاقة واضطراب شؤونها.

وزاد الأمر سوءاً عندما توقف السلطان عن تسديد الديون المترتبة على الدولة، فاقضى ذلك إعلان الإفلاس (1875/10/5)، الأمر الذي مكن خصومه السياسيين، أتباع "حزب تركيا الفتاة"<sup>(1)</sup>، من توجيه الضربة القاضية ضده، وكانت وسيلتهم التي استخدموها للإطاحة به، جماعة من طلاب العلوم الدينية (الصوفيات)، فهاجموا قصره في 1876/5/22 مطالبين بعزل محمد نديم باشا وتولية محمد رشدي باشا صدراً أعظم بدلاً عنه. وبعد ثمانية أيام من ذلك التاريخ، ويرغم انصياعه لمطالب الثائرين، خلع عن عرشه (1876/5/30) بفتوى صادرة عن شيخ الإسلام<sup>(2)</sup>. ويعتبر هذا التاريخ، عملياً، تكريساً لسلطة الحزب المذكور - الذي عرف فيما بعد باسم جمعية الاتحاد والترقي - ونفوذه في جميع مرافق الدولة، حتى انهيار الإمبراطورية العثمانية نهائياً في سنة 1918.

---

(1) أسسه مصطفى فاضل باشا (1830 - ) في سنة 1862 وهي سنة توليه نظارة المعارف. أطلق الفرنسيون على الحزب اسم (جون توركسي Jeune Turquie) فترجم بتركيا الفتاة. وقيل في التركية "كنج توركلر (Genc Rurkler) وكان يقود هذا الحزب المثقفون وممثلو الضباط. وأما مؤلف "منتخبات التواريخ لدمشق" فإنه يرى أن هؤلاء، هم في حقيقتهم رؤوس الانكشارية: 306.

(2) صورة الفتوى كما وردت في الجزء الثالث من كتاب "حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر": 1484 "إذ كان زيد الذي هو أمير المؤمنين مختل الشعور، ولا قسم له في الأمور السياسية، وقد صرف الأموال الأميرية على مصاريفه النفسية، على نوع يفوق طاقة وتحمل الملك والملة، وأجرى إخلال وتشويش الأمور الدينية والدنيوية، وضر الملك والملة، وكان بقاءه مضاراً بحق الملك والملة، هل يلزم خلمه؟ الجواب: نعم. كتبه الفقير حسن خير الله عفى الله عنه".

## 6 - السلطان مراد الخامس (1876):

امتد حكمه ثلاثة وتسعين يوماً، فلم يسجل له التاريخ حادثاً يذكر سوى حادثة خلعه عن العرش لاختلال في عقله (1876/9/1)<sup>(1)</sup>. ومن ثم، بقي سجيناً في قبضة أخيه السلطان عبد الحميد الثاني مدة ثمان وعشرين سنة، إلى أن وافاه أجله (1904/8/29) في قصر جراغان<sup>(2)</sup>.

## 7 - السلطان عبد الحميد (1876 - 1909)<sup>(3)</sup>:

قبل جلوسه على العرش خلفاً لأخيه السلطان مراد الخامس، اشترط عليه "حزب تركيا الفتاة" شرطين أساسيين هما: 1 - تضمين خطاب العرش<sup>(4)</sup> ما يكرس النظام الدستوري في البلاد 2 - استشارة الوزراء فيما يخص تصرف شؤون الدولة<sup>(5)</sup>.

---

(1) ينسب محمد روجي الخالدي في كتابه "أسباب الانقلاب العثماني: 62 - 63" سبب الاختلال العقلي إلى حادثة خلاصتها أن حسن بك، مرافق السلطان عبد العزيز اقتحم منزل الصدر الأعظم مدحت باشا (1822 - 1883) أثناء اجتماعه إلى وزرائه، فاغتال السر عسكر وناظر الخارجية راشد باشا وأغا الخدم، وذلك انتقاماً للسلطان المخلوع، يقول إن هذه الحادثة الدموية قد أثرت في شعور السلطان فاختل عقله.

(2) يقول يوسف الحكيم في كتابه "سورية والعهد العثماني: 20" أن سبب الاحتفاظ به سجيناً يعود إلى طمع السلطان عبد الحميد الثاني بالعرش لنفسه. ويمكن تفسير هذا القول بأنه تلميح إلى استرداد السلطان مراد الخامس وعيه فيما بعد، خلال سنوات سجنه.

(3) يلقيه بعضهم بالسلطان الأحمر كناية عن سياسة البطش التي مارسها ضد رعاياه. ومن ألقابه أيضاً: السلطان الأعظم، الخاقان الأفخم، سلطان البرين والبحرين، إمام الحرمين الشريفين، ظل الله في أرضه.

(4) جرت العادة أن يذيع كل سلطان جديد لدى ارتقائه العرش خطاباً يعرف بالمرسوم السلطاني، أو الخطب الهمايوني، يحدد فيه السلطان الأسس التي ستقوم عليها سياسة البلاد في عهده والمشاريع الإصلاحية التي ينوي القيام بها.

(5) بهذا المعنى في كتاب محمد روجي الخالدي "أسباب الانقلاب العثماني: 63."

وكان ممكناً أن يمضي الحزب في ممارسة وصايته على هذا الشكل تجاه سلطات الباب العالي<sup>(1)</sup>، لو لم يسارع السلطان عبد الحميد - بما عرف عنه من المكر والحذر - إلى تطوير أغراض الحزب من اختياره سلطاناً. فقبل مرور شهرين على حكمه، أسند إلى مدحت باشا (1822 - 1883)<sup>(2)</sup> منصب الصدارة العظمى (19/10/1876) وكلفه بوضع خطاب العرش. وما إن اطلع السلطان عليه حتى عهد بوضعه من جديد إلى وزير عدليته، أحمد جودت باشا، فأعاد هذا صياغته بما يلائم رغبات السلطان، وبذلك تم إعلان الخطاب، الذي يعرف باسم دستور 1876<sup>(3)</sup>. ولم يتسن لحزب تركيا الفتاة أن يناور السلطان، بسبب الأحداث الخارجية التي رافقت صدور الدستور - من ذلك إعلان الصرب حربها ضد الدولة في تشرين الثاني 1876 - بل على العكس من ذلك، فقد تمكن السلطان من إضعاف جبهة الحزب المناوئ له فأبعد مدحت باشا عن الحكم ونفاه إلى إيطاليا (1877/1/24). وفي سبيل تغطية سياسته المركزية، دعا إلى تشكيل مجلس للأمة مؤلف من مجلسي الأعيان والنواب (المبعوثان)<sup>(4)</sup>، وافتتحه في 19/3/1877<sup>(5)</sup>. ومع تأزم حرب الصرب، ودخول

(1) المقصود: مقر الصدر الأعظم أو قصره.

(2) يجمع الدارسون على القول أنه رجل دستور عام 1876. وأنه كان القابض الفعلي على زمام الأمور منذ خلع السلطان عبد العزيز حتى سنة اغتياله في سنة 1883. (في المنجد مات مخنوقاً في السجن سنة 1884).

(3) أعلن يوم 1876/12/23. وفي هذا اليوم بالذات عقد ممثلو الدول الست (بريطانيا، فرنسا، النمسا، إيطاليا، ألمانيا، روسيا) مؤتمراً في الآستانة للتشاور في الإجراءات الكفيلة بحمل السلطان على قبول مطالب دولهم في تسوية عادلة لصالح دول البلقان وإدخال الإصلاحات فيها.

(4) ويسمى مجلس الأمة، أو المجلس العمومي.

(5) تم افتتاح المجلس في بهو الاستقبال الكبير في قصر ضوله بقجه (Dolma Bahce) استمرت الدورة الأولى لمجلس المبعوثان حتى تموز 1877.

وفي 1878/2/14 عطل السلطان عبد الحميد المجلس المذكور إلى أجل غير مسمى، استمر حتى سنة 1908، وذلك بسبب مناهضة عدد من أعضائه لسياسة الباب العالي واستنثاره بالبت في شؤون الدولة.

روسيا طرفاً في النزاع المسلح ضد الباب العالي (1877/4/24)<sup>(1)</sup>، أمسك السلطان عبد الحميد بزمام الحكم، بقبضته الحديدية، ولم يعد في مقدور أحد أن يزاحمه على السلطة لفترة تزيد على ربع قرن.

استمرت الحرب الروسيةثمانية أشهر أعقبها معاهدة سان ستيفانو (1878)<sup>(2)</sup>، وبها انتهت آخر الحروب بين روسيا والدولة العثمانية في القرن التاسع عشر. على أن المغنم الكبيرة التي كسبتها روسيا من جراء عقد هذه المعاهدة أدت إلى انزعاج بريطانيا، فسارعت إلى نسف تلك المكاسب بالعمل على تعديلها، فتم لها ذلك في مؤتمر برلين (1878)<sup>(3)</sup>. وقد ساعد ذلك على تهدئة الأوضاع في المنطقة إلى حد ما،

(1) تتابعت الأحداث قبل الحرب من طرف روسيا على الوجه التالي: في 15/1/1877 تقدم ممثلو الدول الست المنوه بها في الحاشية رقم 53 بمذكرة إلى الباب العالي دعي فيها إلى إجراء الإصلاحات المطلوبة في دول البلقان. في 20/1/1877 أعلن الباب العالي رفضه دعوة تلك الدول. في 31/3/1877 أصدرت الدول المذكورة بروتوكولاً في لندن أبلغته إلى الباب العالي يتضمن إصرارها على تنفيذ الإصلاحات الموعود بها. في 9/4/1877 صدرت في بطرسبرغ نشرة بينت فيها روسيا التزامها بإيفاء واجباتها نحو الأهالي المسيحيين، وأن الحرب قد صارت ضرورية. وبذا تم إعلان روسيا الحرب ضد الدولة العثمانية.

(2) وقعت هذه المعاهدة بين روسيا والدولة العثمانية في قرية تحمل اسم المعاهدة (الآن: يشيل كوي - Yesil Koy). أكرمت فيها الدولة العثمانية على النزول عن أجزاء من أرمينيا وإقليم دوبروغا لروسيا، والاعتراف باستقلال رومانيا والصرب والجبل الأسود. وجعلت بلغاريا إمارة تحكم ذاتياً على أن تشمل جزءاً كبيراً من مقدونيا.

(3) وافقت روسيا على حضور المؤتمر بعد تهديد الدول الأوروبية الموقعة على معاهدة باريس (1856) بالحرب. تم في هذا المؤتمر الاعتراف باستقلال الجبل الأسود والصرب ورومانيا التي أرغمت على التنازل عن بسرابيا الجنوبية لروسيا مقابل دوبروغا. وقسمت بلغاريا إلى شمالية تحت سيادة الدولة العثمانية الاسمية، والروملية الشرقية تحت حكم أمير مسيحي يعينه الباب العالي وله استقلال ذاتي. ووضعت مقدونيا بما فيها ادرنة، تحت السيادة العثمانية المطلقة. وأعطيت البوسنة والهرسك للنمسا والمجر. وفي آسيا حصلت روسيا على اردهات وباطوم. وانتقلت قبرص إلى بريطانيا باتفاق منفصل (اتفاقية دفاعية في حزيران 1878). ووعدت جزيرة كريت بحكومة دستورية. وتضمنت شروط أخرى تعديلات هامة في الحدود اليونانية التركية. كما وافق المؤتمر، وبينهم ممثل عن الدولة العثمانية، على نزع السلاح من منطقة الدانوب السفلى وحماية الأقليات الدينية في الإمبراطورية العثمانية.



ولسنوات عديدة مقبلة لم تشهد الإمبراطورية العثمانية خلالها حرباً خارجية، حتى أعلنتها هي نفسها ضد اليونان في سنة 1897<sup>(1)</sup>.

وأما ما حدث على الصعيد الداخلي، فقد شهد أواخر عهد السلطان عبد الحميد نزاعاً من لون جديد. فبالإضافة إلى استمرار مناوأة "حزب تركيا الفتاة" له، بسبب تجاوزاته النظام الدستوري، فقد بدأت تبلور شيئاً فشيئاً النزعات القومية لدى العرب والأرمن على حد سواء. وبدأ بذلك بنيان الإمبراطورية العثمانية بالتصدع الذي سيقودها إلى الانهيار الشامل. وقد مكّن تعاطف العرب مع "حزب تركيا الفتاة" ومقاومة الأرمن السلبية (1894) التي انتهت بالمجزرة في سنة 1896<sup>(2)</sup> إلى حدوث الانقلاب على السلطان (1908/7/24) وحمله على إعلان دستور 1908 في اليوم نفسه، ومن ثم أسقط عن عرشه (1909/4/27) لمحاولته إعداد انقلاب معاكس لانقلاب تموز.

#### 8 - السلطان محمد رشاد الخامس (1909 - 1918):

لم تكن الإمبراطورية العثمانية، يوم اعتلى العرش خلفاً لأخيه السلطان عبد الحميد، بحاجة إلى رجل حكم قدر حاجتها إلى رجل حكيم. إلا أن الاتحاديين وجدوا في شخص السلطان ضالتهم المنشودة، وكان ضعيفاً إلى درجة لم يجيب ظنهم فيه، فخضع لإرادتهم، وسارت الدولة بذلك في ركاب هؤلاء. ولم يكن الاتحاديون أنفسهم، لسوء حظ الإمبراطورية، في المستوى المطلوب لمواجهة الأعاصير والهزات، فاعتمدوا سياسة المراوغة والبطش، فكان الثمن مصير الإمبراطورية وأقول نجمها.

(1) نشبت الحرب بسبب مطالبة اليونان ضم جزيرة الكريت إليها. ولم تحقق اليونان هذا المطلب إلا في سنة 1913 بفعل الضغط الدولي على الدولة العثمانية.

(2) يذكر عثمان الترك في كتابه "صفحات من تاريخ الأمة الأرمنية: 192" أن تعاطف الأرمن مع مبادئ حزب تركيا الفتاة، ومطالبته بالإصلاحات كانا من أسباب تجريد حملة الإبادة ضدهم من قبل السلطان عبد الحميد. كانت منطقة ساسون مسرحاً لعمليات الإبادة وقد بلغ عدد الذين لاقوا حتفهم بين 1894 - 1896 أكثر من مئتي ألف أرمني.

لقد شهد هذا السلطان الحرب البلقانية الأولى (1912/10/18)، في أعقاب الحرب التي أعلنها الجبل الأسود ضد الدولة العثمانية قبل ذلك التاريخ بعشرة أيام فقط<sup>(1)</sup>.

كما شهد قيام أول تنظيم عربي معارض لسياسة الدولة في باريس (6/18/1913)<sup>(2)</sup>، واجهته الدولة بمجزرة 1915/8/21 ثم بمجزرة 1916/5/6<sup>(3)</sup>. وبذلك وسَّع الاتحاديون الهوة بين القوميتين العربية والتركية، ورسموا لإمبراطورية أجدادهم طريق الانهيار الكامل في أعقاب الحرب العالمية الأولى (1914 - 1918). في إطار هذه الأحداث - وقد أتينا على ذكر الأهم منها - وما رافقها من انعكاسات في داخل الإمبراطورية العثمانية، كان لا بد أن تتوضع في أركانها

---

<sup>(1)</sup> كانت مكدونيا قد وجهت في أواخر تشرين الثاني 1911 منشوراً حولت فيه أنظار العالم إلى ظلم الترك لغير المسلمين. وفي 1912/3/13 أبرمت الصرب وبلغاريا معاهدة سرية ضد الدولة العثمانية انضمت إليها اليونان في 1912/5/20. وبذلك أصبحت الأجواء مهيأة لاشتعال حرارة الحرب.

<sup>(2)</sup> انعقد المؤتمر في قاعة الجمعية الجغرافية في باريس بمبادرة من قادة جمعية "العربية الفتاة" والمقيمين منهم في العاصمة الفرنسية. انتخب المؤتمر عبد الحميد الزهراوي (1855 - 1916) رئيساً للمؤتمر. اشترك في المؤتمر ممثلون من مختلف الجمعيات العربية القائمة في الأستانة ودمشق وبيروت والقاهرة وعن مهاجري العرب في المكسيك وفي الولايات المتحدة الأمريكية. وأفصح المجتمعون عن الأفكار التالية: تتوقف قوة الدول على نظام الحكم فيها، ولذلك يجب أن تكون الحكومة العثمانية ديمقراطية وأن تتوفر للولايات حريتها الذاتية واستقلالها الإداري. وطالب المؤتمر بجعل اللغة العربية لغة رسمية في الدوائر المحلية، وأن يكون المسلمون والمسيحيون كلاً واحداً ضمن الأمة الواحدة - انظر المقررات في "ثورة العرب: 72 - 73" و"شهداء الحرب العالمية الكبرى: 18 - 19" و"نشوء القومية العربية: 153 - 154" و"محاضرات في نشوء الفكرة القومية: 220 - 222".

<sup>(3)</sup> بعد محاكمة صورية أدارها جمال باشا السفاح (1872 - 1922)، في عاليه بلبنان، أصدر الديوان العرفي حكماً بإعدام طائفة من المنتورين العرب، فتم إعدام اثني عشر متهماً في ساحة البرج ببيروت يوم 1915/8/21 وخمسة وثلاثين متهماً في ساحتي البرج والمرجة يوم 1916/5/6 وكان جمال باشا قد أوفد إلى دمشق قائداً للجيش الرابع فجاءها في 1916/5/6 متودداً إلى العرب تمهيداً لاستمالتهم نحو الدولة في حربها ضد الحلفاء.

المترامية الأطراف، شرقاً وغرباً<sup>(1)</sup>، ملامح فكرية كظاهرة من ظواهر الاستجابة أو الرفض، وإذا جاز لنا أن نسمي الأقطار التي بقيت خاضعة للحكم العثماني حتى سنة 1918 بأرض الاستجابة أو الرفض، فلكي ننتهي إلى توضيح رقعة هذه الأرض وحصرها، وبالتالي، في حدود واحدة من مدن الإمبراطورية الرئيسية في القرن التاسع عشر، ونعني بها مدينة دمشق. على أننا ونحن نستقصي أحوال المدينة إدارياً واجتماعياً واقتصادياً، نضعها في مرتبة المثال على ما كان يجري في أنحاء الإمبراطورية العثمانية. وبذلك، نبرر السبب الذي دفعنا لتجاوز الكل إلى الجزء من جهة، ونحقق، من ثم، غرض هذه الدراسة من جهة أخرى. هذا، مع يقيننا بأن الاجتزاء يبقى، بلا ريب، على صورة انكل في الجزء إن لم يضيف المزيد من الإيضاح عليه، وذلك لما عرف عن موقع دمشق، فوق مسرح أحداث القرن، ودورها في مواجهة تلك الأحداث.

فقبل الوجود المصري في سورية (1831 - 1840)، كانت دمشق مركزاً لإيالة الشام<sup>(2)</sup>. وعندما سادها إبراهيم باشا (1789 - 1848)، ألغى التقسيمات الإدارية العثمانية، وجعل المدينة مقراً لسلطته المركزية، وذلك بوصفه حاكماً عاماً، وقائداً أعلى للجيش. إلا أن عودة البلاد إلى حظيرة الدولة العثمانية، أحييت التقسيمات الإدارية التي كانت سائدة من قبل.

---

(1) استطاع السلاطين العثمانيون أن يجعلوا ممتلكات الإمبراطورية العثمانية تعتمد إلى حدود النمسا وإيطاليا، وبلاد الجزائر وطرابلس الغرب وتونس ومصر في إفريقيا الشمالية. وأخضعوا لحكمهم شبه جزيرة العرب وما وراء بغداد والموصل حتى الخليج العربي. كما بسطوا نفوذهم على سواحل البحر الأسود الجنوبية والشرقية وشبه جزيرة القرم ونحوم بولونيا. كما خضعت لهم بلاد الشام: سورية ولبنان وفلسطين.

(2) منذ بداية القرن الثامن عشر وحتى العام 1831، اشتملت بلاد الشام على ثلاث إيالات هي: إيالة الشام، وإيالة حلب، وإيالة طرابلس. وكانت إيالة الشام تضم عدداً من الألوية (Sancak سنجق: علم) هي دمشق، القدس، غزة، نابلس، عجلون، صدد، صيدا، بيروت، الكرك، الشوك.

وبقيت كذلك إلى حين صدور قانون تنظيم الولايات (1864/11/8)<sup>(1)</sup>، فسميت دمشق مركزاً لولاية سورية، يقيم فيها الباشا الوالي وأركان جهازه المدني والعسكري<sup>(2)</sup>. وبموجب هذا القانون أعطي الوالي صلاحيات جعلته، يحتفظ لنفسه، بين رعيته على الأقل، بمقام رفيع. ومن مظاهر هذا المقام الألقاب التي اقترنت بمنصبه ومنها: سعادة ولي النعم، الدستور، الوقور، الأفخم، المشير المعظم، أصفي الشيم<sup>(3)</sup>. إضافة إلى مظاهر استقباله عند قدومه إلى دمشق، كأروع ما يكون الاستقبال<sup>(4)</sup>. على أننا، من تتبع حركة تعيين الولاة وعزلهم، نتلمس موقع هؤلاء الولاة الحقيقي من مراكز النفوذ في الدولة. فقد شهدت دمشق بين الفترة (1800 - 1918) ثمانين والياً<sup>(5)</sup>. وكان منهم من يأتيه خير عزله قبل دخوله دمشق، أو أثر مكوثه فيها أياماً قليلة، فيغادرها معزولاً حيناً، طريداً حيناً آخر. ومع أن فرمان التعيين كان يصدر لعام واحد، فإن التجديد كان أمراً اعتيادياً، ومتوقفاً إلى حد بعيد على جهد الوالي في تغذية خزانة الحكومة<sup>(6)</sup>. ومن الواضح أن أمراً كهذا يؤدي إلى اضطراب أحوال الولاية بأسرها، سواء من الناحية الإدارية أو

---

(1) قسمت البلاد الخاضعة للحكم العثماني، بموجب هذا القانون، إلى ثلاثين ولاية يدير كلأ منها وال يعين بإرادة سنوية تصدر عن السلطان، وقسمت الولاية بدورها إلى مجموعة من الألوية يدير كلأ منها متصرف، والألوية قسمت إلى أقضية يدير كلأ منها قائمقام، وقسمت الأقضية إلى نواح يدير كلأ منها مدير للناحية، والناحية إلى قرى، والقرى إلى مزارع.

(2) أبرز رجال هذا الجهاز المقيمين بدمشق: الدفتردار، القاضي، المكتوبجي، مدير المعارف، الآلاي بك، مفتش العدلية، مدير المصالح الأجنبية، مدير تحرير الوريكو، مدير الدفتر الخاقاني، باش مدير التلغراف والبوستة، محاسبة الأوقاف، السر تحصيلدار، ناظر النفوس، مدير أوراق الولاية، بيطري الولاية.

(3) كلمة آصف تعني باللغة الفارسية: وزير. لقب يمنح للوزراء.

(4) جرت العادة أن يقرأ فرمان السلطاني الخاص بتوجيه الولاية إلى الوالي بعد انتهاء مراسم الاستقبال التي يشارك فيها كبار الضباط والموظفين ورؤساء الطوائف بألبستهم الرسمية.

(5) انظر ملحق ولاة دمشق خلال الفترة المذكورة.

(6) بلغ عدد الولاة العثمانيين الذين حكموا دمشق من عام 1516 إلى عام 1918، (270) والياً.

الاقتصادية أو الاجتماعية. وإذا ما استثنينا عدداً قليلاً من هؤلاء الولاة، فمن سنحت لهم الفرصة للتفاعل مع المعطيات الحضارية - بالنسبة إلى ذلك العصر - فقلما نجد في عهد أحدهم إنجازاً يستحق الذكر، اللهم إلا السعي للاستئثار بالحكم، وجمع الأموال، وقتل الناس أو زجهم في السجون، وبث الفرقة بين الطوائف. ومن الواضح، أيضاً، أن أمراً كهذا محتمل الوقوع، ومبرر إلى حد ما. ذلك، بسبب دأب الباب العالي على ممارسة سياسة إضعاف مراكز الولاة وتجريدهم من سلطاتهم، الممنوحة لهم، خلافاً لكل نهج معلن أو نظام منشور<sup>(1)</sup>.

فإذا جاز لنا الآن، أن نتلمس انعكاسات هذا الوضع على الأحوال الداخلية في مدينة دمشق، وضحت أمام أعيننا صورتها، في فترة دراستنا، على رقعة الإمبراطورية العثمانية. والصورة - كما أسلفنا - جزء يتمثل فيه الكل على أية حال.

● فمن الناحية الإدارية: لم تعرف دمشق، طوال القرن التاسع عشر، مثلما لم تعرف من قبل، استقراراً في أنماط الحكم. فأدى ذلك إلى تناحر المتنفذين، عسكريين ومدنيين، حول مراكز السلطة. وكان من نتائج هذا التناحر، وفوضى الإدارة، العبث بمقدرات الأهلين، وحرمانهم من الشعور بالأمن.

● ومن الناحية الاقتصادية: فقد أزهق الأهلون بالضرائب، مما أدى إلى تخلف الإنتاج، وساعد، بالتالي، على نمو طبقة من المتنفذين وتسلب الإقطاع على الفلاحين والحرفيين الصغار. إلى جانب حرمان المدينة من المرافق الحيوية كالطرق. كما ازدادت نسبة الهجرة إلى خارج البلاد، إلى مصر، وبعض الأقطار الأوروبية. وفقدت بذلك دمشق، قسماً لا يستهان به من وسائل الإنتاج.

---

<sup>(1)</sup> صدر في سنة 1864 كما أشرنا قانون لتنظيم الولايات. منح هذا القانون الوالي سلطة الإشراف على الأمور المالية، ومنها الجباية، كذلك سلطة الإشراف على الشؤون الثقافية (المعارف)، والتجارة، والزراعة، والأمن، وفي سنة 1871 صدر نظام آخر سمي بنظام إدارة الولايات العمومية. رسخ هذا النظام تلك السلطات، وإن يكن قد رافق صدوره تجريد الوالي من إمارة الحج بإرادة سنوية، حيث ألحقت هذه الوظيفة بأمر خاص.

ومن الناحية الاجتماعية: فقد حرص غالبية الولاة على كبت حريات المواطنين، والإيقاع بين طوائفهم تبعاً لأهوائهم في ممارسة سلطاتهم. فعزل الناس، بذلك، عن مجارة روح العصر وتتيح الأنشطة الفكرية خارج حدود مدينتهم وولايتهم بحرية. فتكونت لدى سكان المدينة، تلقائياً، مواقف سلبية تجاه أية محاولة من محاولات الإصلاح، إلا فيما ندر.

بدأت صورة دمشق تتجلى، على هذا المنوال، بمقدم واليها أحمد باشا الجزائر (1722 - 1804) في بداية القرن التاسع عشر. وكانت ولايته الرابعة<sup>(1)</sup> على مدينة دمشق في سنة 1803، امتداداً لسنوات خلت من الظلم، ذاق خلالها الدمشقيون من طغيانه الأمرين. فقد اصطبغ عهد الجزائر بالسلب والتعذيب والقتل<sup>(2)</sup>. وبموته (1804/4/24) تنفس الناس الصعداء، وما كانوا ليصدقوا الخبر لولا تواتره من عدة جهات. ومن قصيدة قيلت في موته:

واقى السرورُ وصحَّ ترجيحُ الأملِ      بهلاكِ غاشمٍ لا يُعادِلُهُ مثلُ  
عينُ المظالمِ والمآتمِ والردي      شرُّ العوالمِ إنْ تفكَّرْ أو عمِلْ  
أحمدٌ ولكنْ ليس يُحمدُ بالورى      مغضوبٌ في ثوبِ المساويِ قد دَخَلَ  
جزارٌ لكنْ للفضائلِ جازرٌ      مُهدى ولكنْ بالردائلِ قد حفل

<sup>(1)</sup> ولي أحمد باشا الجزائر على دمشق للمرة الأولى سنة 1784، فاستقام فيها حتى عزل بعد سنتين. ثم ولي عليها مرة ثانية سنة 1790 فاستقام فيها حتى عزل بعد خمس سنوات، وتولاها ثالثاً سنة 1798، إلا أنه استقال في السنة التالية، حتى يتمكن من تحصين عكا أثناء غزوة نابليون بوناپرت لمصر.

<sup>(2)</sup> في "روض البشر" لمحمد جميل الشطي، و"تاريخ حوادث الشام ولبنان" لميخائيل مشاقة، و"الروضة الغناء" لنعمان قساطلي، و"حلية البشر" للشيخ عبد الرزاق البيطار، و"منتخبات التواريخ لدمشق"، لمحمد أديب آل تقي الدين الحصني، وفي كتب أخرى، صفحات وصفحات عن أخبار الجزائر في البطش بالأهلين والتكثير بأعيان دمشق وعلمائها.

إلى أن يقول الشاعر:

لله دركٍ يا منونٌ فقد بدتْ منك الحياة وطاب حكمك واعتدلْ  
فاز الأنامُ وأرخواه بمقصدٍ هلك الشقيُّ وإلى جهنمٍ قد رحل<sup>(1)</sup>

وعندما ولي كنج يوسف باشا<sup>(2)</sup> على دمشق سنة 1807 "دخل الخوف على الجميع"<sup>(3)</sup>. وكان أول ما فعله هذا الوالي، بعد تسميته حسن آغا تمر عميد الإنكشارية، كتحذاه<sup>(4)</sup>، هو حرمانه النصارى من شرب الخمر، ودخول الحمامات مع المسلمين، وإلزامهم - رجالاً ونساء - بارتداء السواد حتى الحذاء، ومطالبتهم بدفع الجزية سلفاً عن السنة المقبلة من فترة ولايته، فساعد هذا الإجراء على اضطهاد المسيحيين وإهانتهم وطردهم من منازلهم<sup>(5)</sup>.

(1) لم نعثر على اسم ناظم القصيدة، وربما أغفل ناظمها اسمه مغية أن يتعرض له أنصار الجزائر، أو بدافع الخوف المترسب في أعماقه. نحمد القصيدة كاملة في "منتخبات التواريخ لدمشق" 1 : 225، و"تاريخ حوادث الشام" : 70 وفي كتاب "الروضة الغناء : 85" هذان البيتان في تأريخ وفاة الجزائر:

هَلَكَ الْجَزَارُ وَلَا عَجَبٌ وَمَضَى بِالْحِزْبِيِّ وَالْإِنَّمِ  
وَمِيمَتِهِ الْبَارِي عَنَّا أَرْخَ قَدْ كَفَّ يَدَ الظُّلْمِ

وفي "تاريخ حوادث الشام : 14 - 15" إن سكان دمشق أخذوا يطاردون أعوان الجزائر وحاشيته ويقتلونهم بعد التعذيب.

(2) لقب بدالي باشا (أي الباشا المجنون أو المتهور).

(3) ميخائيل مشاقة. "تاريخ حوادث الشام ولبنان" : 19.

(4) بمعنى رئيس الأتباع في القصر.

(5) كان التضييق على المسيحيين في عهود الولاة السمة الظاهرة لطراز حكم العثمانيين. ففي عهد الوالي عبد الرؤوف باشا الذي ولي على دمشق سنة 1827، تطاول الناس على نصراني فحشروه في السكة وصاروا يطعنونه بالعلامات، وشلوه كثيراً فوقع ميتاً وحملوه على حيوان جابوه لبيته ثم دفنوه. ولما انعرض أمر القتل على عثمان باشا الذي هو كتحذاه عبد الرؤوف باشا أوجب أنه لو كان الذي قتلوه مسلماً كان ينسئل عنه، وأما حيث هو نصراني فليس له غائلة ولا ينسئل عنه "تاريخ حوادث الشام ولبنان" : 49.

أما محمد سليم باشا ( - 1831) الذي شارك في القضاء على الإنكشارية يوم كان صدراً أعظم (1826)، فقد جاء دمشق والياً عليها في سنة 1830. وبدأ محمد سليم باشا عهده بجمع ضريبة عن كل حانوت في المدينة، فأهاج الناس بذلك ضده. وبلغ الأمر به أن لاذ بقلعتها فقصفتها بالمدافع حتى ألحق بها الحرائق والدمار، وبقي كذلك إلى أن تمكن خصومه منه فأحرقوه بالنار، وكان قد التجأ إلى بيت القاضي في أحد أحياء المدينة يعرف الآن بالعصرونية.

وهكذا إلى أن تم الفتح المصري للمدينة (1831)، فعرفت دمشق استقراراً نسبياً، وذلك بفضل ما أوتي به إبراهيم باشا من الحكمة في معالجة الأمور حيث إنه عرف لدمشق حقها فأنزله منزلتها<sup>(1)</sup>. ففي عهده، تم تنشيط الزراعة والتجارة والسياحة. كما تم الضرب على أيدي العابثين بأمن البلاد والمتلاعبين بمقدراتها الاقتصادية. ويعود الفضل في هذا كله إلى إجراءاته الإصلاحية في حقل الإدارة والتنظيم. وفي عهده أيضاً، سمح للدول الأجنبية بتسمية قناصل لها في كل من دمشق وحلب.

وما كاد عهد إبراهيم باشا ينقضي (1840)، حتى شهدت دمشق سلسلة من الولاة العثمانيين، كان أفضلهم أميل إلى المفاسد والمكائد. حتى جاءها مدحت باشا (1822 - 1883)<sup>(2)</sup> في سنة 1878، فكان لولايته أثرها العميق في تطور دمشق، حضارياً وفكرياً بوجه خاص<sup>(3)</sup>. إلا أن عهده لم يدم طويلاً، فقد نقل إلى أزمير (1880)، ومن ثم حوكم بتهمة قتل السلطان عبد العزيز، واغتيل في سنة 1883 بتحريض من السلطان عبد الحميد الثاني.

تلاه من ولاة دمشق راشد ناشد باشا في سنة 1883، كان هذا الوالي في بداية عهده ذا همة ملحوظة لإدارة شؤون الولاية، بيد أنه، كمعظم الذين سبقوه،

(1) ميخائيل مشاقة. "تاريخ حوادث الشام ولبنان" 1 : 262.

(2) لقب بالحافظ لحفظه القرآن الكريم. كان اسمه الحافظ أحمد شفيق. أما لقب مدحت الذي

غلب عليه فهو اسم ديواني - "رعماء الإصلاح في العصر الحديث" : 31.

(3) في الفصل التالي نتبع أثر ولايته على النشاط الفكري بدمشق تفصيلاً.



سرعان ما انساق وراء جشعه ، فتفشّت الرشوة في عهده ، وتكاثر من حوله أصحاب الأغراض والمطامع ، إلى أن انتهت مدة ولايته بعد ثلاث سنوات. وفي سنة 1892 جاء دمشق ، والياً عليها وللمرة الثانية ، عثمان نوري باشا<sup>(1)</sup>. وكان لهذا الوالي "طرق غريبة في الرشا واستخراج أموال الناس واحتيال عجيب على الأغنياء ، فجمع بذلك أموالاً طائلة ، ولم يكن يهمنه من أحوال البلد شيء إلا اضطهاد الدراهم والدنانير وإيقاع التفرقة بين الوجهاء ليبقى آمناً من ناحيتهم وبحول دون اتحادهم ضده"<sup>(2)</sup>.

وبخليفته الوالي حسين ناظم باشا ، الذي ساعد في أعمال الفتن بالأرمن أثناء ولايته الأولى (1895) ، وكان الساعد الأيمن لجماعة الاتحاد والترقي بدمشق ، خلاف فترتي وليته (1909) و(1911) ، تنقضي فترة الاستكانة. وبدأت دمشق ، من بعدها ، يقظتها القومية العربية. فجزت هذه اليقظة ، جرائم جمال باشا السفاح (1872 - 1922) ، الذي وصل دمشق قائداً أعلى للجيش العثماني الرابع (1916). وفي زمن آخر ولاية الدولة العثمانية ، رافة بك الذي جاءها في سنة 1917 كان أفول نجم آل عثمان بدخول الجيش العربي دمشق في سنة 1918.

يتضح لنا مما سبق ، أن دمشق بقيت في إطار هذه الصورة الشاملة ، خلال فترتين رئيسيتين من تاريخها في القرن التاسع عشر. الفترة الأولى منهما كانت في العهد العثماني الأول قبل الوجود المصري ، والفترة الثانية بعد عودتها إلى ركاب الدولة العثمانية ، وبخاصة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني. ففي خلال الفترة الأولى ، شغلت الدولة - كما أوجزنا - بمفاسد الإنكشارية ، وطفيان الولاية ، والحروب الخارجية ، والثورات التي قامت في أرجاء مختلفة من الإمبراطورية. ولم تتمكن الدولة من إنجاز عمل يستحق التوقف عنده سوى القضاء على الإنكشارية (1826). وبعد خروج المصريين ، غرقت البلاد بالصراعات والفتن ، وكان ما أصاب دمشق منها فتنة عام 1860 ، فيما اتسعت رقعة الحروب وأطماع الدول

(1) جاءها والياً للمرة الأولى سنة 1889.

(2) محمد أديب تقي الدين الحصني. "منتخبات التواريخ لدمشق" 1 : 275 - 276.

الأجنبية في ممتلكات الإمبراطورية. وبمجيء السلطان عبد الحميد الثاني إلى سدة الحكم، زال كل أثر لمحاولات الإصلاح التي ابتدأت بخط كلخانه (1839)، وانتهت بإعلان دستور (1908)، مروراً بخط التنظيمات الخيرية (1856)، ودستور (1876).

وقد كان للفترة الفاصلة بين هاتين الفترتين، وهي السنوات الممتدة بين (1831 - 1840) الفضل في حمل دمشق على استعادة بعض ثقتها بالمستقبل. وبالتالي حمل المتورين من أبنائها كي يؤدوا دورهم الفكري، وتوكيداً لتلك الثقة بالمستقبل، وترسيخاً لها في ضمير الجيل الذي شهد، أو شارك في تحدي السلطة الطاغية وزعزعتها.

على أن أهم خصائص العصر تتركز، ولاشك، حول تواتر الأحداث وتلاحقها، بالسرعة التي شهدناها. وقد كان لذلك أثره البالغ في حمل السلطة على اتخاذ مواقف - أشبه ما تكون بردود فعل - تمثل فيها الانفعال، مثلما تمثل فيها الغضب والسرعة. فعلى الصعيد الداخلي، تبدى تحبط الدولة في محاولات تطويق النتائج التي أسفرت عنها أحداث العصر. ومن المؤشرات التي تدلنا على ذلك، استبدال الولاية المتسارع، حتى إن كثيرين منهم أقيلوا بعد أيام أو شهور قليلة من ولايتهم، وبينهم من أعفي من الولاية قبل استلام عمله، وبينهم أيضاً من أعيد تكليفه لأغراض غير مبررة. هذا، إلى جانب عمليات الترميم الإداري التي تجسدت في إصدار التشريعات المختلفة، وتلاحقها كتلاحق الوقوعات السياسية خارج وداخل الإمبراطورية العثمانية. وأما على الصعيد الخارجي، فقد تميز العصر، بوقوع الدولة في خضم التيارات السياسية الدولية، وفقدان قدرتها على مواجهتها بالصلافة المطلوبة، وإلى حين وصول السلطان عبد الحميد الثاني على الأقل.

ذلك كله، يشير إلى أن الدولة العثمانية، رغم تعاقب السلاطين، والولاية، والتشريعات الإصلاحية النكهة، بقيت عاجزة عن استيعاب المرحلة التي اقتضت دخولها في أجواء النزاعات الدولية، ولم تتمكن من اجتياز منعطفات العصر الخطرة، ففقدت بذلك فاعلية التأثير على ما يدور بداخلها أو حولها. فكان طبيعياً، من بعد، أن تنكمش على نفسها، وتتقلص إلى حدودها المرسومة لها خلافاً لأطماعها في التوسع والانتشار.

## الفصل الثاني

### منابع الثقافة

ربما يتبادر إلى ذهن القارئ، أن تخلف الثقافة في بعض البلاد الشامية، ومنها ولاية سورية على وجه الخصوص، مرده إلى مشاغل الدولة السياسية وأعبائها المالية الناجمة عن متطلبات الفترة الصعبة من أيامها الأخيرة فوق الأرض العربية. إن ذلك، وإن لامس الحقيقة من بعض جوانبها، إلا أنه لا يشكل الحقيقة كلها. نقول هذا من منطلق التذكير بطبيعة العلاقات بين نظام الحكم، وجماهير المواطنين في ولايات الدولة. فقد كان من أهداف النظام، الحفاظ على جميع أنماط التخلف الثقافي والاقتصادي والاجتماعي لرعايا الدولة، وبخاصة رعاياها من أبناء العرب. وعمدت الدولة إلى سياستها هذه بهدف الحؤول دون إنارة أبصار الناس على مفاصد النظام، بمقارنة ما يجري داخل الولايات وخارجها. ومع اتضاح قدرة النظام على حجب الضوء عن عقول الناس، بإقفال منافذ المعرفة لفترة طويلة من الزمن، فقد أثبت عجزه، من ناحية أخرى، عن إخماد الدوافع الذاتية لدى النابهين من سكان الولايات، للوصول إلى منابع المعرفة. وفي هذا الصدد، وجدت الدولة نفسها أمام عدة اختيارات، في ولاية سورية عموماً ودمشق خصوصاً. من تلك الاختيارات ما حملها على توفير أدوات المعرفة الجماهيرية، كالمطبعة والصحيفة والمدرسة الرسمية، مستهدفة خدمة أغراضها بالدرجة الأولى. ومنها ما جعلها ترسخ لتوفيره كسماحها لحركة التبشير بالنمو والاتساع. ومنها ما كان مسابرة للظروف أو تمشياً مع التقاليد، فأدى ذلك إلى ظهور المسرح. ومنها ما جاء رغباً عنها، كالنادي الأدبي والسياسي. فتكونت، من ذلك كله، أطر ثقافية استطاع

الناس ، على ضيقها حيناً والتضييق عليها أحياناً كثيرة ، التعرف من خلالها على قضايا فكرية معاصرة لهم ، واستنباط ما يتلاءم وأمانهم للمستقبل .  
وسواء أكانوا منفعلين أو فاعلين ، فلقد أسفرت هذه المعادلة الجديدة في عصرهم ، عن نتائج لا يستهان بها ، من حيث اغتناء الحركة الأدبية في دمشق ، بما كانت تفتقر إليه على مدى عصور التسلط العثماني .

## التعليم

لم تعرف سورية - قبل وبعد أن غدت ولاية سنة 1864 - حياة تعليمية بالمعنى المعاصر لهذه العبارة . ومرد ذلك إلى عدة اعتبارات ، منها ، اندثار المدارس التي كانت موجودة قبل الفتح العثماني وأثناءه<sup>(1)</sup> ، وفقدان المدارس الحديثة بسبب إهمال الدولة لهذا القطاع واكتفاء الأهلين بما لديهم من فرص التعليم في الجوامع والزوايا<sup>(2)</sup> والخوانق<sup>(3)</sup> ، والكتاتيب<sup>(4)</sup> ، حيث يتعلم الأولاد مبادئ القراءة والكتابة وطرفاً من الحساب ويحفظون القرآن . هذا ، فيما يخص أبناء المسلمين على الأقل .

---

(1) انظر : الشيخ عبد القادر بدران . "مناداة الأطلال ومسامرة الخيال" . ففيه استعراض لنشأة مدارس دمشق واندثارها حتى مطلع القرن العشرين .

(2) الزاوية ، هي المكان المعد للأعمال الصالحة وللعبادة ، وقد كانت ركناً من أركان الجوامع في البدء ثم اتخذت شكل دور أو مساجد صغيرة .

(3) خانقاة (ويقال خانكاه ، وخونكاه) أي الموضع الذي يأكل فيه الملك (في القرن السادس للهجرة) . وهي زوايا للصوفية ، وأول من بناها السلطان صلاح الدين . (انظر : "مناداة الأطلال" : 272 ، و"منتخبات التواريخ لدمشق" 3 : 1961) .

(4) مفرداً كتاب . هي أشهر مواطن الثقافة شيعياً بين الناس في عهد العثمانيين . يقال لمؤدب الأطفال شيخ الكتاب . وصفه في "قاموس الصناعات الشامية 2 : 408" وهو من يلقن الأطفال حروف الهجاء وقراءة القرآن والكتابة والحساب . والعادة - كما في المصدر المذكور - أن يأخذ شيخ الكتاب من الأولاد خميسية ، في كل يوم خميس ، من خمس وعشرين بارة إلى قرش عن كل ولد . وكان بعض شيوخ الكتاب يأخذون أجرهم مشاهرة من ستة قروش فصاعداً ، وتجدد في بعض الكتاب ما يقرب من متي صبي الأمر الذي ساعد بعض هؤلاء الشيوخ على الحياة برفاه .

وأما أبناء الطوائف المسيحية، فقد حظي هؤلاء بمعارف مماثلة ولكن في كنائس الولاية وما يتصل بها من أديرة.

بقيت الدولة، من حيث اهتمامها بشؤون الولاية الداخلية، بعيدة عن رفق هذا القطاع بما يكفل له الانتظام والتطور، وحتى قبيل خروج المصريين من البلاد، تجاوزته صراحة، في خط كلخانة الذي أعلنته بتاريخ 1839/11/3<sup>(1)</sup>، فيما أحاط الخط نفسه بقضايا أخرى عديدة، كمنح الرعية الأمانة على الروح والعرض، والوعد بإصلاح الإدارة والقضاء، وإجراء القرعة العسكرية، وإلغاء نظام الالتزام، ومكافحة الرشوة، واحترام القوانين وغير ذلك. وهكذا، وبرغم صدور الخط في زحمة الأحداث التي سبقت الإشارة إليها في الفصل السابق، فإنه لم يقدم أية خدمة للحياة التعليمية في سورية، فبقي التعليم على حاله، متخلفاً، مزاجياً، لا تتعدى أغراضه الوقوف على شاطئ المعرفة<sup>(2)</sup>. وفي ذلك توكيد لسياسة الدولة فيما يتعلق بإقصاء رعاياها عموماً، والعرب منهم خصوصاً، عن أسباب النهضة الفكرية، التي قلبت وجه أوروبا حضارياً وثقافياً.

على أن ردة الفعل التي أحدثتها الحملة الفرنسية والوجود المصري في بلاد الشام، وما رافق ذلك كله من الاحتكاك بثقافة الغرب، كانت بلا ريب، من جملة

---

(1) ترجمة الخط تجده لدى إبراهيم أفندي، "مصباح الساري ونزهة القارئ": 282 - 285 و: "حسر اللثام عن نكبات الشام": 46 - 48.

(2) بعد حديث مسهب عن فضل المدرسة والمدرس في القديم، وأسلوب التعليم الذي كان متبعاً لنشر المعارف بين طلال العلم، يقدم الشيخ عبد القادر بدران في كتابه "منادمة الأطلال 105" صورة المدرسة في عهده (وفاته سنة 1927) على الوجه التالي: ويكفي أن يكون المدرس قد حفظ كلمات عن ظهر قلبه فإذا كانت ساعة الميعاد جلس متصدراً، وجلس العلماء والأمرء عن يمينه وشماله افتخاراً، ثم شرع كالمهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد، فيقرأ ذو صوت رخيم حزياً من القرآن، ثم يقرأ المعيد عبارة الكتاب، ثم يسرد المدرس ما كان يحفظه، ولا سائل ولا مسؤول، فإذا وجد أحد غريب وسأل مسألة، انتهره الحاضرون وأسكتوه وهكذا شأن العلم في أيامنا.

الأسباب المباشرة التي اضطرت الدولة، فيما بعد، إلى استصدار الخط الهمايوني الثاني في 18/2/1856. والذي عرف بخط 'التنظيمات الخيرية'<sup>(1)</sup>.

ونص هذا الخط على وعد بإجراء إصلاحات تشمل قطاع المعارف كما تشمل قطاعات المالية، والمواصلات، والزراعة، والتجارة. وبقي هذا الوعد حياً على ورق، أيضاً، حتى إعلان نظام إدارة المعارف في سنة 1869. فكان صدوره، من حيث أثره في الحياة التعليمية، عاملاً مكنّ والي دمشق مدحت باشا فيما بعد من ممارسة سياسة تعليمية مغايرة لما كان يجري في السابق<sup>(2)</sup>. فبينما كانت هذه الحياة تنساب بين الجوامع<sup>(3)</sup> والكتاتيب، وفي البيوت حيث تقام حلقات الدروس المكرورة<sup>(4)</sup>، ألقى هذا الرجل وبما عرف عنه من تبنيه لسياسة إصلاح مرافق

---

أعلن السلطان عبد المجيد هذا الخط أثر انتصار الدولة العثمانية وحلفائها (إنكلترا، فرنسا، إيطاليا) على روسيا في حرب القرم، وقبل أسبوع من مؤتمر باريس. وأقر السلطان بموجبه كافة المبادئ التي وردت في خط كلخان لعام 1839. وأضاف عليه تحقيق الامتيازات للطوائف غير الإسلامية. وحفظ حقوق الرعايا في الوظائف، كذلك إنشاء المحاكم المختلطة، والوعد بالسماح للأجانب بالتملك في أرجاء الدولة العثمانية، وغير ذلك مما يسوي علاقة الدولة، ولو ظاهرياً، بدول أوروبا الحليفة. انظر ترجمة الخط في: نوفل نعمة الله نوفل. "الدستور": 5 - 10. وثمة خلاصة ضافية عنه في: عبد العزيز محمد عوض. "الإدارة العثمانية في ولاية سورية" 27 - 29.

<sup>(2)</sup> نستثني من قولنا هذا الفترة من 1831 - 1840. ففي خلال هذه الفترة قام إبراهيم باشا بوضع نظام للتعليم (1834) مستوحى مما أنشأه محمد علي باشا بمصر. ومنذ ذلك الحين بدأ التعليم ينتشر بين الأهلين، ولاسيما، كما يقول شاکر مصطفى في كتابه "القصة في سورية: 21" بين المسلمين، لأن طلاب المدارس الأميرية (الرسمية) كانوا كلهم منهم. وفي هذا الصدد يضيف د. محمد بديع شريف في كتاب "دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة: 28" قائلاً: كان برنامج إبراهيم باشا يرمي إلى تأسيس المدارس الابتدائية في أنحاء البلاد جميعها، والمدارس الإعدادية في المدن الرئيسية بما في ذلك الكليات العسكرية. وقد بلغ عدد طلاب كلية دمشق في عهده 600 طالب.

<sup>(3)</sup> أكبرها الجامع الأموي في دمشق.

<sup>(4)</sup> جاء في كتاب محمد كرد علي "كنوز الأجداد: 17": كان من عادة أعياء العلم من الشيوخ أن يرغبوا الناس عن الدرس ليخلو لهم الجو ويستمتعوا وحدهم بالنصاب الدنيية

←

للولاية، بكل ثقله في مجال التعليم بغية النهوض به وتطويره.  
قضى نظام إدارة المعارف بتقسيم الدراسة الحكومية في أرجاء البلاد إلى خمس  
مراحل هي<sup>(1)</sup>:

1- المرحلة الابتدائية (في كل قرية أو قريتين): مدة الدراسة في هذه المرحلة  
أربع سنوات، يلقن خلالها الطلاب العلوم الدينية والقراءة والكتابة (بالتركية)  
والحساب والجغرافيا والتاريخ.

2- المرحلة الرشدية: (في كل بلد يزيد عدد بيوته على خمسمئة بيت). مدة  
الدراسة في هذه المرحلة أربع سنوات، يلقن خلالها الطلاب العلوم الدينية واللغة  
التركية ومبادئ اللغتين العربية والفارسية.

3- المرحلة الإعدادية: (في مراكز الأفضية والألوية التي يزيد عدد بيوتها على  
ألف بيت). مدة الدراسة في هذه المرحلة ثلاث سنوات، يلقن خلالها الطلاب اللغة  
التركية والحساب والهندسة.

4- المرحلة السلطانية: (تقتصر على مراكز الولايات) وهي قسمان:

1- قسم عال: وفيه شعبتان الأولى منهما للأدب والأخرى  
للعلوم. مدة الدراسة فيه ست سنوات.

2- قسم عادي: مدة الدراسة فيه ثلاث سنوات.

---

والأوقاف والمدارس والجوامع، لا ينازعهم أحد في شؤونهم، ما خلا أبناء بيوت محدودة  
عن هم على شاكلتهم والاستئثار بمرافقها. وفي مقدمة كتاب "صفحات من تاريخ النهضة  
العربية: ج" يقول ظافر القاسمي: كان رجال الدين، إلا من عصم ريك، غارقين في  
الكتب التي ألفوها، من متون الفقه وبعض كتب اللغة التي كانوا يسمونها "الآلة" فلا  
تفسير ولا حديث ولا برهان ولا إعمال للعقل ولا ترويض للفكر. أما العلوم الحديثة،  
كالجغرافية والتاريخ والهندسة والكيمياء والفيزياء فدراستها حرام وتدرسيها كفر، أما  
الاجتهاد والقائلون ببقائه أو استمراره، ففاسقون مارقون، أو كافرون ملحدون. ومن اتهم  
به ألفت له محاكم استثنائية وحوكم بالحبس.

<sup>(1)</sup> انظر عبد العزيز محمد عوض، "الإدارة العثمانية في ولاية سورية" 254 - 263.

5- المرحلة العالية: (في عاصمة الدولة فقط) وتشمل داراً للمعلمين وأخرى للمعلمات وثالثة للفنون، وثمة أيضاً مكاتب للفنون والصناعات المختلفة.

وأما المدارس الخاصة (أي الأهلية ومدارس الإرساليات التبشيرية) فقد عرفها النظام المذكور بأنها "المكاتب التي تحدث في بعض المحلات وتؤسس من قبل جمعيات أو أفراد سواء أكانوا هؤلاء من رعايا الدولة أو من الأجانب"<sup>(1)</sup>. وهي:

1- المدارس الأهلية أو الوطنية: ويعود الفضل في تأسيسها، بادئ ذي بدء، إلى الجمعيات الإسلامية في ولاية سورية، وإلى أهل البر والإحسان في مدنها وقراها. وقد كان لجهود مدحت باشا، أثرها في زيادة عدد المدارس في سورية على قصر مدة ولايته لها<sup>(2)</sup>، إذ تأسست في عهده "جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية"، فأنشأت في وقت قصير عدداً من المدارس "لبث روح التعليم في أرجاء الولاية، منها ثماني مدارس للذكور والإناث في دمشق"<sup>(3)</sup>.

2- مدارس الإرساليات التبشيرية: بدأت أول إرسالية للأباء اللعازارين عملها في دمشق سنة 1755. وبعد حوالي عشرين سنة أسست فيها مدرسة للذكور. غير أنها توقفت بعد ذلك التاريخ بوقت قصير، فترة طويلة قاربت المئة سنة بسبب ما شهدته البلاد خلالها من أحداث سياسية أدت إلى قطع صلاتها بالغرب. وبقيت جهود الإرساليات التبشيرية مقيدة أو مجمدة بمعنى أدق، حتى أطلقها إبراهيم باشا في عهده. وبينما يرى بعض المؤرخين<sup>(4)</sup> أن وظيفة المدرسة الأجنبية كانت ترمي إلى

(1) نفسه.

(2) بلغ عدد مدارس سورية في سنة 1869، خمساً وأربعين مدرسة، تضم 494 تلميذاً.

(3) في: سامي الكيالي، "الأدب العربي المعاصر في سورية: 11" أن مدحت باشا كان أول من أنشأ في سورية مدارس مدنية (أهلية) وفي: أحمد أمين، "زعماء الإصلاح في العصر الحديث: 55" إنه إضافة إلى تشجيع الجمعيات جمع الإعانات لفتح المدارس وإصلاح المساجد لجعلها مدارس، مستعينا بأموال الأوقاف. وإنه وضع عقوبة لولي أمر الطفل إذا بلغ ابنه السادسة من العمر ولم يرسله إلى المدرسة.

(4) منهم د. مصطفى خالد و د. عمر فروخ في "التبشير والاستعمار في البلاد العربية". ومحمد سعيد الجابري في "التبيين في الرد على المبشرين"، ومحمد سعيد العرفي في "سر انحلال الأمة



وضع النير الأوروبي في أعناق المسلمين أولاً ، وانحلال الرابطة الإسلامية ثانياً ، والتبشير بالنصرانية ثالثاً ، يرى عدد غير قليل من دارسي وظائف هذه المدارس نقيض ذلك<sup>(1)</sup> ، فيؤكدون على الدور الهام الذي اضطلعت به مدارس الإرساليات التبشيرية في تنبيه الوعي القومي ، وتعليم اللغات الأجنبية ، وإدخال العلوم الحديثة في مناهج الدراسة ، لجعل التعليم في البلاد أكثر ملاءمة لحاجات ذلك العصر .

وعندما نعود إلى دور الوالي مدحت باشا في مضمار التعليم ، باعتباره امتداداً لمبدأ العناية بالشؤون التعليمية ، مهما كانت أشكالها أو أغراضها ، نجد أن مسعاه قد انتهى إلى ما انتهت إليه مساعي إبراهيم باشا من قبل . فهذا أطاحت به السياسة الدولية التي قضت بإخراجه من بلاد الشام كلها ، وذاك أطاح به السلطان عبد الحميد ، بعد أن أوغروا صدره بالقول "إن مدحت باشا إنما يرمي بإصلاحاته ، ومنها إصلاح مرافق التعليم ، إلى انتزاع ولاية سورية من جسم السلطنة والاستقلال بها لنفسه"<sup>(2)</sup> . وقضي ، بذلك ، على أجرأ محاولتين للرقعي بقطاع التعليم في أرجاء الولاية .

بيد أن هاتين المحاولتين ، وإن واجهتهما الدولة بمحاولات القضاء على نتائجهما الدولية ، فقد كانتا من الأسباب الرئيسية التي حملت حكومة الأستانة على استصدار إرادتها السنية في أواخر سنة 1882 . حيث ، تم ، بموجب هذه الإرادة استبدال جمعية المقاصد المار ذكرها بمجلس للمعارف<sup>(3)</sup> . وقد كان لهذا الإجراء

---

العربية ووهن المسلمين" ، وجرجي حداد في "البلاغ المبين في أصل حركة الستين وجرائم المبشرين والمستعمرين" .

(1) منهم د. جميل صليبا ، أنيس الخوري المقدسي ، شاكرا مصطفى ، جورج أنطونيوس د. محمد بديع شريف . د. توفيق برو ، سامي الكيالي ، جرجي زيدان . (انظر مؤلفاتهم في قائمة المراجع) .

(2) Haslip, john, Bilinmeycn trafliariyle Abdulhamit: 116 - 123

(3) عين الشيخ محمود حمزة (1820 - 1887) ، مفتي دمشق ، أول رئيس لمجلس المعارف ، وأعانه في مهمته نائبه الشيخان علاء الدين عابدين (1828 - 1888) وطاهر الجزائري (1852 - 1920) ، وخمسة عشر عضواً آخرون .

أثره، من بعد، في إحياء الحركة التعليمية وانتزاع تصريح رسمي من جانب الدولة لحفظ حقوق العرب في إحياء الحركة التعليمية وانتزاع تصريح رسمي من جانب الدولة لحفظ حقوق العرب في لغتهم القومية<sup>(1)</sup>.

وهكذا نجد أن صدور نظام "مجلس المعارف" في سنة 1882، لم يكن هدفاً تعليمياً إصلاحياً بحد ذاته، بدليل أن اللغة العربية احتفظت بموقعها المتأخر بين المناهج التعليمية المطبقة في أرجاء الولاية. فمنهاج اللغة العربية<sup>(2)</sup>، يشتمل على الصرف والنحو والقراءة والإملاء. وله في كل صف من صفوف المدارس الإعدادية، كما نتبين ذلك من الجدول التالي، ساعة أسبوعية واحدة أو ساعتان، وبحيث لا تزيد الساعات عن اثنتي عشر ساعة في الأسبوع.

اللغة	الصف لأول	الثاني	الثالث	الرابع	الخامس	السادس	السابع	مجموع الساعات
العربية	2	2	2	2	2	1	1	21
التركية	6	5	3	2	1	2	3	22
الفرنسية	0	0	3	3	4	4	4	18
الفارسية	0	2	2	2	1	0	0	7

يلاحظ من الجدول السابق التركيز على تعليم اللغة التركية في الصفوف الثلاثة الأولى، والتركيز على اللغة الفرنسية في الصفوف الأربعة الأخيرة، مع إبقاء ساعات اللغة العربية رمزية في الصفين السادس والسابع. هذا بالإضافة إلى تدريس

<sup>(1)</sup> نصت الفقرة الثالثة من التصريح المشار إليه، والذي صدر في أوائل شهر آب من سنة 1913 (أي بعد شهرين من انعقاد المؤتمر العربي في باريس) على أن يكون التدريس باللغة العربية في جميع مدارس الولايات ومستقبلاً. على أن يبدأ بذلك منذ الآن في المدارس الابتدائية والثانوية، مع جعل تعليم اللغة التركية إجبارياً. وينظر من الآن في الوسائل التي تؤدي إلى جعل التعليم العالي باللغة العربية، على أنه يجب أن يظل التعليم باللغة التركية في المدارس الثانوية في مراكز الولاية لتعلم هذه اللغة - د. محمد بديع شريف. "دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة": 98.

<sup>(2)</sup> سألنا: معارف (حولية المعارف) لسنة 1899 - محفوظات مديرية الوثائق التاريخية في دمشق.

اللغة العربية وآدابها كان يتم "عن طريق تكليف أناس للقيام بهذه المهمة ليست معارفهم بها بأكثر من معارف العوام"<sup>(1)</sup>.

هذه الصورة التي جسدت واقع التعليم في دمشق، وفي ربوع الولاية بأسرها، خلال القرن الفائت، تؤكد لنا حقيقة يتلمس أبعادها أيُّ دارس، وهي أن الدولة العثمانية لم تكن تبغي، خلال سنوات الفتح كلها، وبخاصة في أعقاب يقظة الفكر في دول أوروبا المجاورة، أكثر من تثبيت الواقع المتخلف والمتردّي في الأقطار الشامية الخاضعة لها. ولقد انعكس أثر هذا الواقع، على أبناء المسلمين من أهل البلاد، أكثر مما انعكس على أبناء غيرهم، إذ لم يكن أمام المسلمين من أهل البلاد، أكثر مما انعكس على أبناء غيرهم، إذ لم يكن أمام المسلمين سوى الكتاتيب والمدارس الحكومية التي تعلم باللغة التركية<sup>(2)</sup>، فيما أفاد المسيحيون من الامتيازات التي منحت الأجانب حق تأسيس المدارس الطائفية، فساعدتهم ذلك على تعليم اللغات الأجنبية ومنها الإيطالية والفرنسية والإنكليزية والروسية واليونانية واللاتينية<sup>(3)</sup>، الأمر الذي أتاح لهم فرص الاحتكاك بالفكر الأوروبي، سواء ما تسرب منه إلى داخل البلاد عن طريق مناهج تلك المدارس، أو خلال التعليمي وتحكم المذاهب والتيارات المختلفة به.

بعد هذا الاستعراض السريع لحال التعليم في البلاد، بصفة عامة، قد يكون من المفيد أن نحيل القارئ إلى ملحق "مدارس دمشق في القرن التاسع عشر" في نهاية كتابنا. وفي يقيننا أن عودة إلى أسماء هذه المدارس، وانتماءاتها الطائفية، تعين، إلى حد ملحوظ، على تصور أنماط الفكر التعليمي وتحكم المذاهب والتيارات المختلفة به.

---

(1) أحد أعضاء الجمعيات العربية، "ثورة العرب: مقدماتها، أسبابها، نتائجها": 111 - 113.

(2) ربما كان المسلمون يؤثرون تعليم أولادهم اللغة التركية، فبعدونهم بذلك لشغل وظائف حكومية حيث اللغة التركية رسمية.

(3) يضيف شاكر مصطفى إلى هذه اللغات: الفارسية والسريانية والأرمنية والعبرانية، "القصة في سورية": 50.

وفي أوائل القرن العشرين لم يكن حال المدارس في دمشق، بأفضل مما كان عليه في القرن السابق. فقد ذكر في أحد المراجع<sup>(1)</sup> أنه لم يكن في دمشق، خلال السنوات القليلة الأولى من هذا القرن سوى مدرسة ثانوية واحدة عنوانها الرسمي (المكتب الإعدادي)، إلا أن الدمشقيين كانوا يسمونها "مكتب عنبر"<sup>(2)</sup>، وقد كانت لغة التدريس في هذا المكتب اللغة التركية، بما في ذلك النحو والصرف. كذلك، فقد كان المدرس، شيخاً تركياً مسناً أرسلته الدولة لتعليم اللغة العربية. وعاش هذا المكتب منذ سنة 1886 حتى أوائل الحرب العالمية الثانية<sup>(3)</sup>.

ولنا أن نستنتج، بعد هذا الاستعراض، أن حالة التعليم في دمشق، كانت مرتبطة بغاية محدودة، هي ما ترسمه السلطة للتحكم بالمستوى الثقافي لجماهير الناس، ومستقبل المدينة. وكان واضحاً، من طرق معالجة السلطة لواقع التعليم في دمشق، أن تدابيرها لم تكن جذرية، وكانت، أيضاً، بعيدة عن المنهجية. نستدل على ذلك من التفاتها المفاجئ إلى الحياة التعليمية في زمن متأخر جداً من القرن التاسع عشر. والغاية من ذلك، كما نقدر، مواجهة التبشير المسيحي. نفهم هذا من تفريع مهمة التعليم من أغراضه التربوية المباشرة، لغة وقومية وحضارة في وقت معاً. ومن ثم، تكريس المناهج التعليمية لخدمة اللغة التركية بالدرجة الأولى، وإرضاء نزعات بعض الفئات الدينية في المدينة، بتعليم الدين الإسلامي وما يتفرع عنه من علوم، بالدرجة الثانية. وهذا ما جعل التعليم، على المستوى الحكومي الرسمي، قاصراً عن تمثل روح العصر، ومجازاة تطورات فكر الغرب، في تطلعاته الواسعة.

---

(1) د. صلاح الدين القاسمي. "صفحات من تاريخ النهضة العربية في أوائل القرن العشرين": آ.  
(2) نسبة إلى ثري يهودي يدعى بهذا الاسم، بنى لنفسه داراً واسعة الأرجاء في دمشق على الطراز النفيس، ثم صارت هذه الدار من أملاك الدولة فجعلتها مدرسة ثانوية.  
(3) نجد مزيداً من المعلومات عن المكتب المذكور في كتاب، ظافر القاسمي، "مكتب عنبر". وفي كتاب فخري البارودي. "مذكرات البارودي: جزآن"، وفي ما كتبه عيسى فتوح في مجلة الأديب (1973) 10:13 ومجلة المعلم العربي (1973) 10: 50 تحت عنوان "بطولات مكتب عنبر".

## الطباعة:

خلال فترة الحكم العثماني لبلاد الشام، حرصت الدولة العثمانية على أن تكون المطبعة، آخر الأدوات التي ينبغي أن توفرها لرعاياها. فقد كانت تدرك ولا ريب، كما يدرك العرب أنفسهم، خطورة وجود هذه الأداة بين أيديهم. فالمطبعة هي القناة التي ستساعد على تسرب الأفكار بين المجموعات البشرية في أرجاء الإمبراطورية، وهذا ما ترفضه الدولة، وتعمل جاهدة على مكافحته.

وقد تبدى حرص الدولة على إقصاء المطبعة العربية عن ولاية سورية في النصف الأول من القرن التاسع عشر<sup>(1)</sup>، خصوصاً، بعد خروج المصريين منها (1840). وكان إبراهيم باشا، نتيجة اهتمامه بتطوير نظم الإدارة، وانفتاحه على الغرب، قد حمل إلى دمشق مطبعة حجرية كرسها لطباعة المنشورات والأوامر العسكرية<sup>(2)</sup>، وعرف السكان بذلك أهميتها. لمجحت الدولة في حجب هذه الأداة عن دمشق حتى سنة 1855، حيث استقدم إليها أحد أبنائها وهو حنا الدوماني أول مطبعة حروف من أوروبا<sup>(3)</sup>. وعرفت هذه المطبعة باسم "مطبعة الدوماني"

---

(1) جميع الذين أرخوا للمطبعة في سورية، اتفقوا على أن أول مطبعة عربية عرفها المشرق العربي كانت مطبعة البطريرك أنثاسيوس الرابع من آل دباس (1685 - 1724) في حلب. فقد أتى بها من بوخارست في سنة 1706، (وكان قد سافر إليها في سنة 1698 فعزم على تأسيس مطبعة في حلب لنشر التعاليم المسيحية). وتمكن الدباس في السنة التي أحضر فيها معدات مطبعته من إنجاز كتاب الإنجيل مزينا بالصور. وبقيت المطبعة تعمل إلى سنة 1711، وقامت خلال هذه الفترة الوجيزة بإخراج عشرة كتب - قسطاكي الحمصي "آباء حلب ذوو الأثر في القرن التاسع عشر: المقدمة".

(2) خليل صابات، "تاريخ الطباعة في الشرق العربي": 41.

(3) لم ترد إشارة إلى البلد الذي أحضر منه الدوماني مطبعته في كل المراجع التي وقعنا عليها. كما لم توضح هذه المراجع الأسباب التي يسرت دخولها إلى دمشق، فيما يرى خليل صابات في كتابه "تاريخ الطباعة في الشرق العربي": 101 أن الطباعة إنما دخلت سورية، كما دخلت لبنان من قبل، عن طريق رجال الدين، وذلك بسبب تسليم الدولة بالأمر الواقع خوفاً من تدخل الدول الأجنبية، واتهامها بالتعصب الديني إن هي حالت بين هؤلاء وبين مساعيهم لاستخدام المطابع التي تساعدهم على نشر تعاليمهم الدينية بين رعاياهم. كما لم

أو "المطبعة الدومانية" نسبة إلى صاحبها<sup>(1)</sup>. وبقيت المطبعة الوحيدة في دمشق إلى أن أنشأت الحكومة العثمانية في سنة 1864 أول مطبعة لها باسم "مطبعة ولاية سورية" لتطبع عليها أول جريدة تصدر في دمشق تلك السنة هي جريدة "سورية" باللغتين العربية والتركية.

أعقب هذه المطبعة، إنشاء مطبعة ثالثة حكومية هي "المطبعة العسكرية"، اقتصر عملها على نشر التقاويم واللوائح العسكرية. بيد أنها لم تعمر طويلاً، فتوقفت عن العمل وتحولت مهامها إلى مطبعة ولاية سورية المار ذكرها. وكان يشرف على إدارتهما معاً مصطفى أفندي واصف. ولا بد أن يكون ذلك قد حدث بعد سنة 1878 وقبل سنة 1893<sup>(2)</sup>. وفي هذه السنة، أنشأ خالد أفندي عطار حسن

---

ترد أية إشارة إلى كون حنا الدوماني أحد رجال الدين هؤلاء، وإن تك باكورة إنتاج مطبعته كراسة بعنوان "عشية الأحد" صدرت في السنة التالية لإحضرها، أي في سنة 1856. <sup>(1)</sup> تخلى حنا الدوماني عن مطبعته بعد بضع سنوات من تشغيلها إلى سليم المدور. وفي عهده (1874) صدر عن المطبعة "ديوان أحمد الخلوف"، ثم "كتاب نزهة الأرواح ومرتع الأفراح" للقس نعمة الله البواري، وكراس ديني بعنوان "المزامير". وقد صدر هذا الكراس في سنة 1865، مما يوحي بأن المطبعة كانت ما تزال في ملكيته، قبل أن يبيعه إلى حنا حداد، أو أن صدور "المزامير" كان في عهد هذا الأخير. وفي سنة 1882، انتقلت ملكية المطبعة الدومانية إلى محمد الحفني، فصارت تعرف منذ ذلك التاريخ باسم "المطبعة الحفنية". وفي عهده صنرت عن المطبعة الحفنية الكتب التالية: ديوان أحمد بك الكيواني الدمشقي (1883)، ديوان المير منجك باشا (1883)، كتاب تحبير المقالة في الحيلولة والكفالة لمحمود أفندي حمزة مفتي دمشق (1883)، كتاب إيضاح الدلالات في سماع الآلات للشيخ عبد الغني النابلسي (1884)، وفي السنة التالية لصدور هذا الكتاب توقفت المطبعة عن العمل وأغلقت أبوابها. وشهدت دمشق بذلك نهاية أول مطبعة للحروف عرفتها في تاريخها الحديث.

<sup>(2)</sup> يعدد نعمان أفندي قساطلي في كتابه "الروضة الغناء في دمشق الفيحاء: 130 أسماء مطابع دمشق في سنة 1878 على الوجه التالي: مطبعة حجرية للحكومة، مطبعة حجرية للعسكرية، مطبعة اعتيادية للحكومة وفيها يطبع جرنال سورية وهو جرنال رسمي. فيما ينقل خليل صابات في كتابه "تاريخ الطباعة في الشرق العربي: 110 وما بعد" نصاً أورده شاهين مكاريوس في مقالة له نشرت في "مجلة المقتطف: السنة 4، الجزء 8، آذار 1883"

←

"مطبعة روضة الشام"<sup>(1)</sup>. ثم توالى بعد هذا التاريخ قيام المطابع في دمشق، فأنشأ سليمان لطفي "المطبعة الحميدية" في سنة 1898، فلم تعش طويلاً. كما أنشأ محمد أفندي هاشم في السنة نفسها "المطبعة العلمية"<sup>(2)</sup>. وفي أوائل القرن العشرين أنشئت مطبعة صغيرة عرفت باسم "مطبعة نخمن" ولكنها توقفت عن العمل قبل سنة 1910. وفي الفترة ذاتها أنشأ أديب وصالح الحيلاني "مطبعة الإنصاف"<sup>(3)</sup>. ثم قامت مطابع أخرى هي: مطبعة الإصلاح (1909)، والمطبعة الحربية (110)، ومطبعة المقتبس (1911)، ومطبعة روضة دمشق (1911)، ومطبعة ألف باء (1912)، والمطبعة العثمانية (1912)، ومطبعة البطيركية الأرثوذكسية (1912)، ومطبعة المنار (1914).

إلا أن قلة عدد هذه المطابع واضطراب أحوالها من جهة، وإحكام قيود الرقابة على نشر المؤلفات عليها، من جهة ثانية، إلى درجة أن "رخصة طبع الكتاب كانت في بعض الأحيان تستغرق سنة كاملة"<sup>(4)</sup>، جعلها عاجزة عن القيام بدور الأداة

---

بعنوان "المعارف في سورية" يحدد فيها مطابع دمشق في سنة 1883، وهي: مطبعة الولاية، مطبعة الحجر، مطبعة مجلس المعارف، مطبعة حبيب أفندي أبو خالد، ويلاحظ فيما ذكره شاهين إغفال اسم المطبعة الحنفية التي بقيت تعمل حتى سنة 1885 كما مر معنا، في الحاشية السابقة.

<sup>(1)</sup> انتقلت ملكية هذه المطبعة إلى خالد قرصلي، وهو تركي الأصل، بقيت تعمل حتى سنة 1913.

<sup>(2)</sup> انتقلت ملكية هذه المطبعة إلى مصطفى أفندي شوري، فأطلق عليها هذا اسم "مطبعة الفيحاء". ومن المرجح أن يكون ذلك قد تم في سنة 1911. فثمة "ديوان أبي الحسن" للشيخ محمد خير الطباع، يحمل اسم المطبعة الجديدة صدر في العام المذكور. فيما صدر عنها في سنة 1905 كتاب "مداواة النفوس في تهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل" لابن حزم.

<sup>(3)</sup> أنشئت هذه المطبعة في سنة 1910 وأتى عليها حريق دمشق في سنة 1912 فأعاد صاحبها فتحها باسم "مطبعة الترقى". وما تزال تحمل هذا الاسم حتى يومنا هذا.

<sup>(4)</sup> د. عمر الدقاق، "فنون الأدب المعاصر في سورية": 17.

التقيفية بالمعنى المعاصر لهذه العبارة اليوم، بينما تميزت مطابع مصر ولبنان<sup>(1)</sup>،  
بمساهمتها في نشر المؤلفات الكثيرة، بما في ذلك مؤلفات الكتاب الدمشقيين<sup>(2)</sup>،  
وذلك لتوافر تجهيزاتها وانتظام أوضاعها، وبخاصة مطبعة بولاق<sup>(3)</sup> بالقاهرة،  
والمطبعة الأمريكية والمطبعة الكاثوليكية في بيروت.

بعد هذا الاستعراض السريع لنشأة المطبعة في دمشق. ومن استقصاء تواريخ  
صدور الكتب فيها بين (1856 - 1915)، نلخص إلى القول بأن دمشق، عرفت  
خلال اثنتين وستين سنة، تسع عشرة مطبعة فقط هي:

1 - المطبعة الدومانية	أسسها حنا الدوماني	1855	المطبعة الحنفية منذ عام	1882
2 - مطبعة ولاية سورية	أسستها الحكومة	1864	بإدارة مصطفى أفندي	واصف
3 - المطبعة العسكرية	أسستها الحكومة		بإدارة مصطفى أفندي	واصف
4 - مطبعة حبيب أفندي أبو خالد		1880	مطبعة نهج الصواب منذ	عام 1882
5 - المطبعة الخيرية	بفضل جمعية انتشار	العلوم 1880	مطبعة مجلس معارف	سورية منذ 1881
6 - مطبعة روضة الشام	أسسها خالد أفندي	عطار حسن		1893
7 - المطبعة الحميدية	أسسها سليمان لطفى	1898		
8 - المطبعة العلمية	أسسها محمد أفندي	هاشم الكتبي	مطبعة الفيحاء منذ	1910
		1898		

(1) أشهر مطابع مصر خلال فترة دارستها هي: مطبعة بولاق (1821)، المطبعة الأهلية القبطية (1868)، وأشهر مطابع لبنان هي: المطبعة الأمريكية (1834)، المطبعة الكاثوليكية (1844)، مطبعة القديس جاورجيوس (1848 مجدداً)، مطبعة المعارف للبيستاني (1867).

(2) انظر الملحقين (7) و(8).

(3) توقف نشاط هذه المطبعة بعد محمد علي باشا، واستؤنف في عهد الخديوي إسماعيل.



تأسست في بداية القرن العشرين	9 - مطبعة نخمن
أسسها تاج الدين الصلاحى في بداية القرن العشرين	10 - مطبعة بدائع الفنون
1909	11 - مطبعة الإصلاح
أسسها الشقيقان أديب وصالح الحيلاني 1910 (1)	12 - مطبعة الإنصاف
1910	13 - المطبعة الحربية
1910	14 - مطبعة المقتبس
1911	15 - مطبعة روضة دمشق (2)
1912	16 - مطبعة ألف باء
1912	17 - المطبعة العثمانية
1912	18 - مطبعة البطركية الأرثوذكسية (3)
1914	19 - مطبعة المنار

من تتبع حركة تأسيس المطابع في دمشق، وانتقال ملكيتها من شخص إلى آخر باسم جديد، وتوقف بعضها الآخر عن العمل، يمكننا أن نسجل الملاحظة التالية، وهي أن ثلاثاً من هذه المطابع، تم تأسيسها قبل تولية السلطان عبد الحميد الثاني في

(1) الأصح، أنها تأسست قبل سنة 1892، لصدور كتب عنها، تحمل هذا التاريخ.

(2) ورد ذكرها باسم روضة الشام في كتاب "التقليد والتلفيق" لحسن بن عمر الشطي سنة 1910، وكتاب آخر للمؤلف المذكور بعنوان "رسالة في مسائل الإمام داود الظاهري" صدر في سنة 1912. وقد يكون لها وجود فعلي فيما استمرت مطبعة خالد حسن المؤسسة في سنة 1893 حتى هذا التاريخ. إذ إن كتاب "تهذيب ابن عساكر" لعبد القادر بدران الصادر في سنة 1911 يحمل اسم مطبعة روضة الشام.

(3) وقد بيعت إلى ميشيل حموي وصارت تحمل اسم "مطبعة باب توما"، وصاحبها الآن وليم اسطفان.

سنة 1876 ، وبقيت تعمل فترة طويلة. بينما اقتصر هذا العدد على خمس مطابع ، تم تأسيسها في عهد السلطان بين (1876 - 1909) وتوقف معظمها عن العمل. إلا أنه تم تأسيس تسع مطابع ، وبصورة تكاد تكون متلاحقة بعد صدور دستور سنة 1908 ومجيء رجال جمعية الاتحاد والترقي إلى الحكم. وربما ساعد الاتحاديون أنفسهم على رواج المطبعة العربية بغرض فتح النوافذ على الفكر العربي ، والتعرف إليه ، بالتالي ، عن كتب. وربما ، أيضاً ، لإقناع المتورين من أبناء دمشق بسياستهم المناهضة لسياسة الكبت والبطش التي مارسها السلطان السابق تمهيداً لاستمالتهم إلى صفهم وهو ما يتضح من تسمية مطبعتي عام 1909 و عام 1910 بمطبعة "الإصلاح" ومطبعة "الإنصاف" إبان استيلائهم على زمام السلطة.

ذلك كله ، يجعلنا نقرر أن المطبعة العربية لم تعرف الاستقرار قبل عهد السلطان عبد الحميد الثاني ، ولم يتحقق لها شيء منه خلال الثلاث والثلاثين سنة من حكمه. ولهذه الظاهرة ، أثرها في ضالة عدد الكتب المطبوعة بدمشق ، منذ ظهور مطبعة الدوماني وإلى نهاية الإمبراطورية العثمانية ، واقتصار مضامينها على موضوعات تقليدية أسهمت في إحداث ترسبات عانت منها النهضة الأدبية ، ليس في دمشق وحدها ، بل في أرجاء سور كلها ، حيث لم تتوضع فيها معطيات فكرية تنظر إلى المستقبل قدر انكفائها على نفسها وعلى الماضي في وقت معاً<sup>(1)</sup>.

### خزائن الكتب.

قبل نشأة الطباعة في دمشق ، كان طبعياً أن تفتقر هذه المدينة إلى المكتبات العامة ، بالمفهوم المعاصر لهذه الكلمة ، ذلك بأن الكتاب المطبوع هو خصيلة المطبعة ، وليس من المنطقي أيضاً ، تصور دمشق "وقد اشتهرت إبان التمدن الإسلامي بكثرة مدارسها ومساجدها وخزائن كتبها"<sup>(2)</sup> ، خالية من الكتاب المطبوع ، أو المخطوط على حد سواء. إذ لا بد أن تكون قد تسربت أعداد من

<sup>(1)</sup> انظر ملحق "المؤلفات المطبوعة في دمشق خلال السنوات 1856 - 1915".

<sup>(2)</sup> جرجي زيدان. "تاريخ آداب اللغة العربية" 4 : 479.

الكتب المطبوعة إلى أوساط المفكرين فيها، وبوجه خاص ما أنتجته مطبعة بولاق الشهيرة في القاهرة، وبعض مطابع لبنان. هذا إلى جانب ما تصدره مطابع أوروبا بحكم اتصال السوريين بتلك الدول لأغراض ثقافية أو تجارية. وفي تقديرنا أن تسرب منشورات تلك المطابع، فضلاً عن المؤلفات المخطوطة لعلماء دمشق وشيوخها، قد ساعد على تكوين المكتبات الخاصة. ولا بد أنها أدت وظيفة المكتبات العامة إلى يومنا هذا. ودليلنا إلى هذه القناعة الطرق المتبعة لتعميم المعارف التي كانت سائدة في القرن التاسع عشر، ومن تلك الطرق حلقات الدرس في جوامع المدينة وكتاتيبها وبيوتها.

من هذا المنطلق، يمكن اعتبار ظهور الطباعة في دمشق (1865)، بداية لتاريخ تكوّن المكتبات العامة فيها. على أن الظروف التي أحاطت بنشأة الطباعة، وما رافق ذلك من إجراءات الحد من نشاطها، جعل المكتبات بنوعها، العام والخاص، تفتقر إلى الكتب المطبوعة محلياً على أقل تقدير. وإلى هذا مرد الشهرة التي تتمتع بها دمشق الآن، ففي مكتباتها العامة والخاصة مخطوطات نفيسة ما تزال تنتظر دورها للتحقيق والنشر، بزغم كوارث الحرق والتلف التي حلت بمقتضيات الكنائس والأديرة المنتشرة في دمشق وضواحيها من ضروب المخطوطات النادرة في حوادث فنة 1860.

ولما قدم مدحت باشا والياً على سورية، كما يذكر حبيب الزيات<sup>(1)</sup> كان أول همه تأليف جمعية<sup>(2)</sup> من جلة علماء الحاضر وأكابر فضلائها أناط بها مهمة البحث عن الكتب والمكاتب، وذلك تمهيداً لوضعها في مكان واحد، يكون ملاذاً للباحثين والدارسين وطلاب المعرفة في وقت واحد<sup>(3)</sup>.

(1) حبيب الزيات. "خزائن الكتب في دمشق وضواحيها": 5.

(2) يقصد "جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية". يذكرها جرجي زيدان في "تاريخ آداب اللغة العربية 4: 479" باسم الجمعية الخيرية لإنشاء المدارس وترقية المعارف.

(3) يورد الشيخ عبد القادر بدران في كتابه "مناداة الأطلال ومسامرة الحبال: 119" الفقرة التالية من كتاب بحث به والي دمشق مدحت باشا إلى مقر السلطنة مبرراً غرضه من هذا الأجراء. تقول الفقرة: لما كانت الكتب الموقوفة والمشروطة لاستفادة العموم قد حصرت بأيدي

غيران مدحت باشا ، الذي كان له الفضل في قيام المكتبة التي عرفت وما تزال باسم "المكتبة الظاهرية" ، لم يتسن له - بسبب عزله كما مر معنا - أن يشهد ثمرة مساعيه في هذا الصدد ، فشهد ذلك خلفه الوالي أحمد حمدي باشا في سنة 1879 ، الذي أمر بافتتاحها ، ووضع محتوياتها بتصرف روادها. فتسنى لدمشق ، بهذا الصنيع ، أن تشهد أول مكتبة عامة في تاريخها الحديث ، ضمت شتات ما كان قد تفرق من الكتب ، ومعظمها مخطوط ، في المكتبات الخاصة. هذه المكتبات الخاصة هي<sup>(1)</sup> :

- 1 - المكتبة العمرية : نقل من موجوداتها إلى المكتبة الظاهرية 614 مجلداً.
  - 2 - مكتبة عبد الله باشا (العظم) : نقل من موجوداتها إلى المكتبة الظاهرية 458 مجلداً.
  - 3 - مكتبة سليمان باشا (العظم) : نقل من موجوداتها إلى المكتبة الظاهرية 127 كتاباً.
  - 4 - مكتبة الملا عثمان الكردي : نقل من موجوداتها إلى المكتبة الظاهرية 313 مجلداً.
  - 5 - مكتبة الحياطين : نقل من موجوداتها إلى المكتبة الظاهرية 376 مخطوطاً.
  - 6 - مكتبة المرادية : نقل من موجوداتها إلى المكتبة الظاهرية 246 مجلداً.
  - 7 - مكتبة الشميساطية : نقل من موجوداتها إلى المكتبة الظاهرية 78 مجلداً.
  - 8 - مكتبة الياغوشية : نقل من موجوداتها إلى المكتبة الظاهرية 11 كتاباً.
  - 9 - مكتبة الأوقاف : نقل من موجوداتها إلى المكتبة الظاهرية 67 مجلداً.
  - 10 - مكتبة بيت الخطابة : نقل من موجوداتها إلى المكتبة الظاهرية 73 مجلداً
- المجموع 2636

---

المتولين ، وخرمت الناس من مطالعتها ، كان من اللازم جمعها وجعلها في مكان مخصوص ليكون الانتفاع بها عاماً ، (فصدر له الأمر بذلك في 15/2/1878).

<sup>(1)</sup> هذا الإحصاء أخذ بإيجاز من كتابي حبيب الزيات. "خزائن الكتب : 7 - 13". ورجعي زيدان "تاريخ آداب اللغة العربية 4 : 479".

وفي إحصاء آخر، أوردته الزيات يذكر أن عدد هذه الكتب قفز من 2636 كتاباً إلى 3462 كتاباً في عهد الوالي رؤوف باشا، في سنة 1869.

أي أن الزيادة بلغت ألفاً خلال السنوات الثماني عشر بين تاريخ ولاية مدحت باشا وتاريخ الإحصاء. وفي سنة 1900 - وهي السنة التي بدأ الزيات فيها بوضع كتابه - بلغ عدد محتويات المكتبة 3566 كتاباً، أي بزيادة 103 خلال أربع سنوات. ومن توزيع هذه الكتب، بحسب مضامينها، كما وردت في الفهرست المحفوظ لدى المكتبة الظاهرية للعام 1900، يمكننا استقراء ملامح الفكر السائد في دمشق، يومئذ، وهو ما سيكون له تأثير في تحديد الاتجاهات والنزعات الأدبية في المدينة، في فصل قادم من كتابنا هذا.

المضمون	المخطوط	المطبوع	الإجمالي
القرآن الكريم	6	6	12
علم القراءات	60	5	65
التفسير	166	55	221
الحديث	438	85	523
المجاميع	135	1	136
فقه الحنفية	174	133	307
فقه الشافعية	429	12	441
فقه الحنبلية	83	-	83
فقه المالكية	11	11	22
أصول الفقه	99	19	118
الفرائض	20	7	27
التوحيد	76	16	92
التصوف	173	56	229
اللغة	57	32	89
النحو والصرف	183	48	231
المعاني والبيان البديع	36	8	44
المنطق وآداب البحث	25	7	32
السيرة النبوية	62	20	82
التاريخ	87	111	198

المضمون	المخطوط	المطبوع	الإجمالي
الأدبيات المثورة	133	114	247
الأدبيات المنظومة	34	57	91
الجغرافية	8	21	29
الطب	39	58	97
الكيمياء	1	9	10
الحكمة الطبيعية	2	17	19
الحساب	8	12	20
الهيئة	2	24	26
الهندسة	1	30	31
الزراعة	0	7	7
تعبية (تعبة) الجيش	0	37	37

وفيما يخص مكتبات الكنائس والأديرة، فقد ذكر حبيب الزيات، أنه في سنة 1900، لم يشهد، في دمشق، سوى ثلاث مكتبات في ثلاثة أديرة هي: دير الآباء الفرنسيين، دير الآباء المرسلين اللعازاريين، دير الآباء اليسوعيين، وفي كل منهما مكتبة لا تكاد تتعدى حاجة الرهبان<sup>(1)</sup>. ومرد هذا الفقر - كما ذكرنا - إلى حرق وإتلاف محتوياتها في سنة 1860. وربما كان إبقاؤها على ما هي عليه من الفقر، يعود إلى فقدان الحافظ على إعادة تأسيسها، خشية فقدها مجدداً في حوادث دينية مماثلة لحوادث سنة 1860. وربما، أيضاً، إلى تحلي أصحابها عن محتوياتها من الكتب والمخطوطات المتبقية، للأديرة المجاورة في لبنان، أو لبعض الأصدقاء، صونا لها من الضياع أو التلف. ويستفاد من شهادة لجرجي زيدان<sup>(2)</sup>، أن حال المكتبات العامة بقي متخلفاً على هذا المنوال، حتى سنة 1914 على الأقل.

(1) حبيب الزيات. "خزائن لكتب": 91.

(2) لجرجي زيدان. "تاريخ آداب اللغة العربية" 4: 479.

يقول زيدان إن المكتبة الوحيدة لذاك العهد، إلى جانب "المكتبة الظاهرية"، كانت مكتبة الجامع الأموي<sup>(1)</sup>، وما خلا ذلك، فقط سطت عليه الأجيال المظلمة. وفي بعض المراجع<sup>(2)</sup>، نجد إشارات عابرة إلى عدد من المكتبات الخاصة، منها: مكتبة الشيخ رحمة النابلسي (1800 - 1862)، ومكتبة الشيخ عبد السلام الشطي (1840 - 1878)، ومكتبة الشيخ عبد المحسن المرادي ( - 1913) ومكتبة الشيخ خالد، بالقنوات<sup>(3)</sup>، في بيت الشيخ عمر الحضرة، وكل كتبها مخطوطة. إن واقعاً كهذا، لحال المكتبات العامة والخاصة، من حيث قلة عددها، وخلوها من الفهارس الدقيقة، يوضح لنا بلا ريب، كم كان المجال ضيقاً أمام حركة الفكر الأدبي بدمشق، ومبلغ ما عاناه أديباؤنا كي يتجاوزوا العوائق التي طالما حدت من جموحه وتطلعاته.

## الصحافة.

قاومت الدولة العثمانية الصحافة في ولاية سورية بمثل ما قاومت به المدرسة والمطبعة والكتاب. وفي تقديرنا أن مرد ذلك يعود إلى يقينها بأن ظهور المزيد من الصحف في ولايات السلطنة، سيزيد من المضاعفات التي أخذت تتشكل في أرجائها، وبالتحديد منذ فتنه 1860 في ولاية سورية. ذلك أن طائفة من المتورين السوريين عموماً، والدمشقيين خصوصاً، كانوا قد سارعوا إلى امتصاص نتائج هذه الفتنة، فنددوا بدعاة التفرقة الدينية منبهين إلى خطر الانزلاق في مهاويها<sup>(4)</sup>.

(1) في "أسباب النهضة العربية: 1156" أن النار أكلت قسماً جليلاً من كتب الجامع الأموي في حريق 1893/10/14.

(2) "روض البشر": 105 و148. "منتخبات التواريخ لدمشق" 2: 759. "الروضة الغناء": 120 - 121.

(3) حي ما يزال قائماً في دمشق.

(4) نذكر منهم: الأمير عبد القادر الجزائري (1807 - 1883)، الشيخ رضا إسماعيل الشهير بالفززي (1788 - 1863)، الشيخ سليم العطار، الشيخ محمود حمزة (1821 - 1887)، الشيخ مسلم الكزبري.

على أن هذا اليقين، لم يمنع الدولة من عمل شيء ما لاحتواء ما بدأت تخلفه تلك المضاعفات بين سكان الولاية، خاصة بعدما تأكد لها أنه يستحيل عزلهم عما كان يدور في بقية ولايات الإمبراطورية وفي العالم. فقد كانت الأفكار تتسرب إلى داخل الولاية من القاهرة وبيروت وعواصم دول أوروبا، وفيها ما يساعد على المقارنة بين التخلف في بلد والازدهار في بلد. ففي القاهرة والآستانة وبيروت وتونس والجزائر صحف<sup>(1)</sup>، كان لصدورها أثر في حمل الدمشقيين على إصدار ما يماثلها في عاصمة ولاية سورية، تتفاعل على صفحاتها أفكارهم وتطلعاتهم. بيد أن نظام الحكم الذي كان يخص دمشق بنوايا معادية للحد من نشاط مفكرها، لما كانوا يتمتعون به من مكانة في الأوساط العربية الإسلامية، حال دون تحقيق هذه الأمنية، حتى كانت سنة 1865. ففي هذه السنة، ولاعتبارات سبقت الإشارة إليها منذ قليل، شهدت دمشق ولادة أولى جرائدها فأُسست الدولة جريدة "سورية"<sup>(2)</sup>،

(1) أنشأ محمد علي باشا بالقاهرة جريدة "الوقائع المصرية" بعد جلاء الفرنسيين من مصر، صدر العدد الأول منها في 1828/11/20 باللغة التركية، ثم بالعربية والتركية معاً، ثم بالعربية فقط، وكانت جريدة رسمية كما يتضح ذلك من اسمها. وأصدر رزق الله حسون الحلبي في الآستانة سنة 1855 جريدة "مرآة الأحوال" عنيت برصد وقائع حرب القرم (1854 - 1856) ونشر بعض الأخبار عن أحوال سورية. ولم يزد عمر هذه الجريدة على السنة بسبب ملاحقة صاحبها الذي أظهر عداوة للسلطة، ففر إلى روسيا وحكم غيائياً بالإعدام، وفي بيروت أسس خليل الخوري في كانون الثاني 1858 جريدة "حديقة الأخبار" وهي أول جريدة عربية صدرت خارج العاصمة في بلاد الشام وماتت بموت صاحبها. ومن جرائد هذه الفترة أيضاً "الجوائب" لأحمد فارس الشدياق (الآستانة 1860)، الرائد التونسي (تونس 1860)، المبشر (الجزائر 1847)، مجموع الفوائد (بيروت 1851)، تفسير سورية للمعلم بطرس البستاني (بيروت 1860) برجيس (باريس 1858)، عطار (مرسيليا).

(2) صدرت في 1865/11/19 بعناية والي سورية وقتئذ محمد راشد باشا (ويقال أسعد مخلص باشا الذي ولي على دمشق في سنة 1865 كما جاء في كتاب "ولاة دمشق في العهد العثماني" لصلاح الدين المنجد، وكتاب "منتخبات التواريخ لدمشق" لمحمد أديب تقي الدين الحصني. فقد ذكر محمد راشد باشا والياً على دمشق في سنة 1866، وأسعد مخلص باشا والياً عليها في سنة 1865)، ومن كتابها أديب نظمي ومحمد كرد علي.



لتساند سياسة الحكومة في الولاية<sup>(1)</sup>. وبقيت جريدة دمشق اليتيمة حتى أصدر أحمد عزت باشا<sup>(2)</sup> جريدة "دمشق" في سنة 1879. وبعد ثمانية أعوام، أي في سنة 1896 أنشأ مصطفى واصف<sup>(3)</sup>، جريدة الثالثة باسم "الشام"<sup>(4)</sup>. وبهذه الصحف الثلاث، تجسد حال الصحافة في دمشق، خلال الفترة التي قضاها في الحكم السلطان عبد العزيز (1861 - 1876)، وخليفته السلطان مراد الخامس (1876)، ثم السلطان عبد الحميد الثاني (1876 - 1909).

ومن العوامل التي تحكمت في إبقاء عدد الصحف في دمشق قليلاً، صدور قانون الصحافة العثمانية (1865). فقد نص، في معظم مواد الأربعة والثلاثين، على كبت حريات العاملين في حقل الصحافة وتكبير أيديهم ومطاردتهم عند أول بادرة مخالفة لشروط المراقبة<sup>(5)</sup>، وبحيث كان من نتائج استغلال السلطان عبد الحميد الثاني للقانون المشار إليه جلاء الراغبين في العمل الصحفي إلى خارج البلاد، وبخاصة إلى مصر، فقد كان هذا القطر موثلاً لمعظم هؤلاء "بسبب منح الصحافة حرية أكبر وأوسع من جانب السلطات المحلية أولاً، والبريطانية ثانياً"<sup>(6)</sup>.

كان أول المهاجرين إلى مصر، من كتاب دمشق، أديب إسحاق (1856 - 1885) فأنشأ في الإسكندرية، مع زميل له نزح هو الآخر إليها، سليم النقاش (- 1884) جريدة "التجارة" في سنة 1878. وتبعها فيما بعد سليم عنحوري (1856 -

(1) د. شمس الدين الرفاعي. "تاريخ الصحافة السورية في العهد العثماني" 1 : 80.

(2) رئيس قلم المخابرات التركية، ثم أمين عام سر السلطان عبد الحميد الثاني.

(3) المشرف على إدارة مطبعة ولاية سورية، والمطبعة العسكرية في دمشق.

(4) انظر تراجم جرائد دمشق ومجلاتها، وكذلك بقية ولايات سورية، خلال العهد العثماني في: جوزيف الياس "تطور الصحافة السورية في العهد العثماني. أطروحة دبلوم دراسات عليا بمعهد الآداب الشرقية ببيروت، أعدت بإشراف الدكتور جبور عبد النور" : 191 وما بعد.

(5) انظر دراسة هذا القانون في: د. شمس الدين الرفاعي "تاريخ الصحافة السورية" 1 : 75 - 79

(6) كارل بروكلمان "تاريخ الشعوب الإسلامية" : 615. الإشارة هنا إلى فترة الاستعمار البريطاني لمصر (1882) التي أعقبت فشل ثورة أحمد عرابي (1881).

– 1933) فأصدر في القاهرة جريدة "مرآة الشرق" في سنة 1879. وفي أواخر القرن التاسع عشر، هاجر إليها توفيق جانا من فلسطين، فأصدر في القاهرة مجلة "الفوضى" في سنة 1899. فالتقت بذلك جهود الكتاب من دمشق، بجهود ليف من كتاب سورية ولبنان وفلسطين الذين احتضنتهم مصر، ليكونوا رواد الصحافة العربية التي انطلقت من وادي النيل فيما بعد، وما تزال آثار انطلاقتها تلك ماثلة لأعين أبنائنا.

ومع صدور دستور عام 1908، تضاعف عدد الصحف بدمشق<sup>(1)</sup>، وبما يشبه الفورة، فارتفع حتى بلغ سبعاً وثلاثين جريدة في سنة 1915. بيد أنها عطلت جميعاً، باستثناء جريدة "سورية" جريدة الدولة الرسمية. وحدث ذلك بسبب العودة إلى سياسة التصفيق التي مارستها حكومة الاتحاديين ضد حرية الرأي، وتفاقم النزاع بين العنصرين العربي والتركي ولاسيما بسبب نشوب الحرب العالمية الأولى (1914) وأثرها على حركة استيراد الورق ومواد الطباعة الأخرى. وكان طبعاً أن يفكر جمال باشا الملقب بالسفاح، بإصدار جريدة تقوم بمهمة تغطية أبناء الحرب، من جهة، والدفاع عن سياسته في ولاية سورية من جهة ثانية، فأوعز بإنشاء جريدة لتحقق مآربه، فتصدى اثنان لهذه الوظيفة هما خليل الأيوبي وتاج الدين الحسيني (1890 – 1943)، فأصدر جريدة "الشرق"<sup>(2)</sup>. ثم أصدر الأيوبي بمفرده جريدة "الشرق المصورة" في سنة 1916. وهكذا، كما ابتدأت الصحافة في دمشق بثلاث صحف، انتهت بالمقدار نفسه، مع انقضاء فترة الاستعمار العثماني لسورية.

بهذا يمكن تقسيم المراحل التي تؤرخ لنشأة الصحافة في دمشق إلى مرحلتين هما:

- 1 – مرحلة 1865 – 1908 : صدرت خلالها ثلاث صحف.
- 2 – مرحلة 1908 – 1916 : صدرت خلالها سبع وثلاثون صحيفة. وإذا جاز لنا أن نعزو ظاهرة الكثرة في عدد صحف دمشق إلى سياسة الانفتاح التي رسمها

(1) انظر ملحق "صحف دمشق بين 1865 - 1916".

(2) صدرت بتاريخ 1916/4/27.

الاتحاديون لأنفسهم، في بداية عهدهم بالسلطة، تجاه رعاياهم من العرب، فمن المؤكد، لدينا، بأن هذه السياسة ذاتها لم تكن بأكثر من محاولة لتحقيق غرضين أساسيين هما امتصاص المشاعر السلبية لدى الفئات المتورة أولاً، وإفساح المجال أمام الرأي العام المحلي والعالمي للتعرف على مساوئ العهد الحميدي السابق ثانياً، وذلك من قبيل تبرير الثورة عليها. وبانتهاء هذا القصد، عادت حكومة الاتحاديين تتحكم فيما يجب أن ينشر أو لا ينشر، مما أوجب على صحف الفترة التالية لإعلان الدستور وبأقل من عام أن تذهب "بين عبدة الملوك وعبدة الدراهم"<sup>(1)</sup>.

وسبب ذلك، في تقديرنا؛ مضمون قانون الصحافة لعام 1865، ثم القانون المعدل له الصادر في سنة 1878، وفيهما ما يكفي لكم الأفواه وتكيب الأيدي، إذا ما خطر على بال المحرر أن يمس السلطان أو أحد رجاله أو عماله من قريب أو بعيد. فقد كان محظوراً على الصحفي أن يشير إلى مسألة تاريخية فيها ذكر الخلاف أو الحرية أو الشورى أو الدستور أو الفتنة أو الثورة أو الديناميت أو قتل الملوك وخلعهم مما نصت عليه القوانين أو اللوائح الصحفية. ومعنى هذا، في رأينا، أن صحافة دمشق لم تكن صحافة رأي بالمعنى الواضح لهذه الكلمة، وإنما كان وجودها وجوداً شكلياً، ذا أبعاد سياسية بهدف الاستهلاك المحلي. ومع ذلك كله، يمكننا - إذا ما عدنا إلى جدول أسماء الصحف الصادرة في دمشق - أن نلمح بعض مظاهر التحول السريع في مواقف هذه الصحف تجاه السلطة. فهي، وإن لم تكن لتجرؤ على المواجهة الصريحة، والتشهير المباشر بسياسة الاتحاديين المعلنة أو المبطنة ضد العرب، فقد حملت معاني هذه المواجهة بأسمائها التي ظهرت بها. من ذلك: ظهرك بالك (1909)، حط بالخرج (1909)، أعطيه جملة (1909)، اسمع وسطح (1910)، جحى (1911) المهاجر (1912)، الصارخ (1912)، الوفاق (1912).

(1) د. صلاح الدين القاسمي، "صفحات من تاريخ النهضة العربية في أوائل القرن العشرين":

لهذه الأسماء، حسب استنتاجنا، دلالات يمكن أن نفيد منها في رسم حالة دمشق زمن الاتحاديين. فقد غدت الحكمة في تلك الفترة، أن يصير المرء لا مبالياً تجاه ما يرى أو يسمع (اسمع وسطح)، مطيعاً إلى درجة الخنوع (أخطيه جملته) ناشداً النجاح خارج موطنه (المهاجر)، متحاشياً الوقوف في وجه التيار (ظهورك بالك) مستسلماً لواقعه (حط بالخرج)، لاهياً غير مكترث بأحد (جحي). إذ عبثاً كان (الصراخ)، وعبثاً كان (الوفاق) المنشود بين السلطة والشعب.

هذا التحول، تبدو دلالاته بوضوح أكثر، إذا ما قورنت أسماء الصحف المار ذكرها بأسماء الصحف التي ابتدأت بها مرحلة الدستور: العصر الجديد، تكمل، المقتبس، روضة الشام، والتي ظهرت جميعاً في سنة 1908، وخلال ثلاثة أشهر فقط من قيام العهد الدستوري.

ولم يكن حال المجلات في دمشق أحسن مما كان عليه حال جرائدها. فبين السنوات 1886 - 1913، صدرت في دمشق تسع مجلات<sup>(1)</sup> هي مرآة الأخلاق<sup>(2)</sup>، الشمس، المقتبس<sup>(3)</sup>، النعمة، الحقائق، العروس<sup>(4)</sup>، الشعب، الناشئة، أنفس

<sup>(1)</sup> الفيكونت فيليب دي طرازي. "تاريخ الصحافة العربية" 4: 128 - 132.

<sup>(2)</sup> مجلة نصف شهرية أنشأها سليم عنحوري (1856 - 1933) وابن عمه حنا عنحوري (1863 - 1890) في أوائل شهر كانون الثاني سنة 1886.

وقد استهلاها بهذين البيتين

الأأسرع صاح للمرأة وانظر بها صور المشارق والمغرب

ففي المرأة يظهر كل شيء؛ إذن قل تلك مرآة العجائب

تضمنت هذه المجلة قسمين، الأول لنشر الروايات الغرامية والأبحاث الأدبية والفكاهات، والثاني يخوض كل عباب. إلا أنها خنقت في مهدها. ويذكر شاكر مصطفى في "القصة في سورية: 69" سبب توقفها بالقول إن السلطة اتهمت سليم عنحوري بالعدوان على الدين في بعض الذي نشره بالقسم الخاص به، وهو القسم الأول من المجلة.

<sup>(3)</sup> أصدرها محمد كرد علي في القاهرة سنة 1906 وانتقل بها إلى دمشق. بها تبدأ تاريخ الصحافة الأدبية في دمشق. استمرت في الصدور حتى سنة 1913.

<sup>(4)</sup> باكورة المجلات النسائية في دمشق، أنشأتها ماري عجمي (1888 - 1965) في 1/12/1910، تميزت خلال فترات صدورها بالدعوة إلى تعليم المرأة وتحريمها باعتدال. توقفت مدة

النفائس الروائية. ثلاث من هذه المجلات صدرت، بالترتيب الذي جاءت فيه، خلال العهد الحميدي وما تبقى منها صدرت بين السنوات 1909 - 1913. ولم تنطرق أي منها إلى الموضوعات السياسية، مما جعلها في منأى عما أصاب جرائد دمشق من التعسف. وكان توقفها عن الصدور ناجماً عن ظروف الحرب على الأغب. وفيما يحدد سامي الكيالي موقع هذه المجلات في حياة دمشق الفكرية بقوله "كانت سجلاً للتيارات الفكرية التي ترسم هواجس الأدباء والشعراء في تلك الفترة"<sup>(1)</sup> نجد فيما ذكره الدكتور صلاح الدين القاسمي تحت عنوان "ضائقتنا العلمية" عبارات تمس هذا الجانب من الموضوع منها العبارة التالية: "كانت مجلات العصر في الغالب فارغة من مقالات كتبت بعد البحث والتدقيق، وإن منها ما هو مجموع ألفاظ غثة باردة ضم بعضها إلى بعض. فإذا أردت أن تهزها لا تكاد تسمع سوى وسوسة من نظريات الكاتب وآرائه تبلغ حد الأوهام"<sup>(2)</sup>. وفي هذا القول مغالاة بلا ريب وإن يكن يلامس الحقيقة بعض الشيء. فقد نجد صيغة إنشاء المقالات والأنباء ضعيفة بنسبة عصرنا. وقد نجد التعابير ركيكة يغلب عليها السجع والتورية والاستعارة والجناس أو خالية من الفكرة العميقة، إلا أن ذلك لم يمنع من ظهور كتاب توخوا الإثناء السهل المتين الذي لا يعرف حشواً ولا تنميقاً ولا تأثقاً في العبارات ولا إهمالاً في المحافظة على قواعد اللغة<sup>(3)</sup>. وترافق هذه الظاهرة الأخيرة، فترة الانقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني، وتكاثر وسائل النشر المقروءة. وفي تحليل هذه الظاهرة ذاتها، يمكن الاستنتاج بأن الانقلاب لم ينحصر، بادئ ذي بدء، في إطاره السياسي، وإنما تجاوزه إلى اللغة والأدب. وفي يقيننا أن توالي صدور الصحف والمجلات في دمشق، إثر إعلان دستور عام 1908، ساعد على اتساع الحركة الفكرية، وتنبه الحس الأدبي، فاقنسى ذلك، بالضرورة، تنوع

---

الحرب العالمية الأولى لتعذر الحصول على الورق وبعد الحرب عادت إلى الصدور، إلى أن توقفت نهائياً في سنة 1925 بعد أن صدر منها أحد عشر مجلداً وكانت شهرية.

(1) سامي الكيالي. "الأدب العربي المعاصر في سورية": 30.

(2) صلاح الدين القاسمي. "صفحات من تاريخ النهضة العربية": 76.

(3) يتضح ذلك في بحثنا عن الفنون والموضوعات الأدبية، الفصل الخامس.

الموضوعات وتقسيمها وتبويبها بحيث يسهل على القارئ تناولها. ومن تلك الموضوعات ما كان يحظر نشرها من قبل، وتدور حول الحرية، والاشتراكية، والمساواة والحقوق. حتى نظرية "النشوء والارتقاء"<sup>(1)</sup> كانت من الموضوعات التي شغل الكتاب أنثذ بعرضها أو تمحيصها. هذا فضلاً عن قضايا الإصلاح الإداري، والوضع الاجتماعي والسياسي للعناصر التي تشكل منها الإمبراطورية العثمانية. "وقد كان للجمعيات التبشيرية، والبعثات الدبلوماسية، دورها الجاد في إثارة الخواطر وتنبية الناس على ما هم عليه من الأوضاع الشاذة"<sup>(2)</sup> وسوف نرى، أن جانباً كبيراً من هذا الدور المنبه الذي أخذته على عاتقها الجمعيات التي تشكلت في دمشق، كانت صحافتها، بمثابة القناة لسريانها، على اختلاف أغراضها ومذاهبها، ويرغم الرقابة المشددة والقيود المفروضة على ما ينشر فيها.

ولعلنا بعد هذا الاستعراض السريع لحال الصحافة في دمشق، نستطيع القول، بأن ذلك كله أدى إلى مساهمتها في الأمور التالية:

أولاً: عكس الصورة المرحلية لواقع المجتمع السوري بعد إعلان دستور سنة 1908.

ثانياً: تجريد اللغة العربية مما لحق بها من تكلف لفظي، وإن تردت الصياغة أحياناً إلى مستوى لغة الحديث الدارج. وإدخال بعض المقولات المستحدثة المستمدة من اللغات الأجنبية.

ثالثاً: إبراز عدد من الوجوه الصحفية المعروفة في ذلك الحين، الذين يتسوا من بلدهم فهاجروا إلى مصر أو أوروبا أو أمريكا، أشهرهم من دمشق، أديب اسحق، ميخائيل مشاقة، محمد كرد علي، سليم عنحوري وابن عمه حنا. ومن حلب: رزق الله حسون، عبد الرحمن الكواكبي، جبرائيل دلال، عبد المسيح الأنطاكي، قسطنطين الحمصي، فرنسيس وفتح الله مراش.

(1) نظرية التطور في الأجناس الحية. قال بها عالم الطبيعة الإنكليزي داروين Darwin (1809-1882).

(2) محمد بديع شريف، "دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة": 82.

وابعاً: إرساء قواعد للفكر العربي المعاصر، والمساهمة في تطور الأدب العربي من ناحيتي الأسلوب والمضمون.

وإن تك هذه المساهمة قد تجلّت، على الأغلب، خارج دمشق، فما ذلك إلا لأن عمل صحفيي سورية الحقيقي كان في غير مكانه الطبيعي. فمن القاهرة والإسكندرية وباريس ونيويورك كان طريقهم إلى جمهور القراء داخل ولاية سورية، كما في بقية الولايات العثمانية.

### الجمعيات الأدبية:

أصاب الجمعيات الأدبية في دمشق، ما أصاب التعليم والطباعة والصحف من سلبية الدولة العثمانية لمرافق المعرفة والثقافة في أرجاء البلاد. فحتى سنة 1874، لم يكن في دمشق من أثر لهذه الجمعيات على الإطلاق، في حين كانت مدينة بيروت قد عرفت حتى ذلك التاريخ أربعاً منها<sup>(1)</sup>. ويعدّ ذلك قامت في دمشق خمس جمعيات بدءاً من السنة 1874 حتى السنة 1907 هي: "جمعية رباط المحبة"<sup>(2)</sup>، والجمعية التاريخية (1875)، و"الجمعية الخيرية"<sup>(3)</sup> (1878)، و"جمعية الفنون الطبية" (1887)،

---

<sup>(1)</sup> هذه الجمعيات هي: "جمعية الآداب والعلوم 1847". الجمعية السورية 1847 "الجمعية المشرقية أو الشرقية 1850"، "جمعية زهرة الآداب 1873".

<sup>(2)</sup> يذكرها جرجي زيدان في "تاريخ آداب اللغة العربية 4: 428 - 436 باسم "جمعية رابطة المحبة"، ويتحدث عنها قائلاً بأنها كانت فرعاً لجمعية "شمس البر" المؤسسة في بيروت سنة 1869. بينما يذكرها نعمان قساطلي في "الروضة الغناء: 120" كما وردت في النص. ويتحدث عنها قائلاً بأنها كانت فرعاً من جمعية اتحاد الشبان المسيحيين بلندن. ويضيف شاكر مصطفى في كتابه "القصّة في السورية: 48" قائلاً: كان قوامها متخرجو الجامعة الأمريكية.

<sup>(3)</sup> تأسست بوحى من الوالي مدحت باشا - كما مر معنا - فساهمت في تكوين بعض المدارس والمكتبة الظاهرية بدمشق. ورد ذكرها بأسماء أخرى "كجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية" و"الجمعية الخيرية الإسلامية" و"الجمعية الخيرية لإنشاء المدارس وترقية المعارف".

وأخيراً "جمعية النهضة العربية"<sup>(1)</sup>. يقول نعمان قساطلي عن "جمعية رباط المحبة" إنها لم تكن تتعرض للأمور السياسية على الإطلاق، وإنما الغاية من تأسيسها كانت محددة "هي تعليم المسيحيين مبادئ دينهم، وقد تشكلت من ثمانية وثلاثين عضواً بينهم رجال قانون ومحسنون ومراسلون"<sup>(2)</sup>. ويصف "الجمعية التاريخية" بأنها لم تكن تتعرض للدين أو للسياسة وإنما الغاية من تأسيسها كانت، البحث في العلم والتاريخ، وقد زاد عدد أعضائها على السبعين<sup>(3)</sup>. فكانت، "جمعية رباط المحبة" إذن شكلاً من أشكال مدارس الإرساليات التبشيرية، فيما عنيت الأخرى<sup>(4)</sup>، بالعلم والتاريخ، مما يحملنا على الاعتقاد بأنها كانت تؤدي دوراً فكرياً ما، وإن يكن إطار هذا الفكر محدوداً. وبقيت هذه الجمعية، الجمعية الوحيدة في دمشق، حتى سنة 1878، تاريخ إنشاء "الجمعية الخيرية". وفي تقديرنا أن أثر هذه الجمعية على الجو الفكري في دمشق - باستثناء جميع الكتب والمخطوطات في المكتبة الظاهرية، وافتتاح عدد من المدارس - بقي شكلياً. وما أحدثته من الأثر ارتبط، أساساً، بتتاج الأعلام من أعضائها مثل الشيخ طاهر الجزائري (1852 - 1920) والشيخ محمد علاء الدين بن عابدين (1828 - 1888) فكان لا بد أن يستمد المفكرون من عجز هذه الجمعيات الثلاث، ومن جمعية رابعة تشكلت في سنة 1887 هي "جمعية الفنون الطبية" عن تحقيق أغراضها، كان لا بد لهم أن يستمدوا حوافز حقيقية تعينهم على التحرك باتجاه تأسيس جمعية قوية، تختلف في منحها عما سبقتها،

(1) تأسست في الأستانة سنة 1906، أقامت أولى حفلاتها في متنزه الحديقة البصرية في الأستانة سنة 1907، وكان لبعض أعضائها أصدقاء في دمشق منهم الدكتور صلاح الدين القاسمي، ولطفي الحفار، فسارعوا إلى تأسيس فرع لها في دمشق ثم توحد الفرع والمركز وقر رأي الجمعية على جعل المركز العام لها في دمشق اعتباراً من سنة 1907.

(2) نعمان قساطلي. "الروضة الغناء في دمشق الفيحاء": 120.

(3) نعمان قساطلي. "الروضة الغناء في دمشق الفيحاء": 120.

(4) في ترجمة لإلياس بن عبده القدسي (1850 - 1926) يذكر شاكر مصطفى "القصة في سورية: 183" أن المذكور قد شارك في تأسيس "الجمعية التاريخية" في سنة 1878. وواضح أن هذا التاريخ خطأ، والأصح هو سنة 1875. فالجمعية التي تأسست في السنة التي ذكرها شاكر مصطفى هي "الجمعية الخيرية"، وليست "الجمعية التاريخية".



تكون قادرة على صون التراث العربي من الضياع، وتدافع عن وجود العنصر العربي في السلطنة، وذلك في غمرة التسلط الحميدي وسياسة الهدر بحقوق العرب داخل الإطار العثماني العام لطرز الحكم. ويمكن اعتبار تاريخ تأسيس "جمعية النهضة العربية" في الأستانة سنة 1906، بداية لانعطاف حاسم في موقف مفكري دمشق من السلطة، سواء من حيث الموقف السياسي أو من حيث الموقف الأدبي البحث. وفي تسمية الجمعية نفسها "بالنهضة العربية" كل مظاهر التحدي لواقع العرب المتخلف في إطار المجموعة العثمانية، وتبلور الصراع بين العنصرين الرئيسيين داخل هذه المجموعة، العنصر التركي من جهة، والعنصر العربي من جهة ثانية. فالنهضة لا تكون بغير التراث، والنهضة العربية لا تكون بغير جمع الكلمة بين الناطقين بالضاد. من هذا المنطلق، تتوضح أبعاد الدور الذي لعبته "جمعية النهضة العربية" في مجالات الأدب والسياسة معاً.

كان أول رئيس للجمعية هو محب الدين الخطيب، وأول أمين سر لها هو الدكتور صلاح الدين القاسمي (1887 - 1916). وكان من أبرز أعضائها: "محمد وأحمد كرد علي، عثمان وجميل وأديب ورضا مردم، ومحمد وجميل ولطفي الحفار، جمال القوتلي، فائز ونجيب وعارف الشهابي، زكي الخطيب، حكمة المرادي، عبد الفتاح الجندي، صبحي المليحي، كمال الحلباوي، صلاح الدين وسامي العظم، رشدي الحكيم وغيرهم"<sup>(1)</sup> وقد توازعت هؤلاء "الإخوان"، كما كانوا يدعون أنفسهم<sup>(2)</sup>، غايتان، الأولى أدبية لخدمة الأدب العربي واللغة العربية، والثانية سياسية تهدف إلى بث الروح الاستقلالية في نفوس الناشئة من العرب. وفي حين كانت اجتماعاتهم السياسية تتم في السر، كانت اجتماعاتهم الأدبية علنية. وقد أسسوا لهذا الغرض غرفة للقراءة في مركز الجمعية، استقطبت مجموعة من الشبان لتوكيد سياستهم المعلنة أمام السلطة، بأن أهداف الجمعية إنما هي أهداف تنقيفية ولا علاقة لها بالشؤون السياسية.

(1) ظافر القاسمي. "مكتب عنبر": 99 - 100. هؤلاء جميعاً هم من أسر دمشقية، ويكفي أن نعلم ذلك حتى نقدر مكانة الجمعية في أوساط المجتمع الدمشقي آنذ.

(2) أدهم آل الجندي: "شهداء الحرب العالمية الأولى": 175.

بيد أن السلطة، وبخاصة بعد انتقالها إلى أيدي الاتحاديين في سنة 1909 لم يكن ليفوتها ما تشكله هذه الجمعية من خطر على كيائها، فجددت دعواتها المضادة لمبادئ الجمعية. "وبتأثير اثنين من متعصبي العنصرية التركية هما أحمد آغايف ويوسف آقجورا انتشرت في شباب الترك عاطفة التمجيد التقديس لطغاة المغول والتتار، أمثال أتيل، وجنكيز خان، وهولاكو، وتيمورلنك"<sup>(1)</sup> فاستفحل بذلك طغيان الشعوبية، فزاد الاتحاديون من نعمتهم على أعضاء الجمعية، واتسعت دعوتهم لسحق اليقظة العربية في مهدها، حتى انتهى معظم رجالات "النهضة العربية"، بتهمة الانتساب إلى "جمعية العربية الفتاة"<sup>(2)</sup> أو "جمعية العهد"<sup>(3)</sup> بالموت شنقاً في مجزرة 6 أيار 1916.

وبرغم تصفية "جمعية النهضة العربية" مع بداية الحرب العالمية الأولى، في ظل الأوضاع التي تجلت فيها نقمة الاتحاديين على كل نشاط سياسي أو أدبي يمت إلى عرب البلاد بصله، فقد بقيت بذرة حية فعالة، ساهمت إلى حد كبير في إحياء الشعور العربي. فكان عملها هذا من عوامل قيام جمعيات مماثلة<sup>(4)</sup>، سواء في الأستانة عاصمة الدولة، أو في القاهرة، أو في باريس، تبدى أثرها جميعاً، فيما بعد، بانهيار الإمبراطورية العثمانية، وغلبة منطق التاريخ.

### التمثيل:

يرتبط فن التمثيل باهتمام قطاع واسع من الناس. وله، من هذه الناحية، وظيفته في تلمس قضاياهم وعكسها على خشبة المسرح. وهو، لهذا السبب عينه، يشكل أرضية تستمد منها جماهير الشعب مواقف قد تكون نابعة أمامهم للوهلة الأولى. فهو بهذا المعنى، منبه كما هو انعكاس. وهذا ما جعل الدولة تطوق فن

(1) محب الدين الخطيب. في مقدمة كتاب "صفحات من تاريخ النهضة العربية: ج - د.

(2) انظر الملحق رقم (6).

(3) نفسه.

(4) نفسه.

التمثيل بمراقبة مشددة، كمراقبتها لمظاهر ثقافية أخرى كالكتاب، والمطبعة، والنادي. وكما حظيت تلك المظاهر مجتمعة بضروب النعمة الحكومية حيالها، في دمشق، كذلك كان نصيب فن التمثيل والمسرح من هذا الموقف. فقد كانت هذه المدينة، في تقدير رجال السلطة - وبخاصة في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين - جزءاً من الخطر المرتقب الذي يواجه السلطنة ويتهدد وجودها.

والدارس للحركة المسرحية في دمشق، يلحظ أول إشارة إليها، فيما ذكره الفيكونت فيليب دي طرازي عن حفل ختان انجال الوالي في سنة 1868 محمد راشد باشا<sup>(1)</sup>. فقد استدعى هذا الوالي إبراهيم الأحذب (1826 - 1891) الذي اشتهر في بيروت برواياته التمثيلية، وكلفه بالإعداد لهذا الحفل<sup>(2)</sup>. واقتضى التكليف أن يعمد إبراهيم الأحذب إلى تدريب جوقة من الممثلين على تقديم رواية "الإسكندر المقدوني" تمهيداً لإحضارهم إلى دمشق في اليوم المقرر لإقامة الختان. ونفهم من هذه الإشارة أن اهتمام الوالي بفن التمثيل، يمكن أن يعد، بشكل ما، من عوامل رواجه في دمشق، خصوصاً بعدما حظي به إبراهيم الأحذب، في عاصمة الولاية، من إكرام الوالي وأعيان المدينة ووجهائها.

على أن هذه الواقعة، برغم أهميتها في التأريخ لنشأة فن التمثيل، لم تكن في تقديرنا، سوى تعديل للإطار الذي كان يحتضن هذا الفن في أطواره البدائية، أو المألوفة بين الأهلين. ذلك بأن دمشق، عرفت قبل المسرح على هذه الصورة، أشكالاً أخرى أبرزها: المسرح الشعبي المتنقل، المعروف باسم (عجايبك عجائب)<sup>(3)</sup>،

(1) الفيكونت دي طرازي. "تاريخ الصحافة العربية" 2: 103 - 104.

(2) راجع الدكتور جبور عبد النور في "دائرة المعارف" لفؤاد البستاني. 7: 170.

(3) يحترف صاحب هذه الحرفة عمله بواسطة صندوق مستطيل مزخرف ظاهره بأنواع الدهان، وبأحد وجوهه ثلاثة أو أربعة ثقوب دائرية (مدورة) متقاربة على حجم دائرة العين. وعلى كل عين ثقب من تلك الثقوب بلور من الذي يستعملونه للمنظار (أي عدسة مكبرة) لأجل تجسيم المنظور أمام عين المنرجح - جمال الدين القاسمي. "قاموس الصناعات الشامية" 2: 302 - 303.

## والحكواتي<sup>(1)</sup>، والكراكوزاتي<sup>(2)</sup>، والمهرج<sup>(3)</sup>.

(1) هو اسم لمن يحفظ الحكايات ويلقيها عن ظهر قلبه أو من الكتاب، كقصة عنتره، والملك الظاهر، والملك سيف، وحكايات مضحكة وغير ذلك. وله في كل قهوة وقت مخصوص لإلقاء الحكايات. وغالب أوقاته بعد الغروب أو بعد العشاء، فيجتمع الناس في القهوة، وتصني لقوله مع السرور والانساط. وقبل شروعه في الحكاية يحكي لهم مقدمة تسمى بالدهليز، وفيها أمور مضحكة ونصائح وهي من العجب، ثم بعد إتمامها، يشرع في إتمام ما كان قدمه في الليلة الماضية، لأن الحكواتي يقف في محل من القصة تتطلب النفوس إتمامها. وبعضهم يتأذى بذلك القطع التأذي العظيم. ثم إن الحكواتي لا يقتصر على القهوة، بل يذهب لبعض البيوت بأجرة مخصوصة عند اقتضاء ليلة سرور. وأما أجرته في القهوة فنصف أجرة صاحب القهوة، لأن كل شخص يدفع لصاحب القهوة عشر بارات ويشرب قهوة ودخاناً فيأخذ الحكواتي نصف الحاصل، وهكذا يفعل في كل قهوة. وبالجملة، فإن صنعة الحكواتي رائجة جداً، لأن غالب الناس مكبون على استماعه أكثر من انكبابهم على المعلم، وهذا من الجهل المفرط. - محمد سعيد القاسمي "قاموس الصناعات الشامية" 1: 112 - 114.

(2) هو من يلاعب صوراً مصنوعة من جلد على صفة الإنسان تعرف بالخيالات (أو ما يسمى بخيال الظل في الدراسات الحديثة من أشكال المسرح القديمة). وصاحبها يشتغل بالقهاوي، ينصب ستارة من قماش في زاوية القهوة، يربط بأسفل الستارة خشبة على عرض الستارة، ويضع فوقها سراجاً يوقد من زيت الزيتون، وهو يقف خلف الستار يلاعب الخيالات، ويأتي لكل واحدة منها بلغة وكلام خاص. فتارة يضحك وتارة يبكي وتارة يغني على حسب الخيالات. وغالب من يتفرج على الكراكوزاتي الأولاد الصغار. وقد يوجد ممن أتقن هذه الحرفة، مع سرعة حركاتها من يكون صوته جميلاً، فيقصده الشباب والشيوخ. وتروج هذه الحرفة في زمن الشتاء رواجاً زائداً. وما تجمع تلك القهوة بذلك الوقت ينقسم شطرين بين القهوجي والكراكوزاتي - جمال الدين القاسمي. "قاموس الصناعات الشامية" 2: 284 - 385.

(3) أو المضحك. وهو من يضحك الناس في أقواله وأفعاله. ويسمى في اصطلاح الشاميين "المهرج" أو "المسخن" أيضاً. يتفق أمره عند الأكابر وأرباب البطالة المثربن المترفين، بمن يضع أوقاته بالسخف. مع أن مثل هذا روى النهي عنه - جمال الدين القاسمي. "قاموس الصناعات الشامية" 2: 449 - 450.

إن هذه الأشكال جميعاً، يصح تصنيفها بين أشكال المسرح الشعبي، كما نسميه اليوم<sup>(1)</sup>. وقد بقيت تلك الأشكال المسرحية، على بدائيتها، وبرغم البوادر المسرحية ذات المقومات الأكثر حداثة وفنية التي أعقبت مجهودات المسرحيين الأوائل أمثال أحمد أبو خليل القباني (1833 - 1902) كما سنرى، بقيت معيشة في الأوساط الشعبية، ومنها الحكواتي، وصندوق عجايك عجائب، حتى يومنا هذا. فالأرجح إذن القول بأن نشأة المسرح المعاصر في دمشق، وإن بدأت بحفل ختان أولاد الوالي، فإن أشكاله القديمة كانت رائجة في أوساطها. وقد ساعد على تطوير شكله الجديد هذا النهضة المسرحية في بيروت، وربما أيضاً التمثيليات التي كانت مدارس الإرساليات التبشيرية - سواء في بيروت أو في دمشق - تحتّم بها عامها الدراسي، على غرار ما يجري في معظم مدارس عصرنا. كذلك قدوم بعض الفرق الأجنبية التي تسنى لجمهور دمشق أن يشهد عروضها، ومنها "الفرقة الفرنسية التي مثلت في مدرسة اللعازرية في حي باب توما روايات اجتماعية وأخلاقية"<sup>(2)</sup> في مطلع القرن الحالي العشرين.

إلا أن الانطلاقة الحقيقية لفن التمثيل<sup>(3)</sup> في دمشق، كانت في سنة 1878. ونحن نعلم أن دمشق استقبلت في العام المذكور واليها المصلح مدحت باشا. فقد وضع في برنامجه الإصلاحية "تأييد النشاط المسرحي"<sup>(4)</sup> وكان أبو خليل القباني، قد وضع حجر الأساس لهذا النشاط، باستخدامه "كازينو الطليان" في حي باب الجابية

(1) اعتمدت في تعريف هذه الأشكال البدائية للمسرح، أو لفن التمثيل، على "قاموس الصناعات الشامية" بجزأه، لأن في صياغة تعريفها نكهة خاصة تتفق وواقعها. وقد اقترن التعريف بالمشاهدة، كما نفهم من مقدمة الكتاب، فأثرت عفوية لغة الوصف وتجاوزت، بذلك، تعاريف الدارسين المحدثين الذين تطرقوا إلى هذه الأشكال في كتبهم أو أبحاثهم.

(2) آدم آل جندي. "أعلام الأدب والفن" 1 : 249.

(3) عرفه الدارسون القدامى بالقوميدا، والكوميضا، وهي جميعاً مشتقة من الكلمة الفرنسية Comedia.

(4) شاعر مصطفى. "القصة في سورية" : 191.

واستحواذه بمسرحيته "الشيخ وضاح ومصباح قوت القلوب"<sup>(1)</sup>، التي قدمها هناك على دهشة الجمهور وإعجابه بهذا الفن. وقد كان لبرنامج الوالي في رعايته الحركة المسرحية أثره العميق في نفس أبي خليل القباني. إذ اتفق مع إسكندر فرح<sup>(2)</sup> على استئجار مكان لإقامة مسرح لائق، فاخترارا له مكاناً يدعى "جنيئة الأفندي" في حي باب توما. وهناك قدما لجمهور المسرح "عايدة" و"الشاه محمود".

بيد أن المكان المشار إليه ما لبث أن ضاق بطموح أبي خليل القباني، فباع بعض أملاكه، واستأجر "خان الجمرك" الفسيح بمحلة باب البريد. وتم بذلك قيام مسرح دمشقي كامل الشروط بالنسبة إلى ذلك الوقت. وأما المسرحيات ذاتها، فقد حدد سليم النقاش ( - 1884) هويتها بقوله: "كانت ذات حبكة ضعيفة وسياق ساذج وحوار بسيط متكلف. كما جاءت من ناحية أخرى، تحمل مبالغات الأصول التي أخذت عنها وتجافي المنطق والمعقول في حوادثها أحياناً وفي شخصياتها أحياناً أخرى"<sup>(3)</sup>.

ومهما يكن لهذا الرأي من وزن، فإن ما يشفع للقباني، لدى الدارسين، هو أن مسرحياته، ذات ملامح عربية مستلهمة من التاريخ العربي وأساطير ألف ليلة وليلة. وهي بهذا المعنى قومية، وفيها من الشروط الفنية ما يثبت كفاءة صاحبها وقدرته على حيك الأحداث وتحريكها<sup>(4)</sup>. وفي مسرحياته الغنائية بوجه خاص، كالشاه محمود (أو الأمير محمود نجل شاه العجم). والحاكم بأمر الله، والخلل الوفي،

(1) قيل أنه ألفها ولحنها في ثلاثة أيام، ثم وزع أدوارها على أصحابه، فمثلوها في بيت أحدهم، على سبيل التجربة قبل أن يواجه بها الجمهور وينجح في هذه المواجهة. وتعرف أيضاً باسم "الشيخ وضاح ومصباح قوت الأرواح".

(2) كان يعمل مدوناً في دائرة الإجراءات الجمركية بدمشق، فاستدعاه مدحت باشا في سنة 1878 وقد بلغه ميله الشديد للمسرح. وكلفه بتأليف فرقة مسرحية وسمح بأن يزاول عمله في ساعة واحدة فقط خلال أوقات الدوام الرسمي ليتسنى له تدريب الممثلين باقي الوقت.

(3) سليم النقاش في مجلة "الجنان". المجلد الخامس، آب 1880: 521.

(4) أورد إلياس طعمة جرجس في "أبو خليل القباني رائد المسرح السوري" مقاطع مختارة من عدد من التمثيليات التي تمكن من معرفتها. تبدو لغة المؤلف في بعضها ركيكة، إلا أن طريقة الحيك فيها وأغراضها الاجتماعية ملفتة للانتباه.

وأنس الجليس<sup>(1)</sup>، موشحات<sup>(2)</sup> ما تزال تدين بفضل استمرارها حتى يومنا هذا، لعبقرية أبي خليل القباني الذي اجتمعت في شخصه موهبة الغناء، والشعر، والتلحين، والأداء. وقد كان لميزاته الفريدة هذه - عندما ارتحل القباني إلى القاهرة في سنة 1883 - أثرها في إرساء القواعد المسرحية الدرامية والغنائية على حد سواء في القطر المصري.

بيد أن هذه المقومات التي تجسدت في شخص أبي خليل القباني، والظروف التي أحاطت بالنهضة المسرحية في بدايتها ومن ذلك دعم الجمهور وبعض الولاة لها<sup>(3)</sup>، لم تشفع للتجربة أن تستمر وتنمو وتنضج. ففي ترجمة الشيخ سعيد بن عثمان بن عبد الغني الدمشقي الشافعي الشهير بالغبرا، مثلاً، أن المذكور كان من أشد مقاومي "البدع غير المرضية المخالفة للشرع"<sup>(4)</sup> وأنه، من أجل إبطال هذه البدع وخصوصاً بدعة ما أسماه "بكوميديا التمثيل للروايات" شد رحاله أكثر من مرة إلى الأستانة. وهناك انتهز فرصة حضور السلطان عبد الحميد صلاة الجمعة ذات مرة فبادره بالقول: أدركنا يا أمير المؤمنين، فإن الفسق والفجور قد تفسياً في الشام فتهتكت الأعراض وماتت الفضيلة ووثد الشرف واختلط النساء بالرجال<sup>(5)</sup>.

وأدرك السلطان الرجل، فأغاثه بإرادة سنية أمرت والي دمشق أحمد حمدي باشا (للمرة الثانية بين 1879 - 1883) بإغلاق المسرح<sup>(6)</sup>. على أن مسرح القباني لم

(1) هذه المسرحيات الثلاث "الحاكم بأمر الله، الخل الوفي، أنس الجليس" لم يرد ذكرها في المصدر السابق.

(2) منها: بزغت شمس الكمال، طال ليلي، راق أنسي، يا من جفا وما رحم، شادن، عيد المواسم - عدنان بن ذريل. "الموسيقى في سورية": 139.

(3) كمحمد راشد باشا، فضلاً عن مدحت باشا.

(4) محمد أديب آل تقي الدين الحصني، "منتخبات التواريخ لدمشق": 2: 721 - 722.

(5) شاكر مصطفى. "القصة في سورية" 192 - 193.

(6) قيل أن عداء هذا الشيخ للقباني كان بسبب ضالة الرشوة. وقيل أيضاً أن أبا خليل القباني كان في بدء عهده بالمسرح يستقبل الأعيان والوجهاء بالمجان. ثم عدل عن موقفه لضالة موارده، فنقم عليه هؤلاء.

يغلق، بل نهب ثم أحرق، ولوحق صاحب المسرح في الأزقة من قبل الصبيان تطارده اللعنات والإهانات<sup>(1)</sup>. ومما ساعد على استجابة السلطان لاستغاثة الشيخ الغبرا، وجود أكثر من شكوى، رفعها بعض المتعصبين ضد أبي خليل القباني إبان إبعاد الوالي مدحت باشا عن دمشق، من أطرفها الشكوى التالية: "إن وجود التمثيل في البلاد السورية مما تعافه النفوس الأبية، ونراه على الناس خطباً جليلاً، وزراً ثقيلاً لاستلزامه وجود القيان ينشدن البديع من الألحان بأصوات توظف أعين اللذات في أفئدة من حضر من الفتيان والفتيات، فيمثل على مرأى من الناظرين ومسمع من المتفرجين أحوال العشاق، فتطبع في الذهن سطور الصباية والجنون وتميل بالنفس إلى أنواع الغرام والشجون والتشبه بأهل الخلاعة والمجون، فكم بسببه قامت حرب الغيرة بين العوازل والعشاق وكم سلب قلب عابد، وفتن عقل ناسك، وحل عقد زاهد"<sup>(2)</sup>.

حتى إن صدر الشيخ ظاهر الجزائري، على حد قول محمد كرد علي<sup>(3)</sup> لم يتسع للتمثيل في حينه. وفي هذا الصدد يذكر عن الشيخ الجزائري أنه قاوم المشتغلين بالتمثيل والموسيقى سراً، مخافة أن يكون سلماً إلى التبذل وخلع ثوب الحياء، وإنه كثيراً ما كان يقول "إن أجيال الفرنجة، في عصره، قد أفرطوا في الغرام بالتصوير والتعويل عليه في كل أمر، فأضعفوا بذلك قوة التفكير والتصوير. ولا ندرى إن

(1) بما كان يردده أطفال المدينة وهم يطاردون القباني في أحيائها، هذه الأبيات:

أبو خليل النشواتي	يا مزيف البنات
ارجع لكارك أحسن لك	ارجع لكارك نشواتي
أبو خليل من قلك؟	على الكوميضيا من ذلك؟
ارجع لكارك أحسن لك	ارجع لكارك نشواتي
أبو خليل القباني	يا مرقص الصبيان
ارجع لكارك أحسن لك	أبو خليل القباني

(2) أدهم آل جندي. "أعلام الأدب والفن" 1 : 250.

(3) محمد كرد علي. "كنوز الأجداد" : 8.



كان ذلك حقاً وأن تأليف أكثر من ثلاثين مسرحية يكفي دليلاً على إثبات قوة التفكير والتصوير أم لا".<sup>(1)</sup>

وهكذا، بإلغاء مسرح القباني وتشريده، لم تعد دمشق مسرحها الوحيد، وإنما وئدت بذلك تباشير مسرحية أخرى وجدت في المدينة لتواكب أو لترفد تجربة أبي خليل القباني. ونعني المسرح الذي أنشأه حنا عنحوري (1863 - 1890) بشراكة صديق له يدعى جورج أفندي مرزا، وأسمياه "مسرح الاتحاد"<sup>(2)</sup>. وكما شد القباني رحاله إلى الإسكندرية (1883)، كذلك ارتحل حنا عنحوري تاركاً دمشق إلى باريس في سنة (1884) ليقضي هناك في شرح شبابه، وبما أن التمثيل كان عارضاً في دمشق، فقد رجع القهقري بعد هذين الرجلين، وكان لا بد، عندئذ، أن يسترجع الحكواتي والكراكوزاتي مكائهما السابقة، سنوات عديدة، حتى إعلان دستور عام 1908.

ففي هذه السنة، تألفت في "مكتب عنبر" فرقة تمثيلية، فقدمت مسرحية "طارق بن زياد" في حديقة الصوفانية بالقصاع<sup>(3)</sup>. وكان مجرد التفكير في ذلك الزمان بتمثيل

---

(1) لم نقرأ رأياً صريحاً كهذا للشيخ طاهر الجزائري، فيما أطلعنا عليه من آثاره. على أن محمد كرد علي نفسه، يعقب على كلام الشيخ قائلاً: "ومن جهل شيئاً عاداه" - المصدر السابق: 90.

(2) خلافاً لطريقة أبي خليل القباني، في تقديم المسرحيات المشفوعة بالغناء والرقص. فقد اعتمد "مسرح الاتحاد" الروايات التمثيلية المترجمة عن الأدب الغربي. وقد أنس حنا عنحوري من طريقته النجاح. إلا أن ما اعترضه من شؤون - كما يذكر يوسف بك السبع في مقدمة الرواية التي عربها عنحوري بعنوان شقاء المحبين - أوجبت تعطيل المسرح. وفي بقيننا أن ما أثير في وجه حنا عنحوري هو نفسه ما أثير في وجه أبي خليل القباني. وقد رأينا نموذجاً لمنطق المعارضين في الشكوى المقدمة ضد القباني منذ قليل. أضف إلى ذلك أن حنا عنحوري لم يكن مسلماً كالقباني. والنيل منه يمكن أن يستند إلى هذه الناحية في زمن كانت النعرات الطائفية فيه تلعب دورها، هذا إلى جانب أن نوع التراث الذي كان يستلهم المؤلف منه، موضوعات مسرحياته، كان من المترجم أو المغرب، أي أنه لم يكن مرتبطاً بتراث عربي.

(3) ظافر القاسمي، "مكتب عنبر": 101 - 102، وعيسى فتوح - مجلة المعلم العربي (1973) 10 : 50 الذي أجرى حديثاً مع أبرز ممثليها المرحوم الدكتور سامي الميداني رئيس الجامعة السورية سابقاً، ومجلة الأديب (1973) 9 : 13. وقد جاء في المقابلة قوله إن مؤلف المسرحية قد يكون نجيب الريحاني.

رواية عربية يقوم بأدوارها طلاب مكتب عنبر "شيثاً يسترعي النظر ويدعو إلى كثير من الإعجاب ،. وذلك لأن سياسة الترك ، على مختلف نزعاتهم وميولهم ، كانت ترمي إلى تترك جميع العناصر غير التركية ، إضافة إلى ما كانت ترمي إليه هذه المسرحية من أغراض التذكير بمعاني الفتح العربي في الأندلس والإشادة بمزايا التاريخ العربي"<sup>(1)</sup>.

وفي السنة التالية (1909) قررت "جمعية النهضة العربية"<sup>(2)</sup> ، لخدمة أغراض تدريس اللغة العربية ، تمثيل رواية يخصص ريعها لغرف القراءة التابعة لها<sup>(3)</sup> . فقدمت فرقها الناشئة مسرحية "فتاة الدستور" ، مرة في مسرح الإصلاحخانه (أي دار الإصلاح) ، ومرة أخرى في مسرح "زهرة دمشق" . وكان مما شجع على ظهور أمثال هذه الفرق الخاصة في دمشق ، قدوم فرق مسرحية أجنبية أو عربية ، من القاهرة ، لتقديم عروضها فيها ، وبموافقة رسمية من الحكومة . وفي قاموس الصناعات الشامية لجمال الدين القاسمي ، "إن نساء ورجال هذه الفرق كانوا في الغالب من الأرمن والروم ، وأن رواياتهم كانت تشتمل على فصول منها تمثيل ، ومنها رقص ، ومنها ضحك ، ولكنها كانت تعمل لفترة محدودة ، فيقصدنها من يرغب بالفرجة عليهم"<sup>(4)</sup> . وعندما بدأت هذه الفرق بتقديم الروايات العربية (نحو 1906) صار أهالي دمشق يقصدونها أفواجاً أفواجاً . وما يذكره شاعر مصطفى في هذا الصدد ، أن دمشق - قبل عودة النشاط المسرحي إليها - شهدت في عام 1898 "أقدم نموذج يقع عليه الدارس من المسرحيات التي صبت في قالب الشعر ، وهي مسرحية (اشيل)" التي أعدها سليم عنحوري (1856 - 1933)<sup>(5)</sup> .

(1) صبحي أبو غنيمه في المصدر السابق : هامش الصفحات 101 .

(2) راجع ترجمة الجمعية في الباب السابق .

(3) بدأت الجمعية بتدريس اللغة العربية في سنة 1909 بعد أن أعدت لهذا الغرض غرفاً للقراءة ملحقه بمفردها .

(4) جمال الدين القاسمي . "قاموس الصناعات الشامية" 2 : 470 - 471 .

(5) عربيها فرنسيس تراك عن الفرنسية ، فسكبها سليم عنحوري في ألفي بيت من الشعر يتخللها بعض النثر . أعيد تمثيلها في بيروت بعد عرضها في دمشق في السنة المذكورة . ولسليم

وبالرغم مما لحق الحركة المسرحية في دمشق، من التأييد أو الشجب، فمما لا شك فيه، أنه كان لها شأنها وموقعها في خدمة الأغراض القومية والفكرية على حد سواء، وذلك بسبب لجوء كتاب المسرحية، وفي طليعتهم أبو خليل القباني، إلى استلهاهم التاريخ العربي في إعداد موضوعاتهم أو تأليفها. حتى إن واحداً منهم هو رشدي الشمعة (1865 - 1916)، دفع حياته ثمناً لرسالته، كأول شهيد للمسرح. فقد أغضب الاتحاديين "برواياته الوطنية التي مثلت في دمشق"<sup>(1)</sup>، وكان قرار الاتهام الذي انتهى به إلى الإعدام، بين قافلة شهداء عام 1916 يتضمن صراحة الفقرة التالية "إنه ألقى في دور التمثيل محاضرات تشجع الانفراد العربي واستقلاله"<sup>(2)</sup>.

وتكفينا هذه الإشارة في قرار الاتهام، لنذكر مدى القلق الذي كان يساور الاتحاديين نتيجة لاتساع النشاط المسرحي في دمشق أو إمكانية حدوث ذلك. فللتمثيل مكانة عبر عنها عبد القادر المغربي (1867 - 1956) في أول مقالة كتبها في جريدة المقطم بالقاهرة إثر نزوحه إليها، جاء فيها قوله:

"إذا عدت الصحافة والخطابة من عوامل تربية الأمم ووسائل تهذيبها وإرشادها إلى طرق الآداب والفضائل، كان التمثيل ولا ريب من أقوى تلك العوامل وأقربها تأثيراً وأنجعها علاجاً"<sup>(3)</sup>.

ولا بد أن يكون الحكام العثمانيون، قد فطنوا إلى ما تتضمنه الإثارات الوطنية والقومية في المحاولة المسرحية الدمشقية، فكانوا عوناً لخصومها عليها، كما كانوا عوناً لخصوم اليقظة الفكرية عموماً على المتنورين من أبناء دمشق، في سعيهم، كي تستعيد مدينتهم مكانتها في التاريخ الحديث.

---

عنحوري غير هذه التمثيلية "هند وعصام" وهي شعرية، وذلك من بين نحو عشرين تمثيلية وقصة أحرقتها أهله جميعها يوم نفي خلال الحرب العالمية الأولى - شاعر مصطفى. "القصة في سورية": 210.

(1) آدم آل جندي. شهداء الحرب العالمية الكبرى": 107. إلا أن المؤلف لم يورد أسماء الروايات، ولا أين أو متى مثلت. كما أننا لم نقع على تفصيل لهذه الحادثة في المصادر الأخرى التي عدنا إليها.

(2) نفسه.

(3) محمد أسعد طلس. "محاضرات عن الشيخ عبد القادر المغربي": 81.

ولئن نجح هؤلاء الحكام في موقع ، فقد نجح أدباء اليقظة ، والمستقبل ، في أكثر من موقع<sup>(1)</sup>.

## خلاصة.

نستخلص من ذلك جميعاً ، أن المواجهة بين مثقفي دمشق ورجال الحكم ، لم تكن مواجهة سهلة. وقد كانت الغلبة ، في هذه المواجهة ، بجانب النظام حيناً ، وبجانب المثقفين حيناً آخر. إلا أن آثار هذه المواجهة انعكست سلباً ، على الحركة الأدبية في دمشق ، ولفترة طويلة من الزمن. فقد حرمتها من ترسيخ جذور أدبها القومي ، وأفقدتها طائفة من كتابها النابهين الذين هجروها بحثاً عن الحرية والخير ، وشقت صفوف الباقين منهم بالخلافات السطحية ، وحالت بين دمشق ومدن أخرى كالقاهرة وبيروت ، فيما تبوأته من مكانة ثقافية وحضارية.

وقد رأينا حال التعليم والصحافة والمسرح . وما آلت إليه هذه المرافق الثقافية نتيجة الكبت والتضييق والمطاردة. فأنتهى أمر التعليم إلى الاجترار ، وتقوض المسرح ، وأصاب الجمعيات الأدبية ما أصابها. ولم يبق للمطبعة والكتاب والصحيفة دور تلعبه لتفتيح الرغبة على مواكبة ثقافة العصر.

إلا أن ما يمكن تسجيله ، في هذا الصدد ، هو نزوح متنوري دمشق إلى خارجها ، وإسهامهم في إغناء بعض جوانب الحركات الأدبية والفنية في مدن بعيدة عن مدينتهم ، كالقاهرة والإسكندرية وباريس ، ورفد تلك الحركات الأدبية بدماء فنية جديدة.

ويبقى في يقيننا ، أن ما أفرزته الحركة الأدبية في دمشق ، بوسائلها المتاحة للوصول إلى المعرفة ، يكفي للدلالة على أن تلك الوسائل ، قد شكلت ، بمجموعها ، إطاراً لعمل مرموق لا يستهان بأهميته التاريخية. فقد أسهمت معطيات الحركة ، في إرساء قاعدة النهضة الفكرية التي بدأت تتوضح ، شيئاً فشيئاً ، بعد الثمانينات من القرن التاسع عشر ، بغض النظر عن مراميها وغاياتها وانتماءاتها. وهو ما سنتبينه ، تفصيلاً ، في صفحاتنا التالية ،

(1) سنتبين أثر هذه الخصومة بشكل أوضح في الفصلين الرابع والخامس من كتابنا هذا.

## الفصل الثالث

### الاتجاهات الأدبية

يتعذر على دارس الحركة الأدبية في دمشق، أن يتلمس، خلال السنوات الممتدة من 1800 - 1875، اتجاهاً أدبياً بالمعنى المتعارف عليه في يومنا هذا. ذلك لأن ما ترسب في أوساط مثقفي المدينة، خلال الفترة المنوّه بها، من قضايا فكرية، لم تكن، في اعتقادنا، سوى "مواقف" أملت لها انتماءات أعلام الفكر آنئذ إلى معطيات سلفية، هي، في جملتها، معطيات دينية تتسم إلى حد بعيد بطابع المحاكاة والتقليد.

إلا أن صورة هذا الواقع، طرأ عليها التبدل بعد عام 1875. وحدث ذلك بفعل التغيرات التي أصابت البنية الثقافية نفسها داخل المدينة - قبل حين من ذلك التاريخ أو بعده بوقت قليل - ومن ذلك ظهور الطباعة والصحافة والمسرح.

هذا، فضلاً عن اتصال بعض متنوري دمشق، بأسباب اليقظة الفكرية التي ابتدأت في أرجاء مختلفة من أوروبا، فتسربت، خلال القرن التاسع عشر، إلى أجزاء مختلفة من الولايات الغربية الخاضعة للسلطنة العثمانية، وإلى بعض المدن الرئيسية في الولايات العربية كالقاهرة وبيروت.

وهكذا، بات في وسع الدارس أن يلمح، بما لديه من وسائل، اتجاهات أدبية أقرب إلى مفهومنا المعاصر. وقد رأينا أن نقسم تلك الاتجاهات إلى ثلاثة اتجاهات رئيسية هي:

1 - الاتجاه السكوني: المعبر عما تعارف عليه الدارسون بتسميته بالاتجاه السفلي أو المحافظ.

2- الاتجاه الانتقائي: وهو ما اشتهر بتسميته بالاتجاه الإصلاحى.

3- الاتجاه المستقبلى: ونعنى به الاتجاه الذى يحاول تجاوز المعوقات التى تشد المفكرين إلى الوراء أو تجعلهم يدورون فى مواقعهم.

وقد رأينا أن نقتصر فى هذا الفصل من كتابنا، على استعراض أهم المقولات النظرية لكل من هذه الاتجاهات وأسبابها، وذلك تمهيداً لبحثنا القادم فى "الفنون والموضوعات الأدبية" التى عكستها هذه الاتجاهات منفردة أو مجتمعة، خلال القرن التاسع عشر.

### الاتجاه السكونى.

لسبب أو لآخر، تكتسب الحملة الفرنسية التى قادها نابليون بوناپرت باتجاه المشرق العربى، أهمية خاصة فى الترويج لهذا الاتجاه، فى دمشق، كما فى باقى مدن الولايات المتحدة العربية الخاضعة للنفوذ العثمانى. فقد جسدت هذه الحملة، من الوجهة الدينية، مخاوف رجال الدين الإسلامى، ووجدوا فيها هجمة مسيحية على أقطار كانت ما تزال تنظر إلى السلطان على أنه خليفة للمسلمين، وأن أى مساس بمركزه هو نوع من زعزعة مركز الدين الإسلامى نفسه فى المشرق العربى.

ومن هذا المنطلق أسهمت دمشق فى صد الحملة بتنظيم جيش قاده الشيخ أحمد العطار (1725 - 1803)، إمام الشافعية فيها<sup>(1)</sup> ومع أن التطورات السياسية، فى ذلك الحين، نجحت فى احتواء نتائج الحملة من الناحية العسكرية<sup>(2)</sup>، إلا أنها لم تقو على احتواء نتائجها الفكرية، التى تمثلت - كما يشهد بذلك كبار مؤرخى الفترة، وبخاصة عبد الرحمن الجبرتي (1754 - 1822)<sup>(3)</sup> - فى تفتيح أذهان متتوري

(1) راجع عبد الرزاق البيطار "حلية البشر فى تاريخ القرن الثالث عشر": 239 - 241.

(2) الإشارة هنا إلى تحالف إنكلترا وروسيا مع الدولة العثمانية لطرد الفرنسيين من مصر - راجع الفصل الأول.

(3) مؤرخ مصرى. ولد فى القاهرة وعلم فى الأزهر. أشهر كتبه: "عجائب الآثار فى التراجم والأخبار، جمع فيه حوادث مصر 1690 - 1821.

مصر، وطلاب الأزهر على منجزات حضارية كانت خافية عنهم إلى ذلك الحين. إن جانباً غير يسير من المعارف الجديدة التي راجت في القاهرة، خلال الحملة وبعدها، تسرب إلى دمشق. وأسهم في هذا اتصال الدمشقيين بالمصريين، بعد الحملة المصرية على بلاد الشام في عام 1831 بشكل خاص. فأوجب ذلك نهوض من حظوة لدى السلطان وعماله، لمقاومة الدعوة إلى تجديد الواقع أو رفده بما هو غريب عما ألفوه أو أرادوا الحفاظ عليه. وهو ما نعتقد أنه كان دفاعاً عن مكاسبهم التي أورثهم إياها نظام الحكم حتى عام الحملة المصرية، والفترة التي أعقبتها بعد خروج المصريين من دمشق في سنة 1840.

على أن الحملة الفرنسية، وبعد استثناء أغراضها الاستعمارية التوسعية، لم تكن سوى محرض من بين المحرضات الأخرى التي تسببت، ليس في نشأة الاتجاه السكوني فحسب، وإنما في تثبيت ركائزه في دمشق. من جملة هذه المحرضات حركة محمد بن عبد الوهاب (1703 - 1792)<sup>(1)</sup>، التي خرج بها من قلب الجزيرة العربية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر داعياً إلى نبذ البدع التي ألحقت بالإسلام وهو منها براء. حاربت الدعوة الوهابية الاجتماع لقراءة المولد، والاحتفاء بزيارة القبور والأولياء، وخروج النساء في الجنازة، وإقامة الأذكار حيث الغناء والرقص، والتبرك بالمحمل والتمسح به، واتخاذ الرقي والتمائم للوقاية، وما إلى ذلك مما رآه مخالفاً لشرائع الدين الإسلامي في حقيقة دعوته ومحتواه.

إلا أن التضدي لهذه البدع، التي لم يكن فيها شيء من صلب الدين الإسلامي، شكل في حد ذاته ظاهرة اعتبرت تحدياً لمركز السلطان وهيبته، دينياً وسياسياً، مما استدعى، كما رأينا، تجريد الحملة ضدها من 1811 - 1818 وكانت الغلبة فيها لجيش الدولة.

---

(1) مصلح ديني وزعيم الدعوة الوهابية. ولد في العمينة (نجد). ربي على المذهب الحنبلي وطاف في الحجاز والعراق وسورية. له عدة مؤلفات منها "كتاب التوحيد"، "كشف الشبهات"، "تفسير الفاتحة".

ويتراجع الدعوة الوهابية، وتشنت أنصارها، أمام القوة، استكانت الفئات التي تشكل غالبيتها من اتباع المذهب السني، المذهب الرسمي للدولة. وكان من نتائج هذه الاستكانة كمون الدعوة، فترة طويلة من الزمن، إلى أن أيقظها في دمشق، مجدداً، علامتها الشيخ جمال الدين القاسمي (1866 - 1914)<sup>(1)</sup>، متأثراً بتعاليم من سبقوه إليها، أمثال الشيخ جمال الدين الأفغاني (1839 - 1897) والشيخ محمد عبده (1848 - 1905) في القاهرة.

ومع يقيننا بأن تراجع الدعوة الوهابية، كان بسبب حرص أصحابها على إجلاء جوانبها الدينية البحتة، دون العناية بجوانبها العقلية، كما يؤكد ذلك عدد من الدارسين المعاصرين<sup>(2)</sup>، فقد استطاعت، مثل الحملة الفرنسية، أن تحدث صدعاً بالغاً في صميم الاتجاه السكوني. وتجلّى ذلك في زعزعة المسلمات الموروثة منذ ثلاثة قرون متواصلة.

(1) درس في المدرسة الظاهرية بدمشق. انتدب من عام 1892 - 1896 لإلقاء دروس عامة خلال شهر رمضان في وادي العجم والتبك وبعلبك. وقام مقام أبيه في الدرس العام بعد وفاته في سنة 1901. آمن بالحرية والاجتهاد في الدين، فتعرض للاعتقال في سنة 1897 ثم أخلي سبيله لثبوت براءته من تهمة تأسيس مذهب ديني باسمه (المذهب الجمالي) وفي سنة 1908 صودرت كتبه المشتبه بها ثم أعيدت إليه بعد شهر ونصف. وبعد إعلان الدستور في السنة ذاتها اتهم بالتحريض على إنشاء "جمعية النهضة السورية"، وهي الجمعية التي انبثقت عن جمعية النهضة العربية وصارت فيما بعد نواة المنتدى الأدبي. عقدت بينه وبين الإمام الشيخ محمد عبده، بالقاهرة، صداقة، فزازه في بلده كما استضاف الشيخ في دمشق. مكتبته الخاصة تنوف عن ألفي مجلد ولم يحل كتاب فيها من تصحيح أو تعليق. يسميه المعاصرون بعلامة الشام. ويعرف عنه أنه خالف مشايخ زمنه فدرس الجغرافيا على صديقه عبد الوهاب الإنكليزي، والهندسة على صادق النقشبندي. وكان يرى أن الدين جزء من السياسة ولهذا شارك في جميع الحركات التي ترمي إلى تحرير العالم الإسلامي والعربي من التعسف والظلم.

(2) منهم البرت حوراني في كتابه "الفكر العربي في عصر النهضة : 55"، وأحمد أمين في كتابه "زعما الإصلاح في العصر الحديث : 20".



ومن العوامل الأخرى ، ذات الدور الفعال في تماسك دعاة الاتجاه السكوني ، عامل آخر لا يقل أثراً عما سبقه ، إن لم يكن أشدها أثراً على الإطلاق ، ونقصد : حركة التبشير المسيحي .

في هذه المسألة ، من الوجهة الثقافية ، نظرتان . أولاهما تصور التبشير المسيحي ، من خلال مؤسساته التعليمية ، على أنه سبيل لهدم أركان الإسلام وتقويض بنياته . والأخرى على النقيض من سابقتها ، ترى أن التبشير المسيحي ، بما له من فضل على الحركة التعليمية بوجه خاص ، ساعد في تقريب الثقافة الغربية - المتميزة في ذلك الحين - من أذهان المتنورين العرب . وكان ذلك من أسباب رقي النهضة الفكرية لديهم ، حيثما وجد التبشير المسيحي في البلاد الخاضعة لحكامها العثمانيين .

ونحن نعلم<sup>(1)</sup> ، أن الحركة التبشيرية في بلاد الشام لم تكن وليدة القرن التاسع عشر ، وإنما شهد هذا القرن - بعد انقطاع دام من قيام الثورة الفرنسية في عام 1789 وحتى عهد إبراهيم باشا في سورية - موجة من التجدد في تيار التبشير امتدت إلى دمشق ، مثلما عمت مدناً وقرى عديدة في أرجاء الولايات العربية التابعة للسلطنة العثمانية . ويرغم التحفظات المثارة ضد كل تيار غريب ووافد ، فقد استقطبت مدارس التبشير جانباً من السكان وكان معظمهم من المسيحيين واليهود ، ففقد بذلك أبناء المسلمين فرصة التماس بالعلوم التجريبية والأدب والفلسفة والسياسة إلى ما بعد اليقظة القومية في أواخر القرن التاسع عشر . ولتجاوزها دائرة التعاليم الدينية المحضة ، كما كانت عليه الحال في المدارس الحكومية آنذاك ، فقد تمكنت حركة التبشير ، من خلال مؤسساتها التعليمية ، أن تقود الاتجاهات المضادة للسكونية بما يشبه الصراع بين العقائد في عصرنا .

ووجد الحكام العثمانيون - وقد التزموا تجاه الدول الأوروبية ، وبخاصة بعد حوادث 1860 الدامية ، بمنح مدارس الإرساليات المسيحية حرية العمل - وجدوا أن خطر هذه المدارس لا يقل ، من حيث إشاعة الثقافة الأوروبية والوعي القومي

(1) راجع الفصل الأول .

لدى المواطنين، عن أي لون من ألوان التصدي المتعددة لكيان السلطنة، فناهضوها خفية وجهاراً، تارة باسم الحفاظ على الإسلام وقيمه الموروثة، وأخرى تحت شعار مقاومة الاستعمار الأوروبي.

وفي ذلك كله، كان دعاة الاتجاه السكوني، يمثلون دور أداة التنفيذ، سواء من حيث يقينهم بصدق ما يقولون أو يفعلون، أو حرصاً على مواقعهم الدينية في مدينة كدمشق، تحتل مركزاً دينياً هاماً في طريق الحج إلى بيت الله الحرام.

وكان من نتائج التصديق على مدارس الإرساليات التبشيرية، في دمشق خصوصاً، وأرجاء الولاية السورية عموماً - فضلاً عن التشدد في حرمان طلبة المدارس من التعرف إلى العلوم الحديثة بنسبة ذلك العصر - أن آل الأمر بالحركة الأدبية في دمشق إلى حد، حمل واحداً من مشاهير أدياء الفترة الأخيرة من العهد العثماني، هو الدكتور صلاح الدين القاسمي (1887 - 1916)<sup>(1)</sup> إلى القول: "كنا وكان للأدب فيما مضى دولة قامت بأقلام المبرزين من أبناء العربية الأولى، وقد أصبحنا في هذه الأيام، ولم يبق لنا في هذه الدولة، سوى رسوم مخيلة وأطلال بالية"<sup>(2)</sup>.

هذه المحرضات الثلاثة، هي في اعتقادنا، من أبرز الأسباب التي قوت تيار الاتجاه السكوني، ليس حفاظاً على الدين الإسلامي وقيمه، ولا استلهاماً لما في تراث العرب من كنوز فكرية أضاءت ما حولها قبل الفتح العثماني، وإنما لتقوية جدار العثمانية، ودفاعاً عن السلطان بوصفه ركناً من أركان الدين الإسلامي في يقين الغالبية العظمى من سواد الناس.

(1) مات أبوه في سنة 1889 فكفله أخوه الشيخ جمال الدين. تعلم التركية والفارسية والفرنسية ومبادئ العلوم الكونية في المدارس الحكومية، فضلاً عما تلقاه من ضروب المعارف الدينية والعربية في بيته. دخل المدرسة الطبية ونال شهادتها في سنة 1914. ألف مع عدد من أخوته في سنة 1906 "جمعية النهضة العربية" وكان أول كاتب سر لها. بعد خلع السلطان عبد الحميد في سنة 1909 وتنصيب السلطان محمد رشاد سافر إلى الأستانة مهنتاً ومراسلاً لجريدة المقتبس. وفي عام 1916 سافر إلى الحجاز طبيباً وهناك أصيب بخراج في كبده فتوفي غرباً عن مسقط رأسه. وكان ذا نزعة قومية عربية ومتحرراً من الأساس الديني.

(2) صلاح الدين القاسمي. "صفحات من تاريخ النهضة العربية": 84.

وقد حرصت السلطة، كما حرص حماة الاتجاه والمروجون له على ترسيخ الاعتقاد، بأن المجتمع، كما هو عليه، هو مجتمع مثالي وأن كل محاولة لتبديله، هي تخريب وافتئات على الدين.

وانطلق هؤلاء وأولئك لترسيخ مثل هذا الاعتقاد من المقولة التي كانت تفترض، أنثذ، أن الغرب شرُّ كله، وما يفد منه إلى داخل البلاد لا بد أن يكون مهلكاً ومدمراً للقيم الموروثة التي هي في مرتبة القداسة عند الكثيرين.

ولترسيخ مثل هذا الاعتقاد أيضاً، استغلت الدولة أحداث العصر السياسية، للترويج بأن أي امتداد غربي في العالم العربي هو امتداد استعماري، الغاية منه إحياء "الصليبية" التي تمثلت في تحرر شعوب شرقي أوروبا، أو ما كان يطلق عليه اسم "الروملي" من النير العثماني. وبما أن العثمانية هي الإسلام، في مفهوم غالبية معاصري الفترة من متنوري الأقطار العربية، فكل اعتداء على الدولة العثمانية، أو مقام السلطنة، وإن كان في سبيل الحرية القومية أو الفكرية، هو تطاول، في اعتقادهم، على الدين.

وقد تبين لراسمي السياسة في الدولة أن أي احتكاك للمواطنين بالغرب، مهما كان لونه أو حجمه، سيقود إلى تفتيح عيونهم على مساوئ الحكام، وظلمهم، وفساد أنظمة الدولة الإدارية، فأثروا التحصن بمنع وصول أصداء المدينة الحديثة إلى الشعب، وشجعوا الأدب السكوني على الازدهار، وأيدوا دعائه وكانوا مثلهم، خصوصاً لأبي أدب يفاير أغراضهم.

وكان، بنتيجة ذلك التحصن، أن عكس الأدب السكوني مقولتين، حرص أصحابه على إبرازهما وهما: ان العثمانية، ضرورة إسلامية. وأن الوحدة الإسلامية – وبالتالي العصبية الإسلامية – هي من لوازم القومية، بما في ذلك القومية العربية، لرعايا السلطنة.

## 1 - العثمانية، ضرورة إسلامية:

مما روج له دعاة الأدب السكوني، أن الخلافة الإسلامية، "تسللت من الراشدين إلى الأمويين والعباسيين فالعثمانيين"<sup>(1)</sup> ووجد بين أدباء العربية، من اضطلع بمهمة الدفاع عن هذه المقولة، حتى درجة تكفير من تسول له نفسه ترديد غير هذا القول. ومن أدباء العربية الذين انقادوا وراء الدعوة، من يحظى، حتى يومنا هذا، بشهرته، كأحمد فارس الشدياق (1804 - 1888)، والشيخ جمال الدين الأفغاني (1839 - 1897)، والشيخ الإمام محمد عبده (1849 - 1905)، وسليم تقلا (1849 - 1892) وأحمد شوقي (1868 - 1932)، وخليل مطران (1871 - 1949)، ومصطفى كامل (1874 - 1908)، ومعروف الرصافي (1877 - 1945).

وقد مرَّ النصف الأول من القرن التاسع عشر، دون أن نجد لهذه المقولة انعكاساً عميقاً بين أدباء دمشق. حتى إن المخطوطات<sup>(2)</sup> التي تنتمي إلى تلك الفترة، جاءت خلواً مما يوحي بأن هذه المقولة شكلت "قضية"، قبل عودة دمشق إلى الحضيرة العثمانية بخروج المصريين منها.

وفي اعتقادنا، أن انسياق بعض أدباء دمشق وراء هذه المقولة، خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، في أول الأمر، كان انتماءً عفويّاً أو عاطفياً بتعبير آخر. ذلك ما يؤكد تراجعهم عن هذا الانتماء فيما بعد كما سنرى. ويأتي رفيق العظم (1865 - 1925)<sup>(3)</sup> في طليعة هؤلاء الأدباء الذين ترجموا قول الشيخ محمد

(1) ساطع الحصري. "محاضرات في نشوء الفكرة القومية": 179.

(2) انظر ملحق المؤلفات المخطوطة للأدباء الدمشقيين (9).

(3) في التاسعة من عمره وضعه أبوه في مدرسة من مدارس الروم لتعليم اللغتين العربية والفرنسية. وبعد وفاة أبيه في سنة 1875 كفله أخوه الأكبر خليل، فوضعه في مكتب من مكاتب دمشق لتعلم قواعد اللغتين العربية والتركية، سافر مع زوج خالته شريف باشا إلى مصر في سنة 1892 ومنها انتقل إلى الأستانة في السنة التالية، ثم عاد إلى دمشق للاستشفاء. وفي سنة 1894 سافر إلى مصر مجدداً فاستوطنها وتآمل بها. وكتب أولى مقالاته في الأهرام

عنده بأن المحافظة على الدول العثمانية ثالثة العقائد بعد الإيمان بالله ورسوله بكل ما عنده من حماسة. قال: "حسب العاقل أن يمرّ بنظره على تاريخ الصدر الأول من الإسلام، فيتحقق أن ليس من دولة إسلامية اليوم أحق بالخلافة من آل عثمان"<sup>(1)</sup>. وفي قول العظم، "حسب العاقل" و"ليس من دولة إسلامية"، ما يكفي للدلالة على اتساع الدعوة في أوساط بعض متنوري دمشق ممن لا يرقى الشك إلى تأثيرهم في عقول الناس ومشاعرهم آنذاك. وأكثر من هذا، فقد رأى العظم أن بقاء العثمانية شرط من شروط الحياة نفسها. ويرى في هذا الصدد أن أي مساس بهذه المقولة معناه النيل مما يسميه "بمبدأ الديمقراطية الصحيحة التي لا سبيل لبقائنا أحياء بدونها"<sup>(2)</sup>.

بيد أن امتزاج الرؤية الدينية بقواعد الانتماء إلى السلطة على هذا المنوال، كانت له مبرراته على أية حال. فإلى جانب الدفاع عن العثمانية على أنها امتداد للدين الإسلامي لدى الأكثرية من سكان السلطنة - ولدوافع دينية بحتة - نجد أثر الأحداث السياسية نفسها في ازدهار الاتجاه السكوني. فمن هذه الناحية، كان المشرق العربي، في نظر الغرب، مجالاً رحباً للتوسع نحو الشرق الأقصى، سياسياً وتجارياً في وقت واحد. وكان على هذا المشرق، في مواجهة ما يبثّ ضده في العواصم الأوروبية، أن يتحصن بما عنده. ولم يكن لديه عملياً حتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر، ما يحفزّه على رفض العثمانية، نظام حكم، ووصاية على الدين، فأثر أدباؤه ومفكروه التمسك بها شعاراً لا يرقى إليه الشك.

---

في السنة المذكورة. عاشر محمد كرد علي كصديق فحجب إليه المطالعة، فقرأ كتب التاريخ والأدب والاجتماع والفلسفة، كما اهتم بالسياسة منذ شبابه، والتصق برجال الدولة العثمانية الداعين إلى الإصلاح وإنهاء الحكم المستبد. انتسب إلى "جمعية الدستور" التي أسسها في دمشق أسعد بك مدير الشرطة، ثم إلى "جمعية الاتحاد والترقي". وأسس في القاهرة، مع صديقه رشيد رضا، صاحب المنار، "جمعية الشورى العثمانية"، ثم "الجمعية العربية". وفي سنة 1912 شارك مع رشيد رضا، أيضاً في تأسيس "حزب الاتحاد السوري". وبعد إعدام الوطنيين العرب في 6 أيار 1916 انضم إلى صفوف المعارضة ضد الاتحاديين واعتزل السياسة في ظل الانتداب الفرنسي.

(1) رفيق العظم. "مجموعة آثاره": 122.

(2) المصدر السابق: 136.

## 2 - الوحدة الإسلامية، والعصية الدينية :

تختلف هذه المقولة ، عن سابقتها ، بابتعاد أدباء العربية عن التمسك بأذيال العثمانية إلى حد اتهام خصومها بالخروج على الدين. ذلك راجع بلا ريب ، إلي اليأس الذي أصاب المسلمين ، قبل غيرهم ، من تفاقم الأوضاع داخلياً وخارجياً على حد سواء.

فعلى الصعيد الداخلي ، أثبتت العثمانية عجزها عن استيعاب التناقضات التي أورتها الأنظمة المتضاربة داخل المجتمع الواحد ، كالتفاوت الطبقي ، والثقافي ، والإحساس بالفوقية السياسية والإدارية الذي حال دون وصول أبناء الولايات العربية إلى مراكز السلطة الرئيسية فيها.

وعلى الصعيد الخارجي ، كان لسلسلة الهزائم التي منيت بها الدولة أمام أعدائها ، وما ترتب عليها بنتيجة ذلك من التزامات وتعهدات تجاه دول الغرب ، أثره العميق في نفوس المتورين والأدباء. إذ أيقن هؤلاء أن "العثمانية" وحدها لم تعد تكفي لتحصين بنيان الدولة العلية ، وتجنبيه أسباب التصدع. لم تعد العثمانية ، بفعل هذا التبدل ، ضرورة إسلامية. وإنما ، غدا الإسلام نفسه ، ضرورة لإبقاء العثمانية. فالمسلمون ، كما يرى العظم ما وقف بهم عن الرقي إلى مستوى الأمم المتحضرة "إلا انقسام عروة وحدتهم الدينية"<sup>(1)</sup>. فالدعوة للدين ، إذن كانت تبريراً لإشاعة أسباب التمدن في ربوع السلطنة ، وفيه خلافاً لما يشيخه أصحاب الأفكار السائدة في الغرب من أن الدين الإسلامي ، خلو من مقومات التقدم ، ما يساعد على الرقي الحضاري والفكري. نفهم ذلك من الكتب التي طبعت في دمشق بين السنوات 1866 - 1915<sup>(2)</sup>.

وبذا ، غدت المقولة في منحها الجديد ، وعلى غرار سابقتها ، من روافد الاتجاه السكوني الرئيسية. فبين 182 كتاباً صدر في دمشق خلال تلك السنوات ،

(1) رفيق العظم. "مجموعة آثاره - رسالة الجامعة" : 55.

(2) انظر ملحق المؤلفات المطبوعة في دمشق من 1856 - 1915.

نجد 56 كتاباً بمضمون ديني بحت. بينما تتوزع ما تبقى منها، موضوعات أخرى، تتصل بالأدب والفلسفة والتاريخ، وغير ذلك من موضوعات تتعلق بالمنطق والأخلاق والعلوم الاجتماعية.

على أن هذه المعادلة، من حيث علاقة العثمانية بالإسلام، اقتصر في دمشق، على العدد الأقل من أدبائها. ومن أيدها غير رفيق العظم في بعض كتاباته، الشيخ جمال الدين القاسمي الذي رأى أن الاعتصام بمجل الدين "أريج نجاه"<sup>(1)</sup>، وخير سبيل يقود المرء إلى القوة والنجاح.

وفي اعتقادنا، أن فتور غالبية أدباء دمشق تجاه هذه المقولة، راجع أولاً إلى الطريقة التي مارس بها حكام الفترة الأخيرة من عمر الدولة سلطاتهم. وثانياً، بسبب اتصال البعض منهم بفكر الغرب مباشرة، أو نتيجة تسلل المطبوعات الغربية إلى الولايات. ومن ناحية أخرى وقوف هؤلاء الأدباء على أبواب اختبار جديد أدت إليه بوادر الخلاف بين العنصرين العربي والتركي الذي ابتدأ في عهد السلطان عبد الحميد وصار علناً في عهد الاتحاديين.

ومع هذا، احتفظت المقولة بركائزها. وأسهم في ترسيخ الدعوة إليها طائفة لا تحصى من خطباء الجوامع، والمدرسين الذين انتشروا في مدارس الدولة المستحدثة بعد عام 1875. وكان، نتيجة ذلك، أن استمرت مقولة الوحدة الإسلامية، تتفاعل مع مشاعر الغالبية العظمى من الناس. وغدا كل صوت مغاير لها، مدعاة لإثارة الريبة والشك. نستدل على ذلك من الصراع، المبطن حيناً والعلني حيناً آخر، بين مدارس الطوائف، وبين أنصار الاتجاه السكوني ومؤيدي النقل عن الفكر الغربي.

وقد كان للسلطان عبد الحميد الثاني، من المقدره على الحركة والالتفاف، ما جعله يستوعب أبعاد الصراع وتناجحه المرتقبة، فسارع إلى إطلاق شعاره المعروف "يا مسلمي العالم، اتحدوا"، وأحيا بذلك، تراثاً عريضاً يترد إلى بداية القرن، شاركت في نشره - مؤلفات ومقالات - مطابع دمشق والقاهرة إلى درجة ملحوظة.

(1) ظافر القاسمي. "جمال الدين القاسمي": 224.

## الاتجاه الانتقائي

من حيث المبدأ، لا نجد أساساً دينياً خالصاً لهذا الاتجاه. نلمس ذلك من سمات التجديد الملحوظة في مضامين الموضوعات التي شغلت أدياء العربية في القرن التاسع عشر. وقد كان للمفاسد المتفشية في أرجاء الدولة، دورها البارز والهام في إذكاء أوار هذا الاتجاه. وهو الاتجاه الرامي إلى الموازنة بين محتّمات الإصلاح، وبين بعض مرتكزات الاتجاه السابق، في نهاية المطاف.

على أن هذه الموازنة، مرت منذ بدايتها، بتجارب مثبّطة قاسية أملتتها ظروف مرحلة المخاض الفكري في بلاد الشام. وأول ما واجهه الاتجاه من تلك التجارب، هو سعي الدولة لامتصاص الحوافز الداعية إليه، وذلك بإصدار سلسلة من التنظيمات التي أعلنتها منذ عام 1839 واستمرت حتى نهاية فترة الحكم العثماني تقريباً في عام 1908. بيد أن هذا الاتجاه، تخطى كل الاختبارات، بما فيها من منعطفات التموه، المقصود منها بالدرجة الأولى "إرضاء الدولة الأوروبية"<sup>(1)</sup> قبل جماهير المواطنين، تجنباً لتدخل هذه الدول في الشؤون الداخلية للسلطنة.

وعانت دمشق، مثل باقي مدن ولاية سورية، من نتائج تطبيق هذه التنظيمات المعدة للتصدير إلى الخارج، ما حملها على الانتفاض في وجوه المتنفذين أكثر من مرة. إلا أن آخر الانتفاضات، وأشدّها وطأة على استبداد الولاة، كانت ثورة 1831. ففي هذا العام جاءها الوالي محمد سليم باشا، وكان من قبل صدرأ أعظم ووالياً على حلب. وما إن استقر في دمشق حتى زاد الضرائب، واحترق أعيانها، وضرب العامة، فأشعل بذلك نار الفتنة التي أهلكته، كما مر معنا<sup>(2)</sup>.

وكادت الدولة تتحرك لإخماد ثورة دمشق، انتقاماً لمقتل واليها، إلا أن نجاح إبراهيم باشا في الوصول إلى مشارف ولاية سورية، في الفترة نفسها، حال دون وقوع الكارثة المرتقبة. وأحالت دمشق، بذلك، إلى قائد الحملة المصرية مهمة طرد

(1) محمد علي الغتيت. "الشرق والغرب من الحروب الصليبية إلى حرب السويس": 168.

(2) راجع الفصل الأول.



العثمانيين ، وتنمية أجوائها من عبث الولاية واستهتار الجند والمرتزة من المقرين إلى مراكز النفوذ.

وفضل الحملة على اليقظة الفكرية في دمشق ، راجع إلى التنظيمات التي أوجدها إبراهيم باشا بلا ريب. فقد عرف عنه تشجيعه لحركة التعليم وتقريبه للأدباء. كما عرف عنه سماحه للسياح الأجانب بدخول البلاد ، وكان أول من أذن بدخول "قنصل أجنبي إلى البلاد"<sup>(1)</sup> ، فأعان الدمشقيين بذلك على تلمس طريقهم إلى خارج أسوار مدينتهم ، فغادروها بهدف الاتجار أو السياحة أو التخصص في مدارس القاهرة. وكانت مصر ، قد عرفت في عهد أبيه بوادر يقظة فكرية ناهضة ، شارك في صنعها لفيث من أعلام النصف الأول من القرن التاسع عشر ، أمثال عبد الرحمن الجبرتي (1754 - 1822) ورفاعة رافع الطهطاوي (1801 - 1873). فعمت بذلك معارف جديدة لم تكن مألوفة في أوساط المتعلمين بدمشق ، كالطب والهندسة.

هذه الصدمة الفكرية التي أحدثتها الحملة المصرية ، على قصر الفترة التي امتدت حوالي عشر سنوات ، أعانت عقلاء دمشق ، على احتواء أيامها الحالكة في عام الفتنة (1860). وفي تقديرنا أن هذا العام هو من أبرز المؤشرات التي أسهمت في تكوين سمات الأدب الانتقائي ، وحفز أنصاره على المطالبة بإصلاح الأوضاع ، عندما عادت إلى الترددي بعودة المدينة إلى حظيرة العثمانيين إبان خروج المصريين منها في سنة 1840. نستدل على ذلك من تنبيه علماء دمشق ، ومثقفينا ، وعقلائها ، إلى مخاطر التفرقة بين الطوائف والطبقات ، ومن دعوتهم إلى انتقاء الصيغ الأكثر ملاءمة للتوحيد بين سكان البلد الواحد ، والمدينة الواحدة. وحدث ذلك في إطار القناعات التي تشكلت لديهم بأن السلطان الذي احتفظ لنفسه بمركز القداسة - ولفترة تزيد على ثلاثة قرون - ليس منزهاً عن الخطأ ، ولا معصوماً من الخبث.

---

(1) كان الأجانب قبلاً يمنعون من دخول دمشق لاعتبارات دينية على الأغلب ، تمتد إلى يومنا هذا ، إذ يلقب الأتراك دمشق بـ "شام شريف Sam Serif". وكان القنصل الذي دخل دمشق في أيام إبراهيم باشا إنكليزياً.

وبغض النظر عن الأسباب التي أقصت العديد من أدباء دمشق، سياسياً أم اقتصادياً أم اجتماعياً، أو دفعت بهم للجوء إلى القاهرة وبعض العواصم الأوروبية، فقد تمكن هؤلاء من إرساء جذور الاتجاه الانتقائي في صميم الحركة الأدبية في مدينتهم. وكان لأدباء دمشق المسيحيين، بخاصة<sup>(1)</sup>، الأثر الأبعد مدى في هذا المجال. ساعدتهم في عملهم هذا بعدتهم، لفترات متصلة أو متقطعة، عن إجراءات البطش بهم، ومعرفتهم اللغات الأجنبية، ومعايشتهم اتجاهات الفكر الأوروبي عن كثب، على النقيض من أقرانهم الذين سارعت الدولة إلى تطويقهم، بالتشديد على تصرفاتهم وأقوالهم وكتاباتهم، أو بدفعهم في ركابها، وقبلوا السير ابقاءً لنقمة، أو درءاً لمكروه قد يحل بهم فجأة<sup>(2)</sup>.

ومع هذا، فقد عرفت دمشق، رواداً لفكر نير ومتحرراً من ريقه التبعية للسلطة، كان لهم شأنهم في تعميق مجرى الأدب الانتقائي، ورفده بأسباب تدفقه، أمثال الشيخ طاهر الجزائري (1852 - 1920)<sup>(3)</sup>، والشيخ جمال الدين القاسمي، والدكتور صلاح الدين القاسمي.

(1) نذكر منهم: أديب إسحق (1856 - 1885)، حنا عنحوري (1863 - 1890) سليم عنحوري (1856 - 1933)، نعمان قساطلي (1856. 1920)، سلمى قساطلي (1870 - 1917)، حبيب الزيات (1871 - 1954)، ماري عجمي (1888 - 1965).

(2) نذكر منهم: الشيخ عبد الرزاق البيطار (1837 - 1916) محمد أديب تقى الدين الحصني (1874 - 1940). ومحمد كرد علي (1876 - 1953)، ومحمد جميل الشطي (1883 - 1959).

(3) تعلم العلوم الطبيعية والرياضية على أساتذة من خريجي المدرسة الحربية وغيرهم. وعكف على دراسة اللغات الشرقية فأنقن اللغتين التركية والفارسية، وألم بعض الشيء بالعبرية والسريانية والحبشية. أتقن معرفة الآثار والخطوط الشرقية وحل رموزها. كان كلفاً باقتناء المخطوطات والبحث عنها، وكان له الفضل في تأسيس المكتبة الظاهرية بدمشق، والمكتبة الخالدية في القدس. تولى التعليم لأول نشأته في المدرسة الظاهرية الابتدائية. دخل عداد أعضاء الجمعية الخيرية إبان تأسيسها في دمشق سنة 1875. عين مفتشاً عاماً على المدارس الابتدائية بديوان المعارف الذي أنشئ في سنة 1876. رحل إلى القاهرة في سنة 1907 وبقي فيها إلى سنة 1919. كان له تأثير عظيم على تأسيس المدارس الابتدائية وقيل فيه، لغزارة علمه واتساع أفق تفكيره، أنه معلمة (أنسكلوبيديا) سيارة وخزانة علم متنقلة. في أواخر حياته عين مديراً لدار الكتب الظاهرية وعضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق. وكانت جميع الطوائف تستلطفه وتحب عشرته لبعده عن التعصب.

وإذا جاز لنا أن نستعيد في ذاكرتنا، الظروف الخارجية للدولة، واتساع أطماع دول الغرب في ممتلكات الإمبراطورية العثمانية، ودأبها على تمزيق أوصالها، لوجدنا أن الدعوة التي تجسدت في دمشق، لإصلاح الأوضاع، كانت ترمي، أصلاً، إلى الإبقاء على الدولة قوية متماسكة، لا إلى تصديع بنيانها أو هدم كيانها. وفي اعتقادنا أن غرض الأدب الانتقائي، في جملته، يمكن أن يستخلص من نمو مشاعر الخوف من مغبة الوقوع في براثن استعمار أشد قسوة وأكثر شراسة من قسوة العثمانيين وشراستهم.

ومن خلال هذا المنظور، دافع أدباء دمشق - المسلمون منهم على الأغلب - عن العثمانية، كطراز لحكم يجب أن يستمر، وإن بدا نتاجهم، في بعض مراحلها الأخيرة، في مراحل اليأس، إن صح التعبير، قريباً إلى حد ملحوظ من فكر الغرب وطرق استلهامه لمشكلات العصر عبر متطلبات إنسان القرن العشرين.

وهنا أيضاً، كما في الاتجاه السكوني نجد قضايا دارت حولها هموم أدباء دمشق واستحوذت على تفكيرهم.

## 1 - المسلمات العثمانية وثقافة الغرب:

عبر محاور الصراع بين العثمانية ومنتقديها، استطاعت مرتكزات الاتجاه السكوني، أن تحتفظ بمواقفها، بشكل ملحوظ، حتى نهاية فترة الحكم العثماني في بلاد الشام. وحدث ذلك نتيجة التحفظات التي رافقت استجابة الجماهير وبعض المتنورين للدعوة الرامية إلى تطعيم الواقع الفكري بالتيارات الفكرية لدى الغربيين. وجاءت هذه التحفظات، بدورها، كما بينا، من منطلق الخوف من الانزلاق في تيار الغرب السياسي، وذلك من خلال النظرة القائلة بأن طليعة الغرب الاستعمارية، هي ثقافته.

إلا أن عدداً من أدباء دمشق، حاولوا التخفيف من وقع المفهوم في أوساط المثقفين والعامّة في وقت معاً. من هؤلاء الشيخ طاهر الجزائري، الذي عرف بعثمانيته المفرطة في كثير من كتاباته خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر. فقد أشار صراحة إلى واجب الخروج من ربقة الثقافة العثمانية، والانفتاح على ما وصفه، في أيامه، بثقافة الأمم المتقدمة.

واعتبر الجزائري الاقتباس عن تلك الأمم "دليلاً على النباهة"<sup>(1)</sup>. وأوضح أديب دمشقي آخر هو رفيق العظم إطار الموقف، فيما ذهب إليه بقوله، مخاطباً الأولياء: "ابعثوا بأولادكم إلى دور العلم في أوروبا. استفيدوا خير ما في المدينة الغربية"<sup>(2)</sup>. ودعوته، كما نلاحظ، مشروطة بعبارة "خير ما في تلك المدينة"، إلا أن العبارة ذاتها تشكل انعطافاً نحو نقطة الاختيار، أو الانتقاء كما أسميناه.

ووجدت الدعوة، بشكلها، طريقها إلى صحافة القرن العشرين بدمشق. وكان ممن أولاهها كل عنايته، محمد كرد علي (1876 - 1953)<sup>(3)</sup>، الذي حدد

(1) محمد كرد علي. "كنوز الأجداد": 32.

(2) رفيق العظم. "مجموعة آثاره - رسالة الجامعة الإسلامية وأوروبا": 79.

(3) تلقى دراسته في مدرسة كامل سيباي الأميرية بدمشق ونال شهادتها. ثم تابع تحصيله في "المكتب الرشدي العسكري" وهي مدرسة إعدادية عسكرية. أخذ مبادئ اللغة الفرنسية على معلم خاص، ثم في المدرسة للعاذرية. وأما العلوم العربية والإسلامية فقد تلقاها من مشايخ عصره ومنهم الشيخ محمد المبارك والشيخ طاهر الجزائري. تولى في سنة 1897 تحرير جريدة "الشام" ولبث في عمله هذا ثلاث سنوات، ثم طفق ينشر في مجلة "المقتطف" المصرية. رحل إلى القاهرة في سنة 1901 ومكث فيها عشرة شهور يكتب في جريدة "الرائد المصري"، ويختلف على مجالس الإمام محمد عبده في داره وفي الأزهر.

وكان الشيخ رضا صاحب مجلة (النار) ورفيق العظم دليلاً في الاتصال بأعلام الأدب والصحافة في القاهرة. ولدى عودته إلى دمشق ضيق عليه البعض ممن يسميهم الأمير مصطفى الشهابي بالواشين والحاسدين، ففر إلى القاهرة في سنة 1905، فأصدر فيها مجلة "المقتبس" الشهرية في سنة 1906 كما تولى تحرير جريدة "الظاهر" اليومية، وتحرير جريدة "المؤيد" فيما بعد. وفي هذه الأثناء ترجم مجلة "مسامرات الشعب" قصتين هما: "المجرم البريء" و"الفضيلة والرذيلة". وبعد إعلان دستور 1908 وسقوط السلطان عبد الحميد الثاني عاد إلى دمشق، ونقل إليها معه مجلته فاستمرت في صدورها خمس سنوات، كما أصدر إلى جانبها جريدة سياسية تحمل الاسم نفسه في سنة 1908، إلا أنه تخلّى عنها لأخيه أحمد كرد علي. وفي أثناء الحرب العالمية الأولى، (1916) تولى رئاسة تحرير جريدة "الشرق" الناطقة بلسان السلطة الحاكمة العالمية الأولى، جمال باشا السفاح، وشاركه في تحريرها الشيخ عبد القادر المغربي والشيخ بدر الدين النعساني، وظل كذلك حتى دخول الحلفاء أرض سورية في سنة 1918. وفي تلك السنة نزح إلى الأستانة. إلا أنه في العام التالي عاد إلى دمشق وأسس فيها المجمع العلمي العربي. وظل رئيساً للمجمع حتى وفاته. وفي سنة 1933 عندما أنشئ مجمع اللغة العربية في القاهرة، عين عضواً عاملاً فيه. زار فرنسا وبعض

←

سبيل استدراك ما ينقص العرب من أسباب الوعي الثقافي، بضرورة الاتجاه نحو الفكر الغربي. يقول في هذا الصدد: "الأمة العربية، إذا أرادت النهوض العقلي والعلمي، يجب عليها أن تأخذ من كل علم بالسهم الأوفر. ولا يتم لها ذلك إلا بالنقل عن الأمم الغربية"<sup>(1)</sup>. وهو هنا، على النقيض من رفيق العظم، لا يشترط قاعدة مسبقة لمبدأ النقل، بل يوسع رقعته حتى يشمل كل علم.

وعلى هذه الوتيرة، يحيل صلاح الدين القاسمي، أبناء قومه إلى علوم الغربيين وأدابهم إذا هم شاؤوا الرقي، مع الاعتبار بأنه لم يكن كسابقيه من حيث انتمائهم إلى العثمانية. فالأمة، في تقديره، لا بد لها "في بدء نهضتها"<sup>(2)</sup>. أن تفيد من ضروب المعرفة المتوافرة لدى الأمم العريقة في المدنية والحضارة، وأن تنقل إلى لغتها "ما يلزمها"<sup>(3)</sup> من أسباب النهضة.

ولا يفوت القاسمي - كما الحال عند رفيق العظم - أن يشترط في الأخذ عن الغرب قاعدة انتقاء ما يلزم، مبرراً المبدأ كله، من ناحية أخرى، بمتطلبات المرحلة التي يعيشها المجتمع العربي آنذاك في بدء نهضة الأمة.

ونفهم، مما سبق، أن فكر الغرب كان قد وجد طريقه إلى داخل دمشق، بفعل وسائل الاتصال المختلفة التي أشرنا إليها قبلاً. على أننا، لا نجد، سواء في صميم الاتجاه أو على هامشه، مطلباً صريحاً بإحلال الثقافة الغربية محل الثقافة العثمانية. وكان لهذا الموقف - ربما غير المقصود بحذ ذاته - أثره في استمرارية الدعوة لإصلاح ما أفسد، على الأصعدة الإدارية والاجتماعية المختلفة، وأتيح بذلك للإصلاحيين، وجود على الساحة الأدبية - على ضيقها - ما كان ليستمري في زمن البطش بأية معارضة، وخنق أي صوت يرتفع أو يسمع.

---

دول أوروبا فأتيج له بذلك الوقوف على حياة جديدة كان لها أثر بعيد في نزعاته الإصلاحية كما أنه عين وزيراً للمعارف بعد دخول الفرنسيين دمشق ثم مرة أخرى في العهد الوطني.

(1) مجلة المقتبس (1907)، 2 : 672.

(2) محب الدين الخطيب. "الدكتور صلاح الدين القاسمي" : 89.

(3) محب الدين الخطيب. "الدكتور صلاح الدين القاسمي" : 89.

## 2 - المطالبة بالإصلاحات الشاملة.

أفضت المقولة السابقة، في غمرة تصارعها مع مقولات الاتجاه السكوني، من حيث النتيجة، إلى موقف أكثر وضوحاً وجرأة، وذلك عندما شرع أدباء البلاد الشامية يطالبون بضرورة تغيير الأنظمة الإدارية المطبقة في أرجائها. وكانت المطالبة تعني، في حقيقة الأمر، تكريس قواعد جديدة لطرز الحكم، تساعد على التطور حضارياً، وتؤول بالتالي إلى ازدهار الفكر. بيد أن الفترة التي تجسدت فيها أبعاد الدعوة لإجراء الإصلاحات الشاملة، كانت فترة غير ملائمة. فقد جاءت متأخرة، في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وهو ما أدى إلى تطويقها. تبدى ذلك في الأسلوب الذي واجه به السلطان مناوريه، رجال سياسة وأدباء، على حد سواء. نستتج ذلك من القرائن المتعلقة بتعليق دستور 1876، وتعطيل جلسات مجلس المبعوثان، والتضييق على حرية الصحافة، والتواطؤ ضد الحركة المسرحية.

ومع أن المطالبة بإدخال الإصلاحات في مرافق الدولة كانت هادئة، ومعللة علمياً وموضوعياً، كما في قول صلاح الدين القاسمي الذي أوصى باعتماد "الأنظمة الموافقة للسنن الطبيعية ونواميس الاجتماع"<sup>(1)</sup>، وهو مطلب متواضع كما نرى، فقد أغلقت الدولة العلية أذنيها. وزاد في تعقيد الموقف، أن وجدت الدولة سنداً لها بصدوف البعض من متتوري دمشق عن مؤازرة الحركة الإصلاحية، إما بدافع "جهلهم وتعصبهم"<sup>(2)</sup>، أو لعدم انطباق أغراض الحركة على ما ورثوه من قيم الآباء والأجداد. وقد كان لاتساع الشقة بين هؤلاء وأولئك الذين وصمهم القاسمي بالجهل والتعصب وبالاغتراض "لكل عمل نافع يقوم به المصلحون"<sup>(3)</sup>، صداه في حمل بعض أدباء دمشق، على تغليف مطالبتهم بالمسلمات التي تدخل في حكم المواعظ والأمثلة. من ذلك قول محمد كرد علي على سبيل المثال: "الناس

(1) محب الدين الخطيب. د. صلاح الدين القاسمي: 106.

(2) المصدر السابق: 258.

(3) المصدر السابق: 263.

بخير ما حافظ ملوكهم على النظام"<sup>(1)</sup> أو "إذا سار الزعيم بمشورة أهل الرأي من قومه، استقامت شؤونهم وتسددت مراميمهم"<sup>(2)</sup>. ولكن، لا الملك حافظ على النظام، ولا الزعيم احتضن أهل الرأي. وعندما وصل رجال الاتحاد والترقي إلى سدة السلطة، كان ردهم على المصلحين أشد وأعنف، وبقي نزيه دمشق، في مفكرتها، وفي تطلعات من بقي منهم فيها، مستمراً.

### 3 - الإصلاح الديني:

إذا جاز لنا، أن نسمي حركة الإصلاح في مجال الدين، بعودة اليقظة إلى الإسلام، أمكننا القول، أن هذه اليقظة، لم تكن وليدة الظروف التي تمخضت عن أهداف المقولتين السابقتين فحسب، وإنما ابتدأت هذه اليقظة، كما أشرنا إلى ذلك في حينه، في أواخر القرن الثامن عشر، وذلك بفعل تأثير الدعوة الوهابية التي طوقت بالحملة العسكرية (1811 - 1818). ومع أن قهر الدعوة تمّ على أيدي المصريين، فقد وجدت تعاليمها أشد أنصارها في مصر ذاتها خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كالشيخ جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده، والشيخ رشيد رضا. وكان ذلك وحده كفيلاً بانتشار أثر الدعوة إلى البلاد الشامية، عبر أدبائها، سواء بطريق الاتصال المباشر أو بتتبع نتاج قرائحهم في صحف القاهرة ومجالاتها.

وفي اعتقادنا، أن المعادلة الجديدة لدعوة الإصلاح الديني، لم تكن، كما كانت تستهدف من قبل، الدين أولاً والسلطان ثانياً. بل على النقيض من ذلك تماماً. ومضافاً إلى مركز السلطان نفسه، استهدفت طبقة العلماء الدائرين في فلكه، الذين حملهم أديب حلب، عبد الرحمن الكواكبي (1854 - 1902) مسؤولية تشويش الدين والدنيا على العامة بقوله:

(1) المقتبس (1908) 11 : 768.

(2) المصدر السابق : 769.

"استولوا على الدين فضيعوه وضيعوا أهله"<sup>(1)</sup>.

وحدث نتيجة التركيز على مركز السلطان، من الناحية الدينية، أن تحولت أنظار المسلمين، في البلاد الشامية عموماً، وفي ولاية سورية خصوصاً، نحو مكة بدلاً عن الأستانة. ولقيت دعوة الإصلاح الديني استجابتها في دمشق على يد عالمها الشهير الشيخ جمال الدين القاسمي الذي نادى بترك باب التناظر والتحاور في المسائل الدينية مفتوحاً. ومن خلال يقينه الذي جعله يستعير المقولة الشائعة "الحقيقة بنت البحث"<sup>(2)</sup>، أجاز الاجتهاد في الدين، وقرر أن ما يورث الشبه في تعاليم الإسلام، هو الاعتراض على الحقائق الثابتة فيه. وواضح أن غرض رأي كهذا، يرمي أولاً وأخيراً، إلى إعادة إصغاء إلى الإسلام، وتنقيته من الشوائب التي لحقت، أو ألحقت به، خلال القرون الأخيرة.

ومن اتصلت بهم دعوة الإصلاح الديني في دمشق أيضاً، صلاح الدين القاسمي، شقيق الشيخ جمال الدين. وكان على النقيض من أخيه، أقسى وطأة على خصوم حركة الإصلاح في الدين، وأعنف منه في تجريحهم. ذلك - كما يبدو لنا من أسلوبه المتهكم واختياره لعباراته الحادة - بسبب تأثره الأشد بتعاليم الدعوة الوهابية. وفي سياق رده على حملات التشكيك الموجهة ضد الوهابيين ورميهم "بشبهة في دينهم"<sup>(3)</sup> يتساءل القاسمي ما إذا شوهد أحد هؤلاء في حانة خمر، أو بين ذراعي مومس، أو أكلاً أموال الناس بالباطل، أو مختلساً أوقاف المدارس. ولا يملك إلا أن يرد اتهاماتهم إلى محورهم.

هذه الصورة التي يعرضها القاسمي في تساؤلاته التهامية، توضح مقدار ما كان يشكو منه المتنورون من اضطراب الواقع الديني، وتدني السلوكية في مظاهر الممارسة الدينية التي ينتهجها بعض علماء الدين وشيوخه تزلماً أو تقيّة.

(1) عبد الرحمن الكواكبي. "أم القرى": 39.

(2) ظافر القاسمي. "جمال الدين القاسمي": 242.

(3) محب الدين الخطيب. "د. صلاح الدين القاسمي": 255.



وبذا تبقى لمشاركة دمشق - في إطار الدعوة إلى إصلاح الدين، كمنطلق لترسيخ ركائز الاتجاه الإصلاحية العام - أهميتها الفكرية في أن يكون للإسلام موقعه الطبيعي في العلاقات الاجتماعية والأخلاق العامة.

### الاتجاه المستقبلي

خلافاً لمكونات الاتجاهين السابقين، ينأى الاتجاه الذي نعرض له، عن مؤثرات الدين. فالإلى جانب العوامل التي سبق أن أشرنا إليها وكانت السبب في إحداث الصدع في العلاقات بين العثمانيين والعرب، ثمة سلسلة أخرى من المؤثرات، كان لها دورها في بلورة موقف الرفض العربي وصلابته.

فقد عرفت الأقطار العربية، في القرن التاسع عشر، نمو الصحافة وانتشار الكتاب، وتعدد الأندية والمسارح. كما سادت في أوساط أدبائها دفقة من ثقافة الغرب فغطت مجالات أوسع مما كانت عليه الحال من قبل.

وحظيت دمشق بمقدار ملحوظ من تلك المرافق في الربع الأخير من القرن نفسه، فأسهم ذلك في يقظتها الفكرية وتوكيد دورها الثقافي في يقظة العرب.

ومع أن نشوب الحرب العالمية الأولى (1914)، قد أوقع بعض أدباء الشام في منزلق المطالبة بتجنب إثارة أسباب تمزيق الإمبراطورية العثمانية، وإخضاع الأقطار العربية، من ثم، لمخاطر الاستعمار الأجنبي، فقد استمر الاتجاه المستقبلي في تفاعله مع طموحات السكان العرب نحو الابتعاد عن السلطة المركزية وإحياء الدولة العربية المستقبلية. ويوقوع مجزرة السادس من أيار (1916)، سقطت نهائياً، المقولات العثمانية، سواء ما غلف منها بستر الدين، أو ما احتوته إجراءات الإصلاح المرحلية، ولم تعد النداءات بضرورة الحفاظ على كيان الدولة، أو التمسك بأهداب الرابطة الإسلامية، تلقى، في نفوس المتنورين، ما كانت تلقاه من استجابة عاطفية أو عضوية.

وفوق ذلك كله، سقطت مقولة الاتحاديين المهينة بحق العرب من أنهم "يبعون كل شيء، حتى أعراضهم، بالمال"<sup>(1)</sup>، وما مائل ذلك من قولهم "إن حصان

(1) أحد أعضاء الجمعيات العربية. "ثورة العرب": 115.

التركي خير من أي شخص في العالم"<sup>(1)</sup>. أيضاً، انكشفت كل النعوت التي أطلقها متعصبو القومية الطورانية ضد العرب، لتشويه وجههم الحضاري وجذبهم، بالتالي، لصف العثمانية، كوجود ثقافي وحضاري لا غنى عنه.

ولم تخل دمشق، في غمرة المواجهة، المستترة حيناً والسافرة حيناً آخر، بين الثقافتين العربية والعثمانية، من أدباء انساقوا مع التيار الثاني، جمال السفاح في سنة 1916 واستمرت في الصدور حتى دخول الحلفاء دمشق (تشرين الأول 1918)<sup>(2)</sup>.

على أننا، في مقابلة ذلك، نجد بديلاً من الأدباء الدمشقيين أمثال مصطفى الخلفي (1850 - 1915)<sup>(3)</sup>، جمال الدين القاسمي (1866 - 1913)، شكري العسلي (1868 - 1916)<sup>(4)</sup> صلاح الدين القاسمي، وخلييل مردم بك (1895 - 1959)<sup>(5)</sup>. هؤلاء، فطنوا - سواء مبكرين أو متأخرين - إلى مخاطر سياسة "ترك"

---

(1) أحد أعضاء الجمعيات العربية. "ثورة العرب": 115.

(2) علل الأمير مصطفى الشهابي نجاة كرد علي من بطش جمال السفاح بأنه كان لمصلحة الثقافة العربية - مجلة العربي، تشرين الثاني 1963، العدد 60: 27.

(3) الباني الأصل. له إلمام بالموسيقى وقد تداول الناس شعره سراً وعلناً لصلته بقضايا أمته القومية.

(4) تعلم في مدارس دمشق ثم في الأستانة. وبعد حصوله على شهادة في الحقوق عين قائمقام في قونية بالأناضول ثم في الناصرة بفلسطين. وفي سنة 1911 انتخب نائباً عن دمشق في مجلس المبعوثان. ثم تعاطى المحاماة وأصدر جريدة القبس يومية مدة يسيرة. عين مفتشاً بعدئذ لولاية حلب. إلا أنه تعرض لنقمة الاتحاديين لمناداته باللامركزية، فحكم عليه بالإعدام واستشهد يوم 6 أيار 1916 مع باقي الشهداء، شنعاً. كان العسلي ميالاً للفضون يرسم ويحب المسرح ويشجعه، ونشر قصتين متسلسلتين في مجلة المقتبس لمحمد كرد علي إحداهما "فجائع البائسين" في سنة 1907 والأخرى "نتائج الإهمال" في سنة 1913. ويعتبر أول من نبه وبرهن على استفحال أمر الحركة الصهيونية في مجلس المبعوثان زمن نيابته فيه عن دمشق.

(5) درس في مدرسة الملك الظاهر الابتدائية. فقد أباه في الخامسة عشرة من عمره، وبعد أربع سنوات فقد أمه. قال الشعر دون أن يكون له إلمام بشيء من علوم العربية. بعد خروج العثمانيين وجلائهم عن دمشق، عين مميّزاً لديوان الرسائل العامة. وفي عام 1921 أسس

العرب، لغة وتاريخاً، فصعدوا رفضهم ضدها. وكانوا طليعة الجهود التي كرسها أدباء ما بعد العثمانية لشق الطريق أمام تيار الأدب القومي في العشرينات من هذا القرن.

عندما دخلت الدولة العثمانية غمار الحرب العالمية الأولى، وقف أحد أساتذة التربية العسكرية في المدرسة الحربية بالآستانة، وخاطبهم قائلاً: "علينا أن نظهر من الآن فصاعداً، أمام العالم كله، بصبغة القومية المقدسة، وأن نضرب بالعصية الدينية عرض الحائط. إن التركية خير لنا من الإسلام، وإن التعصب للجنسية من أكبر فضائل الهيئة الاجتماعية"<sup>(1)</sup>.

ولو لم يكن للدولة العثمانية، غير هذا المنظور، لكان كفيلاً بتفجير الشعور القومي لدى العرب، وتنبه أدباء العربية إلى ما ينتظرهم، مستقبلاً، نتيجة انتمائهم إلى العثمانية كوعاء لدينهم وديانهم في وقت واحد. وليس صحيحاً الإدعاء الذي روج له بعض الدارسين المعاصرين من أن العرب، في مطالباتهم بالابتعاد عن

---

"الرابطة الأدبية" وانتخب رئيساً لها. كما انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق في سنة 1925. طارده الفرنسيون في السنة ذاتها بسبب قصيدة هاجمهم فيها إبان اشتعال الثورة السورية، ففر إلى لبنان، ومنها إلى الإسكندرية في السنة التالية. انتقل إلى لندن وانتسب إلى جامعتها ولبث فيها أربع سنوات (1926 - 1929)، حيث عاد إلى دمشق، وتولى فيها وظيفة مساعد لرئيس الأدب العربي في الكلية العسكرية الوطنية وظل فيها تسع سنوات (1929 - 1938). وكان خلال ذلك قد أصدر مجلة "الثقافة" مع زملائه الدكاترة جميل صليبا وكاظم الداغستاني وكامل عياد (1933). انتخب مردم بك أميناً في المجمع العلمي العربي في سنة 1941، وفي السنة التالية كلف بوزارة المعارف، على أنه ما لبث أن عاد إلى أمانة سر المجمع في سنة 1946. وفي سنة 1951 تسلم منصب وزير مفوض في بغداد، وبعد سنتين من هذا التاريخ، 1953، اختير وزيراً للخارجية، وفي السنة ذاتها انتخب رئيساً للمجمع العلمي العربي بدمشق خلفاً لمحمد كرد علي، الذي سبقت ترجمته، وبقي في عمله ذلك حتى وافته المنية في 21 / 7 / 1959. وكان تقديراً لمكانته العلمية والأدبية، قد رشح عضواً في مجمع اللغة بمصر (1948)، والمجمع العلمي العراقي (1949)، ومدرسة الدراسات الشرقية بلندن (1951)، ودائرة المعارف الإسلامية للمستشرقين (1915)، ومجمع البحر المتوسط ببارمو (1952)، والمجمع العلمي السوفياتي (1958).

<sup>(1)</sup> أحد أعضاء الجمعيات العربية. "ثورة العرب": 145.

العثمانية، كانت تسيرهم أصابع أجنبية خفية، أو أن ثورتهم التي أعلنوها في سنة 1916، كان حافزها الوحيد نقل الخلافة من الآستانة إلى عاصمة ولاية عربية بالذات هي مكة. إن ذلك الإدعاء قد يكون جزءاً من الحقيقة، ولكنه ليس الحقيقة كلها. نفهم ذلك من قول أحد كبار رجال السلطة العثمانية "إن لم نعامل العرب كما نريد عاملونا بما نستحق"<sup>(1)</sup>. صراع العنصرين، إذن، كان صراعاً من أجل البقاء لا الارتقاء. وفي البدء، كانت الغلبة للعنصر التركي. فقد تمكن غلاة هذا العنصر من تشويه قيم الحضارة العربية، ديناً وثقافة، حتى انقلب الصراع علناً، وغدت مطالبة أدياء العربية بإحياء تاريخ العرب، تراثاً ولغة، قضية حياة ومستقبل. ولعبت استجابة المفكرين العرب لمعطيات الثورات القومية في أوروبا، دوراً هاماً وبارزاً في إذكاء روح الثورة على الواقع ورفض استمرارته حتى النهاية. ومن هنا، كان إلحاح العرب على العثمانيين، أن يعيدوا النظر في حساباتهم، قبل فوات الوقت، كما نلاحظ ذلك في قول شاعر دمشقي هو محمد شاكر ياسين:

كل من في الشرق أخوانٌ فلا      فرق بين الخلق من كل النحل<sup>(2)</sup>

إلا أن قدراً ولو ضئيلاً من التجاوب، لم يبد من الجانب الآخر، مما دفع في اتساع الشقة، من منطلق المطالبة بالإصلاحات الشاملة، كما رأينا في سياق الاتجاه الانتقائي، إلى المطالبة بتطبيق نظام اللامركزية في الولايات العربية، فالجاهرة أخيراً بالانفصال التام عن جسم السلطنة.

## 1 - اللامركزية :

قبل وصول السلطان عبد الحميد الثاني إلى سدة الحكم، كانت السلطة في مراكز الولايات محصورة بأيدي ولايتها. وكانت المصالح المشتركة هي وحدها التي تشد الوالي إلى مقر السلطان في عاصمة الدولة. فالوالي هو الذي يرفد خزينة الدولة

(1) المصدر السابق : 159.

(2) عمر الدقاق. "الاتجاه القومي في الشعر المعاصر" : 350.

بالأموال ، وهو الذي يرفد الجيش بالرجال. وما عدا ذلك ، لا دخل للسلطان بشؤون الولاية داخليا. على أن هذه الصورة اختلفت بعد عام 1876. وبعد أن كان الناس يشكون من غياب السلطة الرئيسية في البلاد ، أخذوا يضيّقون من سطوتها عليهم. فالنظام الذي أوجده السلطان عبد الحميد ، كان "نظام الفرد" بكل ما في هذه العبارة من معنى. وخطأ هذا النظام تبدى لأدباء دمشق ، كما في باقي عواصم الولايات ، من حيث استثثار الحاكم بمسألة التشريع للولايات جميعا على حد سواء ، دون النظر إلى أحوال كل ولاية ، وخصائص سكانها ، على حدة. قال الأمر بها إلى الفوضى والتناقضات.

فطن إلى منزلقات المركزية المطلقة من أدباء دمشق النابيين ، صلاح الدين القاسمي ، فأشار إلى ضرورة تطبيق نظام اللامركزية ، لتجنب الولايات العربية خطر الوقوع تحت الاحتلال الأجنبي ، كما حدث في أقطار المغرب العربي وبلاد "الروملي"<sup>(1)</sup>. وقال في تعليق مطالبته "إن البلاد العربية تشعر في هذا النظام بمسؤوليتها في حفظ أوطانها وتحمل أعباء إصلاحها وتقدمها"<sup>(2)</sup>.

وكما لم يستجب السلطان عبد الحميد الثاني ، لأهل الرأي في عهده ، أوغل الاتحاديون في صم آذانهم عن سماع كل رأي ، بل إنهم "استهانوا بمن تولوا رقابهم ، واستمروا في معاملتهم معاملة الأنعام التي يرثها الابن عن أبيه"<sup>(3)</sup> ، فخرج بعض أدباء العربية بالقول إن العرب أحق من العثمانيين بالخلافة ، وبإدارة شؤونهم ، لأنهم أصحاب اللغة التي أنزل بها القرآن الكريم ، وخاطبهم بها نبي المسلمين.

وفي اعتقادنا أن انعدام دور أدباء دمشق ، في تبني هذه المقولة ، راجع إلى تجاوزهم مسألة الخلافة بحد ذاتها ، إلى ما هو أبعد منها بكثير. فهناك ، أولا ، وحدة

---

(1) اسم أطلقه العثمانيون على البلاد الواقعة بين البحر الأسود من جهة ، وبحري مرمرية وإيجة وسلسلة جبال البلقان من جهة ثانية. وقد خرجت من أيدي العثمانيين قبل الحرب العالمية الأولى وأثناءها.

(2) محب الدين الخطيب "د. صلاح الدين القاسمي" : 57.

(3) مجلة المقتبس ( 1908 ) 11 : 768.

العرب، واستقلال البلاد العربية عن الدولة العثمانية. ومن هنا كان صوت أديب حلب عبد الرحمن الكواكبي (1854 - 1902) الصوت المنفرد، في ولاية سورية، لجعل الخليفة عربياً من قريش، مستجماً لشرائط الخلافة، مقره مكة<sup>(1)</sup>.

## 2 - الدولة العربية المستقلة.

من الدعوات المبكرة التي أطلقها الأدباء الدمشقيون في هذا المجال، دعوة أديب إسحق (1856 - 1885)<sup>(2)</sup> الذي حث المتنورين العرب على عقد اجتماع

(1) عبد الرحمن الكواكبي. "أم القرى" : 234.

(2) تلقى مبادئ اللغتين العربية والفرنسية في مدرسة الأباء اللعازريين بدمشق. وفي الحادية عشرة من عمره، وبسبب ضيق ذات يده أسرته عمل كاتباً في إحدى دوائر الجمرك بمرتب شهري مقداره 200 قرش. ودرس خلال ذلك مبادئ اللغة التركية. في الخامسة عشرة، استدعاه أبوه إلى بيروت فأعانه في عمله هناك بدائرة البريد. أثناء إقامته في بيروت شارك في تحرير جريدة "التقدم" كما شارك في تحرير جريدة "ثمرات الفنون" ثم في مجلة "الجنان" لمؤسسها بطرس البستاني (1819 - 1883) والتي أصدرها في سنة 1870.

دخل أديب إسحق في "جمعية زهرة الآداب" فبرز بين أعضائها وصار رئيساً لها. سافر إلى القاهرة ولازم فيها الشيخ جمال الدين الأفغاني (1839 - 1897) الذي قدم إلى مصر في 22 / 3 / 1871 وبقي فيها إلى سنة 1879. وفي القاهرة أنشأ جريدة "مصر" الأسبوعية وذلك في عام 1877. ومنها نقل إدارة الجريدة إلى الإسكندرية، فشاركه في تحريرها صديقه سليم نقاش (- 1884). ثم أصدرها معاً جريدة "التجارة" في العام التالي وكانت يومية. سافر إلى باريس في سنة 1880 وأصدر فيها جريدة "القاهرة" وما لبث أن غير اسمها فصارت جريدة "مصر". وفي أواخر العام نفسه عاد إلى بيروت لاعتلال في صحته. ومنها سافر إلى مصر في العام التالي، فعين ناظراً لقلم الإنشاء والترجمة، في نظارة المعارف.

وأعاد نشر جريدة "مصر". فنال لقاء خدماته براءة من المرتبة الثالثة، منحه إياها خديوي مصر، توفيق. وفي السنة 1881 تفرغ لوظيفة كاتب سر مجلس النواب بعد أن نقل امتياز جريدة "مصر" إلى شقيقه عوني.

ومع بداية ثورة أحمد عرابي في سنة 1881 عاد إلى بيروت ومكث فيها حتى تم احتلال مصر من قبل الإنكليز في العام التالي. ففقل عائداً إلى الإسكندرية، غير أنه أبعد عنها بعد أن أودع السجن بضع ساعات، فرجع إلى بيروت وتولى فيها تحرير جريدة "التقدم". وحين

"منزه عن المقاصد الدينية منحصر بالعربية الجنسية والوطنية"<sup>(1)</sup>. ففي هذه الدعوة، التي وجهها أديب إسحق من خارج دمشق، توصل إلى صيغة ما نسميه في أيامنا هذه "بالعمل العربي المشترك". وأهمية هذه الصيغة تأتي من أن صاحبها كان عثماني النزعة كما تدل عليه كتاباته في شؤون السياسة. وقد تعزز الاتجاه، بتوكيد أدباء مطلع القرن العشرين على مقولة العمل العربي القومي، من خلال الحفاظ على مقومات اللغة العربية وعلاقتها بمستقبل العرب السياسي. "فلغة الأمة تحيا بحياة سياستها"<sup>(2)</sup>، وإن كتب الأسلاف لتشهد أبد الدهر بأن "اللغة العربية اتسعت لكل ما ألقى عليها من علوم الحضارة ومطالبها"<sup>(3)</sup>.

ومن ناحية الربط بين اللغة والسياسة، أصبح لما يسميه صلاح الدين القاسمي في زمانه "بالمسألة العربية"<sup>(4)</sup> شأنها إلى جانب التعابير التي كانت رائجة في أواخر القرن التاسع عشر، كالمسألة الشرقية، والمسألة المصرية. وكان لها، في آذان المتنورين، وقعها الموحى الجميل.

وعجزت جهود السلطة، وجميع من سار في ركابها، عن احتواء أغراض الاتجاه. ولم تحقق ما حققته، نسبياً أو كلياً، في سياق الاتجاهين السابقين. ذلك بأن إطار الاتجاه المستقبلي كان أوسع من الأطر التي عرفت فيما مضى، بفضل شيوع الصحف والمسارح والأندية في أرجاء البلاد، ومشاركة هذه المرافق في الترويج

---

اشتدت عليه علة الصدر التي أصيب بها في باريس، التمس الإذن بالسفر إلى القاهرة فسمح له بذلك، ومنها انتقل مجدداً إلى الإسكندرية، إلا أن الأطباء نصحوه بمغادرتها لقضاء فترة من الراحة في مصيفه بالحدث. وبعد عودته بشهر واحد توفي متأثراً بدائه في 12 / 1885 / 6، وله من العمر تسع وعشرون سنة، ودفن دفناً مدنياً.

وقد بدأ أديب إسحق حياته الأدبية وهو في العاشرة من عمره بنظم الشعر. وما إن أتم الثانية عشرة حتى كان قد نظم حوالي ألف بيت من الشعر.

(1) أنيس المقدسي. "الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث": 112.

(2) مجلة المقتبس (1907)، عدد آذار: 146.

(3) المصدر السابق: 148.

(4) محب الدين الخطيب. "د. صلاح الدين القاسمي": 72.

لمقولات الاتجاه المستقبلي. وإن ما يشفع لبعض السقطات التي وقع فيها أدباء الشام، ومنهم الشيخ طاهر الجزائري في دمشق، من طلب الحماية الأجنبية، اليأس الذي كاد يصيبهم نتيجة لطغيان الاتحاديين وغلوهم في حكم الناس حتى القهر<sup>(1)</sup>.

### خلاصة

بعد هذا الاستعراض للاتجاهات الأدبية في دمشق، ومسببات قيام كل منها، تتلمس حقيقة واضحة، وهي أن العثمانية، بوجهيها السياسي والديني، عجزت عن أن تكون حاجة حضارية للبلاد العربية.

لقد حظيت العثمانية، كحركة استيطانية في هذه البلاد، ببعض الأنصار من أدباء العربية، أسهموا في تكوين الفكر السكوني. إلا أنها، برغم الجهود التي بذلتها لتدعيم هذا الاتجاه، تراجعت أمام اليقظة الفكرية التي أصاب البلاد العربية جزء منها، بفعل اليقظة التي شهدتها دول أوروبا الحضارية، وكان لها أثرها العميق في تفتيح أذهان المشاركة العرب على آفاق الغد.

إن موقف دمشق من أنماط الحكم العثماني في القرن التاسع عشر، ومن تطلعات النابيين العرب عموماً نحو تلك الآفاق في أواخر ذلك القرن وبداية القرن العشرين، جعلها تعاني - ربما أكثر من باقي مدن الإمبراطورية - من تناقضات الصراع على الساحة الأدبية. مرد ذلك، في تقديرنا، إلى ثلاثة أسباب رئيسية هي أهميتها التجارية أولاً، ومركزها الديني بسبب موقعها على طريق الحج ثانياً، وكونها عاصمة سابقة لدولة الأمويين التي ازدهرت في عصر قريب من عصور التاريخ. فما كان باليسير عليها، إذن أن تنفض عن كاهلها التراكمات السياسية والدينية والفكرية، بأقصى مما فعلت.

---

(1) انظر رسالة الجزائري في ترجيح التعامل مع الإنكليز في ملحق الوثائق بكتاب كنوز الأجداد لكرد علي.



وفي هذا الصدد، خطت دمشق قضاياها الفكرية، وفق ما نسميه اليوم بسياسة المراحل. فبعد خروجها من إطار الاتجاه السكوني الذي حرص على شدها إلى واقعها، دخلت مرحلة انتقاء الصيغ التي تعينها على كسر طوق الجمود. ومنها خرجت إلى حيز صراعها العلني مع السلطة، ووضعت في هذه المرحلة بذور فكرها القومي للمستقبل.

وفي ذلك كله، كانت دمشق، نداء الضمير العربي لغد أكثر إشراقاً، لغة وثقافة وتاريخاً.



## الفصل الرابع

### الفنون والموضوعات الأدبية

#### الموضوعات التقليدية

في اعتقادنا، أن التباين في الاتجاهات الأدبية - من حيث انتماءاتها الدينية والسياسية كما رأينا - ألقى ظلاله على الفنون الأدبية نفسها. وكان ذلك، من عوامل تحديد خصائصها، من ناحية المضمون والمستوى الفني معاً.

وساعد الأمر، في الوقت نفسه، على تقسيم المضامين. وبالتحديد، تقسيم الموضوعات التي تشكلت منها مجموعة الفنون الأدبية، إلى موضوعات تقليدية وأخرى جديدة. فقبل انتشار الصحافة في دمشق، وتطور الطباعة فيها، ومشاركة المسرح في احتضان مسائل العصر، نلاحظ أن العيب الأساسي في نتاج الأدباء الدمشقيين، يتمثل في تقليد الصيغ الأدبية التي كانت رائجة من جهة، وقصورها عن بلوغ المستوى في الأصل من جهة ثانية. وتعليل هذه الظاهرة، في رأينا، انعدام النقد والتقويم. هذا، إلى جانب العزلة المفروضة على الأدباء أنفسهم، وخلو أجواء الفكر من المناظرات العامة، باستثناء اللقاءات العابرة التي كانت تتم في منزل هذا الشيخ أو ذاك من علماء الدين، ورؤساء الطوائف، وأعلام الطرق. فانعدمت، نتيجة ذلك، روح المبادرة والتجديد.

من هنا، تركز نتاج أدباء ما قبل عام 1875، على الموضوعات التقليدية، فشحنت أجواء الفكر في المدينة بمؤثرات الأدب السكوني، وغلبت عليه الأبحاث الفقهية، واللغوية، والتراجم، والتاريخ، والرحلات، فضلاً عن الحيز الواسع الذي شغله الشعر، بما اتصف به، جملة من تدن ملحوظ في المبنى والمعنى على حد سواء.

وفي تقديرنا، أن الجمود الفكري الذي ران على عقول لفيف كبير من أدباء دمشق حتى النهضة الحقيقية فيها بدءاً من عام 1875، راجع إلى عاملين رئيسيين، أولهما خارجي وثانيهما ذاتي. وقد أسهم في تكوين العامل الأول، ظروف الحكم وما نجم عنها من معوقات، قاومت التطور على الأصعدة المختلفة اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً. وقد تم التنويه بها في أماكن متعددة من دراستنا. وأما العامل الثاني، فكان انعكاساً حتمياً للعامل الأول. وقد تسبب ذلك في انقسام الأديب عن نفسه كمخلوق فطر على الرصد والتعبير. وإن ما يدعو إلى التساؤل حقاً، خلو نتاج المرحلة من آثار أدبية تبشر حتى بمجرد المشاركة فيما يدور حول الأدباء من أحداث مباشرة وقريبة. فقد شهدت دمشق منذ مطلع القرن التاسع عشر، أحداثاً لا يستهان بحجمها وعمقها في حياة الناس. فمن كارثة طبيعية تزلزل بنيان اقتصادها، إلى وباء يذهب بالآلاف من سكانها، ومن ثورة على طغيان هذا الوالي أو ذاك، إلى فتنة دينية تغسل ساحاتها بالدم. ومع ذلك كله، نجد أدباء دمشق، ناثرين وشعراء، لا يقولون في نتائج تلك الأحداث كلمة. وإن هم فعلوا، أرخوا لها بطريقة السرد المجرد، وبعد مضي وقت طويل على زمن حدوثها. وسوف نلاحظ، عندما نعرض لمؤلفاتهم في هذا الفصل، أنهم كانوا أحد فئتين، إما مقيدين بأهوائهم الشخصية، وإما أسرى انتماءاتهم السياسية والطائفية والطبقية.

غير أن توافر وسائل التعبير بين أيدي أدباء الفترة التالية، كالصحيفة والكتاب والمسرح، جعل الصورة تختلف اختلافاً جذرياً. وهي، وإن تك امتداداً، في بعض جوانبها، لصورة المرحلة السابقة، إلا أنها امتازت عنها بتنوع قوالبها الأدبية وموضوعاتها. فشقت المقالة الانتقادية والسياسية دربها إلى جماهير القراء عبر صحافة العصر، وتبوات المسرحية الاجتماعية والتاريخية مكانتها بين تلك القوالب، وبدت القصة والأقصوصة كلون جديد من ألوان الأدب الدارج. و صار في وسع المدارس لنتاج الفترة التي أعقبت سنة 1875، أن يضع يده على "مشكلات" حقيقية، وهموم بدأت تشغل بال المثورين والقراء عامة، كالحرية، والمساواة، وحق العمل، والثورة، وما شابه ذلك من قضايا تجنب الأدباء الدمشقيون الخوض فيها لسنوات طويلة، جهلاً، أو عمداً، أو قهراً، أو اتقاء لغضب السلطة، كما أوضحنا في سياق دراستنا منذ حين.

ونحن في تقسيمنا للفنون الأدبية، من ناحية الشكل أو المحتوى، بين تقليدية وجديدة، لا نقصد الفصل بينهما فصلاً نهائياً حاسماً. ذلك، ليقيننا بأن التداخل بين قوالب فن الأدب ومضامينه، أمر منتظر وحتمي. وإنما نتبع هذا المنهج، للدلل فقط، وبالتحديد، على أن ما سنتعرف إليه من موضوعات تقليدية، كانت مطروقة، أو مألوفة على الأقل، منذ القرن الثامن عشر وما سبقه، وإن الجديد في الموضوعات الأخرى، ما طرأ على أجواء الفكر مما لم يكن متأسلاً أو شائعاً. وقبل ذلك جميعاً، كون الموضوعات الجديدة، أقوى ارتباطاً بالواقع، وأكثر جرأة في مواجهة المعوقات ومعالجة الأفكار المطروحة على البحث، سواء ما كان نابعاً من ذلك الواقع أو وافداً إليه من الخارج، وكونها أيضاً دليلاً قاطعاً على أن الأديب قد تحرر من تبعيته الإنسانية وارتهان ذاته لأصحاب النفوذ، وتفتق وعيه عن رؤيا مستحدثة لدوره القيادي والموجه في تكوين مجتمعه، وفي الدفاع عن مثله العليا.

وقد اجتزأنا من الشواهد ما يكفي، فقط، للتويه بقناعتنا هذه. ولئن لاحظ القارئ في هذا الاجتزاء بعض الإطالة، فذلك حتى نتقرب، ما أمكن، من إطار الصورة التي رسمها أدب الاتجاه السكوني، وما أوحى به من موضوعات، مشيرين في الوقت نفسه، إلى أن هذه الشواهد التي سنأتي عليها، لا تشكل سوى نسبة ضئيلة، وضيئلة جداً، مما تجمع لدينا منها أو أحلنا القارئ إلى أماكن توافرها في هوامش الفصل.

### في الفنون التقليدية.

تحتل معطيات الأدب السكوني في الإطار العام للموضوعات التقليدية، الموروثة، مكان الصدارة بين الفنون الأدبية على امتداد القرن التاسع عشر. وهي معطيات ترتبط، كما أسلفنا القول، بشؤون الدين قبل غيرها. ولا تخرج هذه المعطيات من مجالها هذا إلا لتقع في دوامة باقي الموضوعات المكرورة ومنها الاجتماعيات والتراجم والتأمليات، وغير ذلك مما سنعرض له.

## 1 - الدينيات :

يتصل هذا الباب اتصالاً عضوياً وعقائدياً بالاتجاه السكوني. وهو يدور، جملة وتفصيلاً، حول مناجاة الخالق، ومدح الرسول العربي وآل بيته، مما يسمى بالبديعيات. وفي بعض جوانبه، يتصل بما دار من خلافات مستحكمة أو ناشئة في مسائل الدين. ومع أن موقع الدين، في صميم المجتمع الدمشقي، كان في المرتبة الأولى وعلى امتداد القرن التاسع عشر، إلا أن عجز أدباء دمشق عن بلوغ أهدافهم في عرض المسائل المطروحة أو تحليلها، كان واضحاً، شكلاً ومعنى. ففي الشعر، وهو من الفنون الأدبية الرائجة في أجواء الفكر الدمشقي، نجد أمثلة لمناجاة الخالق، ولكنها ضحلة، عند ثلاثة من أدباء دمشق هم خليل الرومي (1718 - 1805)<sup>(1)</sup> وقاسم القاسمي الشهير بالخلّاق (1806 - 1867)<sup>(2)</sup>، والشيخ محمود حمزة الحسيني المعروف بابن حمزة (1821 - 1887)<sup>(3)</sup>. والأمثلة جميعها، تتعلق بطلب المغفرة، أو المساعدة على الشفاء من مرض ألم بناظم القصيدة.

(1) كان دأبه الاشتغال بالعبادة. لازم ذلك معتزلاً بحجرة في مدرسة فتح الله القلانسي حتى وفاته.

(2) كان إماماً في جامع حسان الظاهر بدمشق، ثم في جامع السنانية إماماً للشافعية وذلك في سنة 1862. تصدى للتدريس في بيته وحجرته في الجامع المذكور. وهو جد الشيخ جمال الدين القاسمي.

(3) تعلم القرآن وأتقن الخط في المدارس الابتدائية بدمشق. عكف على اكتساب العلم واکب على المطالعة والتبحر في صنوف المعرفة على علماء الشام فأخذ عنهم الفقه والنحو والصرف والأصول والكلام، وتلقى الحديث والتفسير والصرف والمعاني والبيان والفرائض والحساب والعروض والحكمة والوضع والآداب وأجيز فيها جميعاً من شيوخه. برع في اللغة التركية، واشتغل في التأليف والتدريس. تولى إفتاء دمشق في سنة 1867. كان مولعاً بالصيد، ومن آثاره الفنية كتابة سورة الفاتحة على ثلثي حبة أرز. وأغرب من ذلك كتابته أسماء شهداء وقعة بدر وعددهم 317 على ورقة بمساحة فص خاتم. أهدها نابليون الثالث، إمبراطور فرنسا، جفتاً بطقم ذهب في صندوق من عاج إقراراً بفضلته في حماية المسيحيين إبان فتنة 1860، وكان موضع تقدير وإجلال رجال الدولة العثمانية وعدد من عظماء أوروبا في زمنه مات وهو في منصب الإفتاء.

ومع أن الأخيرين كانا يتمتعان بمكانة مرموقة في مجتمعهما ، بسبب مركزهما الديني ، إلا أنهما فشلا في رfid الشعر الديني بما ينم عن أصالتهما الأدبية أو عمق تفكيرهما ، نلحظ ذلك في القصيدة التوسلية التي رتبها القاسمي على حروف الهجاء وهو في رمد شديد ، وجاء فيها :

أشكو إلى الله ما ألقاه من لَمَمٍ      وما أقاسيه من ضُرِّي ومن أَلَمِي  
بالذل وافيت باب العز منكسراً      مستغفراً من ذنوبٍ أوجبت سَقَمِي

إلى أن يقول في حرف الياء :

يسر وأصلح وأحسِن منك لي كرمًا      أمري وديني مع الدنيا ومُخْتَمِي<sup>(1)</sup>

كما نلحظ ذلك لدى ابن حمزة الذي ناجى ربه قائلاً :

يا ربِّ ذنبي عظيمٌ أنتَ تعلمه      كيفَ النجاةُ ورأسِ المالِ خُسرانُ<sup>(2)</sup>

ولم يكن أدباء دمشق ، في امتداحهم الرسول العربي وآل بيته الكرام ، وفي امتداحهم للحضرة النبوية أو لحاجة من حاجاته ، بأفضل ممن ناجوا ربهم. فجاء أسلوبهم تقريرياً ، وجاءت أحكامهم من قبيل تحصيل الحاصل كما يقال في يومنا هذا.

فمن قول علي الشمعة (1744 - 1804) ، الفقيه الشافعي ، في مدح الرسول :

إنَّ هذا النبيُّ فاقَ الأناما      وتَسَامَى جَاهاً وَعَزَّ مقاماً<sup>(3)</sup>

(1) محمد جميل الشطي. "روض البشر" : 196 - 197. ويقول الشطي أن القاسمي صار يردد

أبيات القصيدة حتى شفي مما ألم به

(2) محمد تقي الدين الحصني. "منتخبات التواريخ لدمشق" 2 : 786.

(3) محمد جميل الشطي. "روض البشر" : 182.

إلى قول محمد سليم قصاب حسن (1853 - 1913)<sup>(1)</sup> :  
هو المصطفى صفوة الله من تفرّد في الخلق لا بدّ له  
وجيز المديح له إنه عظيم على قدر من أرسله<sup>(2)</sup>

ومروراً بعبد السلام الشطي (1840 - 1878)<sup>(3)</sup> ، وسليم الحصني ( - 1899)<sup>(4)</sup>  
لا نجد تعبيراً واحداً يماثل طلاوة وبيان ما جاء في قول محمود العظم (1836 - 1875)<sup>(5)</sup>  
الذي امتدح الرسول ، في قصيدة مطولة من حوالي مائتي بيت :  
سلوني فأحكام الهوى بعض حكمتي وأحكام آيات الغرام مزيتي  
بدا لي به نور الحقيقة ظاهراً فشاهدت ذاتي تنجلي لبصيرتي

إلى أن يقول مذكراً بتائية ابن الفارض (1181 - 1235) المعروفة بنظم  
السلوك ، وبصوفيته الشفافة :  
فطوراً بليلى والرباب تغزلي وطوراً بزيد واللوى والثنية

(1) مهنته التي كان يرتزق منها التجارة. تأثر بأدباء عصره واشتغل بالأدب. غني بالتاريخ وأنواع  
البيدع.

(2) أدهم الجندي. "أعلام الأدب والفن" 2 : 115.

(3) بغدادى الأصل. نشأ على طلب العلوم الشرعية والأدبية. وكان إماماً للحنابلة في الجامع  
الأموي. زار الأستانة في سنة 1876 وصادق العديد من رجال الدولة العثمانية في دمشق  
والعاصمة - انظر قوله في مدح الرسول في "المنتخبات" 2 : 673.

(4) "المصدر السابق" 2 : 727.

(5) نشأ في نعمة وترف. إلا أنه أضع ثروته وتصوف. كان ولوعاً بالصناعات اليدوية ومنها وضع  
الورق الملون النافر على ألواح البلور وإخراجها بصورة منقوشة تزيد من قيمتها عند هواة  
جمع المقتنيات النادرة أو اللطيفة.



ولم يَبْقَ شيءٌ ما تَعَشَفْتُ حَسَنَهُ      وما نَمُّ كَوْنٌ ما تراءى لِمَقْلَتِي  
إلى أن رأيت الكُلَّ في الدنيا فانياً      وذاتي هي المقصودُ من كلِّ صورة<sup>(1)</sup>

هذه المقارنة بين الشواهد التي اجتزأناها، أو اطلعنا عليها، تؤكد ظاهرة اتسم بها شعر العصر عموماً، على وجه التقريب، في دمشق. وهي أن يكتب الأدباء الدمشقيون الشعر، لمجرد أن لواحد منهم قريناً يكتب هذا اللون من الأدب. وقد تصيب المحاولة كما نراها عند العظم، وقد تخطئ، ولها في الخطأ النصيب الأوفر كما عند الآخرين.

وأما ما يخص الرسول من حاجات، فثمة نعله الذي صاغ فيه الشيخ أحمد الزروق الجزائري (1875 - ) قصيدته التي قال فيها:

نَعْلٌ به للعرش سار مُحَمَّدٌ      قَبْلُ وَالصِّقُّ بِالْجَبِينِ قِبَالَهَا<sup>(2)</sup>

وثمة الحضرة النبوية، التي امتدحها الشيخ محمد أمين عابدين الشهير بابن عابدين (1783 - 1836)<sup>(3)</sup> في سنة 1805، حين كان متشرفاً بالأراضي الحجازية:

يا نوقُ سبحانَ الذي أدناكَ منُ      أرضِ الحبيبِ وجلُّ من أقصاني<sup>(4)</sup>

ومن ذيول هذه المدرسة - إن صح التعبير - اتصال شعراء دمشق بآل البيت. ومنهم عبد السلام الشطي، وحسن التغلبي (1877 - )<sup>(5)</sup>. فقد ذكر الشطي للأول

(1) محمد جميل الشطي. "أعيان دمشق": 270 - 271.

(2) أدهم الجندي. "أعلام الأدب والفن" 1: 240.

(3) بدأ ببعض مؤلفاته وعمره سبع عشرة سنة. صادر السلطان عبد الحميد الثاني (1842 - 1918) حاشيته المار ذكرها في ملحق المؤلفات بحجة تعرضها لشؤون السلطة، ثم عاد وألقى الحظر عن تداولها. قضى ابن عابدين فقيهاً للديار الشامية، وإماماً للطائفة الحنفية.

(4) محمد تقي الدين الحصني. "منتخبات التواريخ لدمشق" 2: 681 - 682.

(5) شيخ الطريقة الشيبية في البلاد الشامية. تلقى العلم في المدرسة الرشيدية العسكرية وفي دار المعلمين. أخذ الفقه عن شيخ بكري العطار. وتلقى الفن الموسيقي وعلم الأوزان

منهما بيتين في مديح آل البيت<sup>(1)</sup> وذكر الجندي للثاني بيتين في مديح السيدة فاطمة الزهراء، بنت النبي وزوجة ابن عمه علي بن أبي طالب، وهما:

إلى بضعة المختارِ فاطمةِ الزهرا      لجأتُ وعيبي يملأُ السهلِ والوعرا  
أفاطمِ يا روحَ النبيِ ومَن لها      يومَ اللقي شأنَ له الدهشة الكبرى<sup>(2)</sup>

هذه الأمثلة وغيرها مما أسقطنا، تجنباً للملل والتكرار، دليلنا إلى أن "الشاعرية" وليس الشعر في هذا الباب، هي ما كان يفتقر إليه شعراء الفترة في مدينة دمشق. ذلك ما تعكسه، عموماً، خصائص الشعر الديني البعيد عن العمق والشمولية والبلاغة.

حتى في المعاني، فقد اقتصر الشعراء على عدد محدود منها، يدور معظمها حول الإستكانة والندم وطلب العون والتماس القربى والمغفرة. وقد نُجم عن دوران شعر الدينيات حول هذه المعاني، عزلته، وبعده عن جوهر الدين الإسلامي وقضاياه الكبيرة في معنى الوجود، والذات الإلهية، وصفاء النفس الإنسانية. وهنا نبرر انحسار النفحة الصوفية في شعر العصر، وغلبة الشعر الحسي على حسابه.

على أن النثر الديني، لم يكن على غرار الشعر فيما وقع بين أيدينا من مؤلفات الأدباء الدمشقيين المطبوعة في دمشق خلال السنوات (1871 - 1913)<sup>(3)</sup> ففي تلك المؤلفات تناول أصحابها أمور الدين بجدية وعمق أكثر مما فعل أرباب الشعر. وتعليل الأمر، في اعتقادنا، راجع إلى طبيعة التأليف نفسها، التي تتجنب العفوية أو التلقائية أو التصنع. ففي نطاق الشعر، قد يضحى الشاعر بمبنى القصيدة

---

والموشحات في تكية والده على أهل الفن المشهورين في عصره. منهم أبو خليل القباني، عبد القادر الحنفي، رشيد عرفة، محمود الكحال، صالح الساعاتي. ذهب مع والده إلى الأستانة، عاصمة الدولة العثمانية في سنة 1899، ثم عاد إلى دمشق في سنة 1907. عارض كثيراً من الموشحات التركية ونظم على ألحانها في اللغة العربية.

(1) محمد جميل الشطي. "أعيان دمشق": 169.

(2) أدهم الجندي. "أعلام الأدب والفن": 1 : 235.

(3) راجع ملحق المؤلفات المطبوعة في دمشق (1856 - 1915).

كلها، من أجل إثبات قدرته على النظم، بطريقة نادرة أو غير مألوفة في أيامه، مثل استخدام أسلوب التشطير، والتخميس، والتضمين، والتطريز، والتلغيز، وترتيب مطالع أبيات القصيدة على حروف الهجاء كما رأينا منذ حين. بينما لا تحتاج الأبحاث في الغالب، إلى المحسنات اللفظية، قدر حاجتها إلى عرض الأفكار بأيسر الأساليب المطروقة زمن كتابتها.

ومع أن الكتب الدينية المطبوعة في دمشق، كثيرة العدد نسبياً إذا ما قورنت بالتأليف التي تمت بالصلة إلى أنواع أخرى من صنوف المعرفة، نجد عدداً محدوداً منها لأدباء دمشق الذين دانت لهم الشهرة في هذا الموضوع، أمثال الشيخ محمود حمزة، والشيخ عمر العطار (1826 - 1890)<sup>(1)</sup>، والشيخ محمد طاهر الجزائري، والشيخ جمال الدين القاسمي، الذين كتبوا في أمور الدين، مجارة للتيار الديني الذي كان قائماً في القرون السابقة، ولم ينقطع في القرن التاسع عشر، فبقي ناشطاً. لقد حرص هؤلاء، في نتائجهم الطبوع، على إيضاح عدد من القضايا المطروحة على صعيد البحث الديني، وعرضوا لمسائل الأوقاف، وغير ذلك مما يتصل بالخلافات المذهبية في الشؤون الفقهية، واجتهادات المجتهدين من السلف والمعاصرين واتباع كل من هذين الطرفين.

ومع أن هؤلاء، كانوا في واقع الأمر، طرفاً لا أكثر في إحياء حركة التأليف في حقائق الدين الإسلامي - بسبب إقبال مطابع دمشق على نشر مؤلفات دينية لأدباء من خارج دمشق أو لا تنتمي إلى العصر ذاته، كما يتضح من ملحق المؤلفات المطبوعة في دمشق - إلا أن مؤلفاتهم تشكل جانباً ذا أهمية خاصة في المجتمع الدمشقي، حيث مكانتهم مرموقة، وقدرهم جليل. فقد أسهمت آراؤهم، في تثبيت المعتقدات الإسلامية، أمام التيارات الفكرية الوافدة من الغرب، كما ساعدت في التخفيف من أثر العلوم الحديثة في نفوس المتعلمين، التي حملتها إلى قطاعات واسعة منهم مدارس التبشير المسيحي. وربما كانت تلك الآراء، السلاح

---

(1) من فقهاء الشافعية. برع في النحو والمنطق والحديث والفقه. زار مصر مراراً وأخذ عن علمائها.

الذي ناهض به عدد من أنصار الاتجاه السكوني، في بداية أمرهم، انفتاح الحركة الأدبية في دمشق على ثقافة الغرب التي شكلت، بصورة ما، تهديداً لمراكزهم الدينية أو مرتكزاتهم العقائدية، على حد سواء.

على أننا إذا قارنا التأليف الديني، في هذه المرحلة، بالتأليف الديني في المرحلة السابقة، بدا لنا أنه اتخذ سبيله إلى التقلص، ذلك لأن الهموم الدينية كانت في الماضي غاية في ذاتها، بينما غدت، من ثم، جزءاً من هموم أخرى عريضة تتصل بشؤون الدنيا ومسائل المعيشة اليومية.

## 2 - الأدب الاجتماعي:

غلب على هذا الباب أثر المقولات التي روج لها الاتجاه السكوني عموماً. ونتيجة ذلك ضعف ارتباطه بالبيئة الاجتماعية، فابتعد عن معالجة قضايا الناس ومشاكلهم. ونتيجة ذلك، أيضاً، فقد صلته بأحداث المرحلة وما تركته من أصداء داخل البيئة الدمشقية كالفتن والحروب التي لم تنقطع. ومع أن نتاج الأديبي، هنا، ارتبط ببعض أسماء أدباء دمشق في عصرهم، فقد ظل عاجزاً عن الاحتفاظ ولو بالحد الأدنى من مقومات الديمومة. وبقيت هذه الصفة لاصقة بموضوعات الأدب الاجتماعي إلى ما بعد ظهور الصحافة الوطنية، ودخول أدباء الاتجاه الانتقائي معركة الإصلاح. وإلى هذا الحد بقي نتاج هذا الباب يدور في نطاق الموضوعات التقليدية المكرورة، ويأتي في مقدمتها المدح، والهجاء، والفخر، والتهاني، والثناء. كما يأتي الشعر في طليعة الفنون الأدبية التي تمثلت فيها تلك الموضوعات. ومع أن شعر المدح احتل حيزاً واسعاً من أدب الاجتماعيات، إلا أن نماذجه تتباين في المستوى الرديء، وقلما نعرث بينها على مثال يقترب من الجودة. ولعلنا لا نجانب الحقيقة إذا قلنا بأن شعر المديح يكاد يكون شرطاً لدى أدباء دمشق، يستكملون به سبب وجودهم الفكري، أو يحمون به ألقابهم كأدباء أحياء. سواء أكان الأشخاص المعنيون بالتقريب في مواقع السلطة السياسية، أو الإدارية، أو الدينية.

فمن أدباء دمشق الذين امتدحوا أشخاصاً ذوي نفوذ سياسي ، محمد نسيب حمزة (1786 - 1849)<sup>(1)</sup> الذي أشاد بوقائع إبراهيم باشا في البلاد الشامية ووصفه "بكعبة الراجين"<sup>(2)</sup>. ومنهم أيضاً عبد الغني السادات (1795 - 1849)<sup>(3)</sup> في امتداحه وزير الشام علي باشا بقصيدته المطرزة على حروف اسمه ولقبه ، وفيها يبدو الوزير في مقام يعلو به على منازل الجوزاء<sup>(4)</sup>.

وعندما قدم فؤاد باشا إلى دمشق ، اثر الفتنة الطائفية (1860) ، بادر الشيخ محمود حمزة إلى مدحه ، رغم ما قيل فيه من أنه أذل أهل دمشق وشتت شمل أعيانها وعلمائها ، مما أوجب مؤرخا كعبد الرزاق البيطار (1837 - 1916)<sup>(5)</sup> إلى تقرير الشاعر لبقوله في أهل بلده ووطنه "ما لا يقال"<sup>(6)</sup> ، تبريراً لتصرفات الوزير العثماني في تطويق نتائج الفتنة.

كذلك فعل عبد المجيد الخاني (1847 - 1900)<sup>(7)</sup> الذي امتدح توفيق بن إسماعيل (1852 - 1892) بمناسبة إسناد منصب الخديوية إليه سنة 1879 ،

---

(1) فقيه حنفي. اشتغل بطلب العلم ، وأخذ التجويد و الفقه والنحو والعروض.

(2) انظر محمد تقي الدين الحصني. "المتخبات" 2 : 699.

(3) من فقهاء المذهب الحنفي.

(4) محمد جميل الشطي. "أعيان دمشق" . 174.

(5) كان يحضر دروس والده حسن البيطار (1791 - 1855) ، وعندما مات أبوه قرأ فقه أبي حنيفة على شقيقه الأكبر محمد ، أمين فتوى دمشق ، صحب الأمير عبد القادر الجزائري ، كما صاحبه صديقه جمال الدين القاسمي ، وكان هذا يبعده عالم الشام. كان حسن الصوت وعارفاً بالموسيقى. سافر إلى الأستانة لمبايعة السلطان عبد الحميد في سنة 1876. وفي سنة 1885 زار بيروت ونمت بينه وبين الشيخ محمد عبد الجواد القاياتي ، صاحب كتاب "نفحة البشام في رحلة الشام" صداقة. هذا فضلاً عن قيامه بزيارات أخرى منها رحلته إلى القدس.

(6) عبد الرزاق البيطار. "حلية البشر" 3 : 1470.

(7) من فقهاء الشافعية. أخذ عن أبيه بعض العلوم وعن غيره الأدب واللغة والعروض.

وعبد العزيز الإدريسي الجزائري (1860 - 1904)<sup>(1)</sup> فيما نظمه بحق تحسين باشا، الكاتب الأول في الباب العالي. ولا نجد بين أدباء دمشق من شذ عن التملق أو التقرب من ذوي الشأن السياسي في أيامهم، سوى عدد قليل منهم، أمثال راغب تقي الدين الحصني (- 1871)<sup>(2)</sup>، وأديب إسحق، فقد سأل إبراهيم باشا أولهما، (وكان نقيباً لدمشق في زمن ولايته على الشام: كيف رأيت مصر؟ فأجابه على التو:

تَرَكْتُ جَنَّةَ الْفَرْدُوسِ عَمْدًا      وَيَمَمْتُ دِيَارَ الْفَاسِقِينَ

بيد أنه ما إن قرأ معالم الكدر على وجه الوالي حتى استدرك زلة لسانه:

ولكنني سَمِعْتُ قَوْلَ رَبِّي      فَمِصْرٌ ادْخَلُوهَا آمِنِينَ<sup>(3)</sup>

ولأديب إسحق، الذي هجر دمشق وهو طفل في الحادية عشرة من عمره، قول في مدح أحد الصناديق من عمال الدولة:

إِذَا أَنَا لَمْ أَمْدَحْ عَلَى الْخَيْرِ أَهْلَهُ      وَلَمْ أَذْمِ الْوَعْدَ اللَّئِيمَ الْمَذْمَا

فَفِيمَ عَرَفْتُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ بِاسْمِهِ      وَشَقُّ لِي اللَّهِ الْمَسَامِعَ وَالْقَمَا<sup>(4)</sup>

وسواء ذكر الشاعر المقصود بهذين البيتين أو لم يذكره، ففي قوله التزام بموقف، وموقفه هنا أخلاقي بالدرجة الأولى. ويمكن أن نعزو انفراد أديب إسحق بهذا المنحى في معظم شعره، إلى ثقافته الغربية، ومحصلة تجاربه الشخصية مع من أولاهم ثقته فغدروا به، أو أحبههم فلفظوه.

(1) تلقى علومه في الفقه والمنطق عن ابن عمه الأمير محمد المرتضى والد زوجته. نال شهادة الحقوق من الأستانة وعين لوظيفة مستنطق أول في بيروت. قضى نحبه متأثراً من نزيف دموي اثر عملية استئصال اللوزتين.

(2) فقيه حنفي. مفتي دمشق وتقيها. صادقه إبراهيم باشا حين جاء دمشق، وأحب مجالسته.

(3) محمد تقي الدين الحصني. "المنتخبات" 2 : 661.

(4) أديب إسحق. "الدرر" 1 : 108 - 109.

وبين هذا اللون وذاك، نجد من ضروب الشعر، ما يمكن تسميته بشعر  
المجاملات الاجتماعية. وهو، على نقيض أغراض شعر المديح المرتبط بمصالح  
مباشرة، يتوجه به ناظمه ممتدحاً شيخه الذي كان له عليه فضل تهذيبه وتثقيفه،  
أو مضيفه الذي أكرمه، أو اعترافاً بقدر عالم جليل ذي مكانة مرموقة في مجتمعه.  
ومن شعراء هذه المدرسة - على سبيل المثال - خليل الرومي في مدحه مفتي دمشق  
علي أفندي المرادي إثر حادثة أُلّت به، ومحمد شاكر العمري (1744 - 1807)<sup>(1)</sup>  
والشيخ محمد أمين بن عابدين الذي انحرف في التيار فاصطنع شعراً يكاد الدارس  
يشك في نسبه إليه. ذكر ابن عابدين: دعانا صديقنا المحترم سعيد الأسطواني مع  
جناب شيخخي الشيخ سعيد الحلبي وجماعة إلى جنينة عاصم سنة 1217 (1814م)  
فارتجلت قائلاً:

جُنِينَةٌ مَنْسُوبَةٌ لِعَاصِمٍ	جُنِينًا بِهَا وَاللَّهُ خَيْرُ عَاصِمٍ
يَا حَسَنَهَا مِنْ رَوْضَةٍ لَقَدْ زَهَتْ	أَغْصَانُهَا بِلَيْلَةِ الْمَعَاصِمِ
مَعَ سَادَةٍ بِاللُّطْفِ قَدْ عَرَفْتَهُمْ	هُمُ الْمَنَى وَوَقْفُ قَصْدِ الرَّائِمِ

إلى أن قال:

وَالشُّهُمُ ذُو التُّقَى وَحِيدُ عَصْرِنَا	سَعِيدُ ابْنِ الْأَسْطَوَانِيِّ الْهَاشِمِيِّ
قَدْ جَاءَ يَدْعُونَا إِلَى رَحِيبِهَا	فَزِدَّهُ يَا رَبِّي مِنَ الْمَعَالِمِ <sup>(2)</sup>

ومن الشعراء الذين نسجوا على هذا المنوال، فأكثروا النظم وخطوا من شأنه  
فكرياً، حسن البيطار (1791 - 1855) وعبد الغني السادات، ومحمد الجملة  
الخلوتي (- 1822)، وعبد الرزاق البيطار، ومحمد أحمد المنيني، وعبد السلام

(1) فقيه حنفي. تصدى للتدريس صغيراً، وكان أكثر معاصريه من تلاميذه.

(2) محمد تقي الدين انحصني. "المنتخبات" 2: 682.

الشطي، ومحمود أبو الشامات (1850 - 1922)<sup>(1)</sup>، وعبد العزيز الإدريسي الجزائري، ورضا آل المرتضى (1868 - 1903)، ومحمد جميل الشطي (1883 - 1959)<sup>(2)</sup> وعدد آخر من الشعراء الذين اصطبغ نتاجهم، بمعان عادية، مكرورة، لا تتعدى ردود الفعل تجاه كرم الضيافة، أو حسن الاستقبال، أو الإشادة بالخلق القويم.

وفي إطار المجاملات أيضاً نعث على شعر التهنئة بولادة طفل، أو حلول عيد، أو ترقية، أو توجيه رتبة، أو مقدم زائر جليل القدر ضيفاً على المدينة أو على أحد أعيانها، أو ترحيباً بعودة حاج من الديار الحجازية، وغير ذلك مما أحل الشعر في زمانهم محل البطاقات التي تتبادلها في زماننا هذا.

ويمكننا الجزم بأن أدياء دمشق لم يتركوا مناسبة عامة أو خاصة إلا سارعوا إلى رصدها. بينما تجاوزوا أحياناً أكثر التصاقاً بوجودهم كما أسلفنا القول<sup>(3)</sup>. من هؤلاء الشعراء أحمد اليافي ( - 1806)، وهبة الله التاجي (1738 - 1809)<sup>(4)</sup>، وعبد الحليم اللوجي (1748 - 1808)، وعبد الغني الميداني (1807 - 1880)، وسليم بهجت الحصني، ومحمد الداوودي (1877 - 1927)<sup>(5)</sup>، وآخرون بعضهم غالي في التعبير عن عواطفه، وحمل المناسبة أكثر مما تحتمل، كقول الميداني في عودة الشيخ حسن البيطار من رحلته إلى الديار الحجازية على سبيل المثال:

---

(1) اشتغل بالتجارة في بادئ الأمر، ثم أخذ في ملازمة علماء دمشق وصار منهم. تزوج من ابنة الشاعر الدمشقي سعيد بن علي الشهير بالعمار. هو شيخ الطريقة الشاذلية البشروطية، في زمانه بدمشق.

(2) أُولع بالأدب والتاريخ وهو دون الخامسة عشرة من عمره فنظم ونثر. تولى رئاسة الكتاب في محكمة دمشق الشرعية بدمشق. وانتخب مفتياً للحنابلة في سنة 1929، وكان قبل ذلك إماماً لهم في الجامع الأموي منذ سنة 1915. ومنذ سنة 1933، انبرى خطيباً في المدرسة البادرانية.

(3) تجدد أمثلة لما أشرنا إليه من شعر المجاملة في المصادر التالية: حلية البشر، منتخبات التواريخ لدمشق، روض البشر، أعيان دمشق في القرن الثالث عشر.

(4) فقيه حنفي ومحدث. درس على جماعة من علماء دمشق. تولى إفتاء بعلبك حتى وفاته.

(5) بدأ حياته بإقراء الطلبة العلوم الدينية، كما تصدر للتدريس في بعض المدارس الأهلية.



وَمَضَتْ بَرُوقُ الْحَيِّ فِي الظُّلْمَاءِ      سَحَرًا أَهَاجَتْ لَاعِجَ الأَحْشَاءِ  
وَنَضَّتْ سِیُوفَ الهِنْدِ فِي إبرَاقِهَا      فَهَمَّتْ عِیُونَ مَدَامِعِي بِدَمَاءِ<sup>(1)</sup>

هذا بينما كان أدب البعض الآخر منهم، رصف الكلمات وكأنهم يكتبون الشعر رفعا للعتب. ومثالا على ذلك نسوق قول محمد آغا السوقية، في تهنئة الشيخ محمد صالح تقي الدين الحصني بمولود رزق به سنة 1885 أسماء صلاح الدين:

شَرِيفٌ حَسِينِي لِه الفَخْرُ سَيِّد      سَحَرًا أَهَاجَتْ لَاعِجَ الأَحْشَاءِ  
سَلِيلُ بَنِي الزَّهْرَاءِ خَيْرُ عَصَابَةٍ      تَوَارِثَهَا عَن سَيِّدٍ بَعْدَ سَيِّدٍ<sup>(2)</sup>

وفيما تطرق إليه شعراء دمشق أيضاً، موضوع التفاخر. إلا أنه لم يكن في مثل حجم الموضوعات الأخرى. هذا من جهة، ومن جهة ثانية، فقد تفوق في مستواه الفني بشكل ملحوظ، وبمن اتصل بالموضوع من أدباء دمشق في القرن التاسع عشر، محمود العظم، ومحمد سعيد القاسمي (1842 - 1900)<sup>(3)</sup> وعبد المجيد الخاني. بيد أن هؤلاء لم يبلغوا ما بلغه عبد الرحمن القصّار (1868 - 1929)<sup>(4)</sup> الذي امتلأ بشعور الفوقية حتى درجة تحقير خصومه في هجائه إياهم، كقوله متفاخراً:

(1) عبد الرزاق البيطار. "حلية البشر" 2: 867 - 872.

(2) محمد تقي الدين الحصني. "المنتخبات" 2: 735.

(3) قام مقام أبيه بعد وفاته مدرساً في جامع السنانية في سنة 1867. زار مكة والقدس. عرف عنه ولعه بالموسيقى. مارس التجارة لفترة ثم تركها وانصرف إلى العلم. قال ابنه جمال الدين القاسمي إنه مال في سنوات عمره الأخيرة لمذهب السلف الصالح، وترك التعصب في المسائل الخلافية. قال القاسمي الشعر في صباه، وكان عارفاً بالصناعات الشامية والحرف الراجحة في زمانه.

(4) أخذ العلوم الدينية والفقه والتفسير والبيان والعروض عن علماء عصره من آل الخطيب بدمشق. برزت ميوله الأدبية والفنية الموسيقية في وقت مبكر. وكان يلازم من أهل الفن حلقة الشيخ عبد الرزاق البيطار. وأنشد كثيراً من شعر ابن معنوق.

عَوَى كَلْبٌ عَلِيٌّ وَلَيْسَ بِدُعَاً      فَإِنَّ اللَّيْثَ تَتَّبَعَهُ الْكَلَابُ  
وَمَا عَجْزاً سَكُوتِي عَنْهُ لَكِنَّ      نَبَاحُ الْكَلْبِ لَيْسَ لَهُ جَوَابٌ<sup>(1)</sup>

مثل هذا التطرف لا نلاحظه عند الآخرين. ففي تفاخر العظم، نتلمس الهدوء والاتزان:

رُوِّدَكَ أَيْنَ تَبْلُغُ مِنْ لِحَاقِي      أَمَامَكَ أَيُّهَا الْعَادِي وَرَائِي  
ظَمْتُ فَمَا شَرِبْتُ الْمَاءَ صِرْفًا      وَلَا أَدَلَّيْتُ دَلْوِي فِي الدَّلَائِ  
أَشْرَبُ وَالزَّلَالُ يُخَاضُ فِيهِ      وَمِنْ نَهْرِ الْمَجْرَةِ كَانَ مَائِي<sup>(2)</sup>

كما نلمس في نظم القاسمي تركيزاً على الذات<sup>(3)</sup>، وفي نظم الخاني اعتداداً بمكانة أسرته العلمية، واتساع أفق شهرتها:

تُوهِمُ أَهْلَ الْجَهْلِ إِدْرَاكَ شَأُونَا      وَمَنْ نَالَ هَذَا الْفَضْلَ تَسْمُو مَرَاتِبَهُ  
وَهَبْ أَنَّهُمْ قَدْ أَمَطَرُوا مِنْهُ قَطْرَةً      فَمِنْ بَعْدِ مَا انْهَلَتْ عَلَيْنَا سَحَابُهُ<sup>(4)</sup>

وليس فوق التجريح والتسامي والاعتداد بالنسب، ما يضاف إلى المعاني الفخرية لخلو شعر المرحلة من التفاخر، وفقدان أسباب شيوعه في البيئة المغلقة على نفسها.

ويأتي موضوع الرثاء، بين الموضوعات التقليدية، ليضاهي بغزارته أدب المديح. إلا أنه، في تقديرنا، يمتاز عنه بالصدق والرفافة، ذلك بسبب ما يحمله نأ

(1) أدهم الجندي. "أعلام الأدب والفن" 2: 117.

(2) محمد جميل الشطي. "أعيان دمشق" 271 - 272.

(3) انظر محمد تقي الدين الحصني. "المنتخبات" 2: 722.

(4) أدهم الجندي. "أعلام الأدب والفن" 2: 117.

الموت إلى نفس سامعه من أحاسيس، لا بد أن تطوق فكره وتفرض عليه لحظات الأسى أو التساؤل. وقد كان المدخل إلى الرثاء يتجلى، عموماً، بعبارات مكرورة مثل "ليفدح الجهل" و"خطب عظيم" و"جار دمعي" و"لمثل هذا الخطب"، و"بكيث دماً" وغير ذلك مما درج شعراء دمشق على افتتاح قصائدهم به من عبارات فخمة تشير إلى الفاجعة.

وخلافاً لما سبق، نجد لشاعر واحد من شعراء الفترة، أكثر من قصيدة في موضوع الرثاء. من هؤلاء محمد أمين بن عابدين، الذي رثى الشيخ أحمد العطار (1725 - 1803)<sup>(1)</sup>، والشيخ محمد الكزبري (1727 - 1806)<sup>(2)</sup>، والشيخ خالد النقشبندی (1780 - 1826) الذي اغتيل في ظروف غامضة:

أي ركنٍ من الشريعة مالا      فرأيناهُ قد أمالَ الجبالا  
قد رزقنا بأوحدِ العصرِ علماً      وبهاءٍ وبهجةٍ وكمالا  
هو بحرُ العلومِ شرقاً وغرباً      ويميناً وقبلةً وشمالا  
خالدُ القطبِ إن يزلْ فهدهُ      خالدٌ في الأنامِ ليس مُزالا<sup>(3)</sup>

إلى آخر القصيدة التي مهد لها الشاعر بتبرئة الشيخ النقشبندی من تهمة السحر والكهانة والجحود، واتهام خصومه بالفساد وإطالة اللسان على أشرف أهل جنسه.

ومن الشعراء الأوائل الذين نقرأ لهم أيضاً في هذا الموضوع الشيخ إبراهيم العطار (1816 - 1896)<sup>(4)</sup> في رثائه للشيخ مصطفى الشطي (1779 - 1852)<sup>(1)</sup>

(1) انظر خليل مردم بك. "أعيان القرن الثالث عشر": 32.

(2) فقيه شافعي ومحدث. أصله من صفد. درس تحت قبة النسر في جامع أمية بدمشق.

(3) محمد جميل الشطي. "روض البشر": 85 - 86.

(4) من علماء الشافعية، قرأ على مشاهير مشايخ دمشق. درس في الجامع الأموي في محراب الحنابلة وكان إماماً شهيراً.

والشيخ محمد الصالحى ( - 1895)<sup>(2)</sup>. كما نقرأ للشيخ عبد الرزاق البيطار في رثاء أبيه الشيخ حسن البيطار (1791 - 1855) أبياتاً قالها وهو في الثامنة عشرة من عمره كما يتضح ذلك من فارق التاريخ بين ولادته و وفاة أبيه ، ومع ذلك نجد بينها بيتاً ينبئ عن شاعر. قال :

قَلْ لُمُعْتَزٍ بِالْحَيَاةِ تَنْبَهُ لِرِحِيلٍ فَالْعَمْرُ لِمَعَ سَرَابٍ<sup>(3)</sup>

فهو لم ينس خطبه في سياق القصيدة ، ولكنه تجاوزه بهذا البيت إلى ما هو أنفع وأبقى أثراً في نفس القارئ. ففي البيت المذكور ، اختصر نظرة عارف بالحياة ، كأي إنسان خبر الحياة حتى اعتصرته تجاربها.

على أن الرتبة ، في شعر الرثاء ، كانت ، بدورها ، ظاهرة تستلفت الانتباه. بيد أنها لم تكن طاغية لحسن الحظ. من ذلك ما نقره لمحمود الموقع (1741 - 1904) في رثاء عمر بن محمد السبيعي ( - 1866)<sup>(4)</sup> ، وسليم بهجت الحصني في مرثيته للشيخ إبراهيم العطار<sup>(5)</sup> ، ومحمود أبو الشامات الذي رثى شيخه الصوفي علي نور الدين الشرطي بقوله :

عَلَيْكَ إِمَامَ الْوَقْتِ تَبَلَى الْبُصَائِرُ كَمَا قَتَيْتَ حَقاً عَلَيْكَ السَّمْرَائِرُ<sup>(6)</sup>

ورغم ما يبدو في شعر هؤلاء من معاني الأسى والتأثر ، فإن رثاءهم كان مباشراً أن صح القول . يستهدف الفقيده كما لو كان المخاطب ذاته ، وعلى النقيض مما رأيناه في شعر البيطار ، أو نراه في شعر أديب إسحاق الذي قال في رثائه لأحد صاحبي كتاب "آثار الإدهار" سليم الخوري حين وافاه أجله سنة 1875 :

(1) انظر محمد جميل الشطي. (روض البشر) 247.

(2) "المصدر السابق" 2 : 669.

(3) محمد جميل الشطي. "روض البشر" : 70.

(4) انظر محمد تقي الدين الحصني. "المنتخبات" 2 : 760.

(5) "المصدر السابق" 2 : 706.

(6) عبد الرزاق البيطار "حلية البشر" 1 : 241 - 243.

يا هيلالاً في القبرِ ما كان قَبْرٌ      قبلَ ذا من منازلِ الأَقمارِ  
 لم تَغيبْ عن بصائرِ الناسِ لكنْ      غيبتك العَلْيَا عن الأبصارِ  
 ولئن أكثرُوا البكاءَ وناحُوا      وهم لم يَلْمُهُمُ ذو اختبارِ  
 فعلى مثلِ من أضاعوه يُبْكِي      لا على دِرْهمٍ ولا دِينَارِ<sup>(1)</sup>

كان أديب إسحق، وهو الأديب المغترب دائماً عن بلده، جزءاً من قلب دمشق كما كان جزءاً من عقلها. وهذا ما جعله يشارك أدباءها نبض عروقهم وخلجات قلوبهم. دليلنا إلى ذلك، رثاؤه للأمير عبد القادر الجزائري (1808 - 1883) في قصيدته البليغة بعنوان "داهية دهماء"<sup>(2)</sup>، وقوله في وصف حالة دمشق صبيحة إعلان نبأ الوفاة: "فملاً القوم نواحيها نواحاً، وطاروا إلى القصر هائمين حيارى، تحسبهم سكارى وما هم بسكارى، فداروا به صفوفاً واجتمعوا من حوله ألوفاً ناديين مسترسلين للبقاء، ناحيين متجافين عن العزاء"<sup>(3)</sup>.

ونجد عند شعراء دمشق المتأخرين، امتداداً لهذا اللون من الرثاء، أمثال جميل العظم (1873 - 1933)<sup>(4)</sup>، وصلاح الدين القاسمي في قصيدته "الدمعة اليتيمة" التي أهداها إلى روح شقيقه، علامة الشام، الشيخ جمال الدين القاسمي، وفيها يقول:

ليتَ شِعْري ماذا جَنَى الشَرْقُ حتى      أمْطَرَتْهُ سَحْبُ الأَسَى بسِوَالِ

(1) أديب إسحق. "الدرر": 45 - 46.

(2) "المصدر السابق" 2: 216 - 217.

(3) "المصدر السابق" 2: 177.

(4) تلقى علومه في المدارس الحكومية بدمشق ولازم حلقات العلماء في عصره. سافر إلى الأستانة في سنة 1900 وعمل محاسباً للمعارف بولاية بيروت. سافر إلى مصر، خلال الحرب العالمية الأولى، وانخرط في النشاط السياسي مع رفيق العظم وابن عمه حقي العظم. وأصدر مجلة "البصائر" شهرية - انظر قوله في أدهم الجندي. "أعلام الأدب والفن" 2: 124.

كلما أنجبت حنياه فذاً      شامخاً بالغاً مدى التحصيل  
 ورجونا على يديه نهوضاً      وصلاً لخلق هذا الجيل  
 عاجلته المنون كهلاً وأبقت      نلماً ما لسدها من سبيل<sup>(1)</sup>

وأثر عن القاسمي منحاه التعجبي هذا في معظم قصائده التي صاغها في أبواب شتى. ومنها قوله في رثاء فقيد الشرق الإسلامي الشيخ محمد عبده (1849 - 1905):

رايتك يا دهرُ تبدي العجبُ      بفعلك إما ونى أو وثبُ  
 ألا حسبنا داؤنا جهلنا      فحتام تصدعنا بالنكب  
 وتمزق أحشاءنا تارة      برَبِّ العلوم وركن الأدب  
 كأنك أوجبت في الكائنا      تِ بقاء الغيِّ ومحو النخب<sup>(2)</sup>

وينطوي القرن التاسع عشر، وعقد من القرن العشرين، وليس بين أيدينا سوى حفنة من الشعر لو جمع أحسنه لما ألف ديواناً في الأدب الاجتماعي يستحق أن يصنف بين شعر العرب، بما عرف عنه في الأزمنة الماضية، أيام الجاهلية، وعصر النبوة والراشدين، وفي العصرين العباسي والأندلسي على السواء.

### 3 - الأدب الوجداني التأملّي.

كلما ازداد الأدب ارتباطاً بذات صاحبه، غدا أكثر رفاهية وشفافية. ولئن كانت وقفة الأديب، شاعراً أو ناثراً، أمام غيره، نوعاً من الالتزام الاجتماعي - قهراً أو عفواً - فهي أمام الحبيبة، دفقة شعور وحنن من ألحانه الراقية. مثل ذلك شعر التأمل حيث يرقى الأديب بنتاجه إلى مستوى الفكرة التي يجسدها له مرأى

(1) محب الدين الخطيب. "صلاح الدين القاسمي، آثاره": 291 - 293.

(2) "المصدر السابق": 294 - 296.

الأرض أو السماء ، كما تجسدها المعاناة والبحث والكشف عن معاني الوجود. وكما تطرق الشعر إلى الموضوعات الدينية والاجتماعية في بعض جوانبها ، كذلك تطرق إلى شؤون القلب والعقل. ففي شعر الغزل والتشبيب والنسب واللوعة ، يرق الشعر ، ويصفو ، ويتصف بالعدوية.

ومع أن الفترة التي عاشها أدباء دمشق خلال القرن التاسع عشر ، كانت فترة جذب عاطفي ، لاعتبارات تتعلق بظروف الكبت الاجتماعي والاقتصادي ، فقد نفذت إلينا بعض الصور المشرقة في هذا المجال. ومن نتاج أدباء دمشق الأوائل في الغزل ، ما نظمه عبد الحلیم اللوجي في مליحة عرجاء :

تَبَدَّتْ تَمِيسُ كَعُودِ الْقَنَا      وَكُلُّ الْغُصُونِ لَهَا سَاجِدَةٌ  
وَفِي مَشِيهَا قَزَلٌ لَمْ يَشِينْ      لَجْمٌ مَحَامِينِهَا الزَّائِدَةٌ  
لِمَاذَا التَّعَارَجُ يَا مُنِّي      فَقَالَتْ وَأَنْفَاسُهَا صَاعِدَةٌ  
خَصَّصْتُكَ بِالْحَبِّ دُونَ السُّوَى      فَمَيْلِي إِلَى جِهَةٍ وَاحِدَةٍ<sup>(1)</sup>

ولعلنا لا نغالي إذا قلنا أن هذا التبرير لمشاعره تجاه المليحة ، هو تبرير ذكي للغاية ، في إطار الصورة التي رسمها لها ، وهي تميل عليه بحكم عاقتها ، كما في إطار إنسانيته الشاملة التي جعلته يتعاطف مع أنفاسها المتصاعدة إذ اختصها بنظرة إعجاب ووله.

ولقرين اللوجي وتلميذه الشيخ محمد العمري (1758 - أوائل القرن 19) مواقف مماثلة من الحسان ، وله في التغزل قوله :

إِنْ صَالَ نَاعِسُهُ أَسَدَ فَرَائِسِهِ      أَوْ مَالَ مَائِسُهُ فَالْقَلْبُ صَائِدُهُ  
مَا مِثْلُهُ بَشَرٌّ فِي ثَغْرِهِ دُرٌّ      فِي طَرْفِهِ حَوْرٌ هَارُوتُ سَاجِرُهُ<sup>(2)</sup>

(1) محمد جميل الشطي. "روض البشر" : 136 - 139.

(2) محمد جميل الشطي. "روض البشر" : 225.

إلى آخر الأبيات التي نستخرج منها صورة دمشق، في بعض عبثها ولهوها،  
كما نستدل من آخر أبيات القصيدة المشار إليها:

وَيَاتُ يَنْشِدُنِي وَالكَأْسُ فِي يَدِهِ      بَاكِرٌ صَبُوحَكَ أَهْنَى الْعَيْشِ بِاِكْرِهِ

ومثلما تتكشف لنا صورة الوجه الآخر لدمشق، التي لم نعرف عنها حتى  
الآن سوى بأسها والمحن التي قاستها، فإذا هي في بعض أطرافها، عالم زاخر  
بالرقص والنغم والشدو، كذلك تتكشف لنا أسماء جديدة، لم يسبق لأصحابها  
أن شاركوا في مجالات أخرى. من هؤلاء محمد أحمد الحنفي، الشهير بالكنجي  
(1791 - 1866)<sup>(1)</sup>، وأحمد السفرجلاني (1818 - 1893)<sup>(2)</sup> الذي صاغ شعره في  
قالب موشح:

غَصْنُ بَانَ قَدْ تَبَدَّى      فِي عُلَاهُ الْبِدْرِ بَانَ  
اخْجَلَّ الْأَغْصَانُ تَيْهًا      وَسَبَا الْحُورَ الْحِسَانَ  
قَلْتُ يَا مَحْبُوبٌ وَاصْبِلْ      وَانْعَطَفْ فَالْصَبْرُ بَانَ  
ذَابَ قَلْبِي مِنْ جَفَاءٍ      هَكَذَا قَدَّرُ فَكَانَ<sup>(3)</sup>

ولظاهرة الموشحات التي شارك في صياغتها شعراء آخرون كالشيخ عبد  
الرزاق البيطار<sup>(4)</sup>، وعبد المجيد الخاني<sup>(5)</sup>، ومصطفى خلقي، ورضا آل المرتضى

(1) كان عليماً بالموسيقى وأوزانها وذا صوت حسن.

(2) شاعر وفنان ذو صوت شجي، وعازف على آلة العود. قيل: على ما يذكر صاحب أعلام  
الأدب والفن، أنه كان من جملة الذين رافقوا أبا خليل القباني إلى مصر للعمل بمسرحه،  
إلا أن الوقائع لم تثبت صحة هذا القول.

(3) أدهم الجندي. "أعلام الأدب والفن" 1: 218. يضيف الجندي إن هذا الموشح من نغمة  
البوسليك.

(4) انظر "المصدر السابق" 1: 221 - 222.

(5) انظر "المصدر السابق" 2: 117.



(1868 - 1903)، والشيخ أحمد الزروق الجزائري (1875 - )، مدلولها الذي يجعلنا نعتقد أن حلقات الطرب والأنس كانت قطعة من حياة دمشق الاجتماعية، ولكن في نطاق محدود. وذلك أمر طبيعي تفسره الأسماء المرتبطة بالظاهرة، وكون معظم أصحابها من ذوي المعرفة بالموسيقا والصوت الرخيم.

وطبيعي أيضاً أن تتباين وجهات النظر بين شعراء هذا الباب بحسب نظرهم للمرأة. فمنهم من وجد فيها رمزاً للعشق العذري كعبد السلام الشطي<sup>(1)</sup>، ومنهم من صورها قدراً لا مفر منه، كمحمد سليم قصاب حسن<sup>(2)</sup>، ومنهم من التمس فيها المتعة، في بعض شعره، كمصطفى خلقي:

شَرِينَا مِنْ لَمَى السَّاقِي رِضَابَا      سَكِرْنَا بَيْن رَاحِ ثُمَّ آسِ  
أَخَذْتُ أَدْعَغُ النَّهْدَيْنِ مِنْهَا      وَبِنْتُ الحَانِ قَدْ لَعِبْتُ بِرَاسِي  
وَجَدْنَا البَطْنَ بَحْرًا مِنْ لُجَيْنِ      رَكِبْنَاهُ وَأَلْقِينَا المَرَاسِي<sup>(3)</sup>

وبين هذا وذاك، نرى شاعراً استبد به الحب حتى يشس من الحياة بعيداً عن معذبتة، هو رفيق العظم، حيث يقول:

كَفَى بِالهُوى دَمْعاً يَسِيلُ وَمُهْجَةً      تَذُوبُ وَأَحْشَاءُ يُمَزِقُهَا الهَجْرُ  
مَعذِبَتِي جُودِي عَلِيٌّ يَنْظُرُهُ      يَضُمُّ عِظَامِي بَعْدَهَا اللُّحْدُ وَالقَبْرُ<sup>(4)</sup>

وهو في قوله هذا، بل وفي جميع ما نظمه من شعر الغزل والنسيب، كان صورة شفاقة لشاعر الحب المهزوم، الذي يحمل جراحه بين جنبيه ويهيم ضارباً في الآفاق.

(1) انظر محمد جميل الشطي "أعيان دمشق": 170.

(2) انظر أدهم الجندي. "أعلام الأدب والفن" 2: 115.

(3) أدهم الجندي "أعلام الأدب والفن" 1: 222. وللشاعر قصائد في أغراض متنوعة أخرى كالمناجاة والوصف والشعر القومي تجدها في ما عثر عليه لدى أصدقائه، وقد اطلعنا عليه لدى ولده علي خلقي.

(4) عبد الرزاق البيطار. "حلية البشر" 2: 630 - 634.

على أن المرأة، وإن لم تكن وحدها التي شغلت أدياء دمشق، إلا أنها كانت، بلا شك، الأكثر إثارة لهم بين كائنات الطبيعة وظواهرها، فأدى ذلك إلى ندرة شعر العصر من موضوعات أخرى، لها قيمتها في تقييم الحركة الأدبية، كالوصف والمناجاة والعتاب والحنين إلى الديار. فقد كان حجم التناج في هذا الباب قليلاً، إذا قورن بباقي ما كتب فيه. إلا أنه يشكل، مع ذلك، علامة واضحة في مجال الأدب الوجداني، تارة من خلال اللقطة، وأخرى من خلال الحركة، وحيناً من خلال الشفافية. فقول خليل الرومي في وصفه لأعور على لسانه:

لا تُتَكَبِّرُوا يَا سَادَتِي      عَوْرِي ففِيهِ فَائِدُهُ  
سَلِمْتُ لِي الْآخَرَى لِأَذْ      ظَرْكُمُ بَعِينٌ وَاحِدٌ<sup>(1)</sup>

يدفعنا إلى ملاحظة قدرة الشاعر على الرصد، كما نلاحظ فيه، المعنى الإنساني والجميل لشكل يجسد القبح بطريقة تلقائية. وعندما أمَّ حسن الأسطواني ( 1821 - ) مدينة حلب سنة 1790، بالغ أحد أعيانها، حسن الكواكبي، بإكرامه، فقال يصف طريقة إقباله عليه:

كَالْبَدْرِ أَقْبَلَ بِالْهَالَاتِ يَحْتَجِبُ      غُصْنٌ إِذَا مَا رَأَنِي هَزَّهُ الطَّرْبُ  
فَقُمْتُ أَلْثَمُ أَقْدَاماً أُرِيدُ بِهِ      رَدُّ السَّلَامِ وَهَذَا بَعْضُ مَا يَجِبُ<sup>(2)</sup>

بغض النظر عن المبالغة في طريقة الرد علي ترحيب المضيف بالشاعر، إلى درجة لثم قدميه، فإن الحركة بجد ذاتها غدت جزءاً من الكلمات والوزن والقافية، حتى لينسبك الموقف بأبعاده الاجتماعية الأخرى. بينما يرق شعر علي الشمعة في تصويره لشقائق النعمان بقوله:

سَأَلْتُ شَقَائِقَ النُّعْمَانِ لَمَّا      بَدَتْ فِي الرُّوضِ وَالسَّلْسَلِ رَائِقُ

(1) محمد جميل الشطي. "روض البشر": 96.

(2) "المصدر السابق": 70.

أَمِنْ وَجَنَاتٍ مَحْبُوبِي أَكْتَسَبْتُمْ      أَجَابَتْ لَا وَلَكِنَّا شَقَائِقُ<sup>(1)</sup>

بعد هؤلاء - وإذا ما استثنينا شاعر دمشق المغترب أديب إسحق (1856 - 1885) الذي كتب يصف الراقصة<sup>(2)</sup>، وبشاعة الحرب<sup>(3)</sup>، والبلبل<sup>(4)</sup> - يلوي شعر الوصف جناحيه، إلى حين كتب الشيخ عبد الرحمن القصار (1868 - 1929) يصف السيف قائلاً:

السيف يفعلُ ما لا يفعلُ القلمُ      فهو الذي في الوغى دانتُ له الأممُ  
إن اليراعَ رسولٌ للحُسامِ فإن      لم يُجدِ نفعاً فحدُّ الصارمِ الحَكَمُ<sup>(5)</sup>

ويبقى الشعر أداة موضوع الوصف، حتى فيما كتبه بعض أوائل أدباء هذا القرن، إلى أن احتضنته ماري عجمي (1888 - 1965)<sup>(6)</sup>، بما عرف عنها من

(1) "المصدر السابق": 182.

(2) أديب إسحق. "الدرر": 59، 64، 65، 93، 94.

(3) أديب إسحق "الدرر": 59، 64، 65، 93، 94.

(4) أديب إسحق "الدرر": 59، 64، 65، 93، 94.

(5) أدهم الجندي. "أعلام الأدب والفن" 1: 233 - 234.

(6) تعلمت في المدرستين الروسية والإيرلندية. ودرست فن التعريض في الكلية الأمريكية ببيروت سنة 1905، وفي سنة 1906 عينت معلمة أولى في المدرسة الروسية في دمشق. قضت سنتين في مراسلة كبريات الصحف كالمقتبس الدمشقية، والمهذب الزحلي، والإخاء الحموي عينت في سنة 1909 ناظرة، لمدرسة الاقباط في الإسكندرية. أنشأت مجلة العروس في دمشق سنة 1910 حتى سنة 1914، ثم عادت فاستأنفت إصدارها في سنة 1918، حتى سنة 1925، أسست ماري عجمي النادي الأدبي النسائي في دمشق سنة 1920 وكانت في عداد أعضاء الرابطة الأدبية حين أنشئت بدمشق سنة 1921. تولت تدريس اللغة العربية والأدب العربي في مدرسة الفرنسيين بدمشق أربع سنوات. وفي سنة 1940 سافرت إلى بغداد حيث عينت أستاذة للأدب العربي. وكانت تتقن العزف على بعض الآلات الموسيقية وتتمتع بموهبة صوتية رخيمة. وتعتبر ماري عجمي أول فتاة في دمشق رفعت راية الأدب وأصدرت مجلة. وكانت تذييل قصائدها أحياناً باسم مستعار: ليلي. أتقنت الإنكليزية كما ←

إحساس امرأة برهفة الحس ، فكان نثرها في هذا المجال بليغاً كشعرها. قالت ماري عجمي تصف الضياء : "ما أجمل ضياءك أيتها الشمس. اخرج يا من يخيم الحزن على قلبه. انظر ما فرش الضياء على سفوح الهضاب وأحضان الربى من بسط خضراء ، وما أخرج من قلب الجماد من أزهار مفترية ورياض غناء.." (1). وكأنا بها ، تضع بذلك اللبنة الأولى لاستخدام الكلمة المرسله في موقعها من مهمة التعبير عن موضوعات فيها من التأمل قدر ما فيها من جانب الرصد الخارجي لمعالم الطبيعة وانعكاساتها في نفس الأديب والفنان.

وحول موضوع التأمل ، نلاحظ أن شعراء دمشق ، لجأوا خلال القرن التاسع عشر ، إلى التلميح والرمز كلما أرادوا تعرية الواقع الذي يعيشونه. ومع افتقارنا إلى أي دليل يجعلنا نقرر ما إذا كان المقصود من هذا الشعر مسؤولاً ، أو قطاعاً من المجتمع ، أو رجلاً من الناس ، ففي ثناياه ما يشير إلى أن هدف الشاعر كان تحطيم رمز لغرور ، أو شر ، أو جشع.

وهكذا نقرأ لمصطفى اللوجي ( - 1802 ) قوله :

لا تغتررب بسحابة وبروقها      ما كل بارقة تجود بمائها  
 الفجر أوله كذوب فلا تثق      إلا بشمس قد علت بضياها  
 هلاً لطاووس نظرت وريشه      كزمرد مترصع برادتها  
 إن جردت عن ذاك أصبح شكلها      بزرابة مطروحة بفلائها (2)

ولنا بعد ذلك ، أن نتصور مع الشاعر ، سلطاناً ، أو والياً ، أو إقطاعياً ، أو مرايياً ، أو جابياً للضرائب ، يتباهى كل على حسب طريقته بمقامه أو بقوته

أقننت العربية وفازت بجائزتين من الإذاعة البريطانية في المباراة الشعرية لستني 1946 و 1947.

(1) د. عمر الدقاق "فنون الأدب المعاصر في سورية" : 87.

(2) محمد تقي الدين الحصني. "المنتخبات" 2 : 683.

ونفوذ، حتى يتجلى لنا ألم الشاعر واستهزاؤه وقدرته على تعرية من هم حوله ممن أعطوا أنفسهم أبعاداً لا يستحقونها، أو خلعت عليهم مقامات ومراتب هم أدنى منها بكثير.

وفي شعر محمد أبي الشامات نلمس تحذيره لمن اغتر من هؤلاء الناس، بما عنده من مال وفقد في سبيل جمعه إيمانه بربه<sup>(1)</sup>. كما نقرأ لأديب إسحق تهكمه على القوة الغاشمة<sup>(2)</sup>، ولصلاح الدين القاسمي لومه للذين يعتقدون أنهم ملكوا الدهر وغاب عنهم أن البشر من الظلام وإلى الظلام<sup>(3)</sup>، ولمراد الشطي (1872 - 1896)<sup>(4)</sup> قوله فيما نرده اليوم بقولنا من يزرع الشر يحصده:

واعْتَبِرْ فِي حَالِ أَهْلِ الزَّمَنِ      وَاتَّبِعْ مِنْ غَمَرَاتِ الْوَسَنِ  
وَتَبَيَّنْ أَنْ زَرْعَ الْأَحْسَنِ      مُوجِبٌ حَقاً لِحَصْدِ الْمُحَنِ<sup>(5)</sup>

فقد عبر هؤلاء، في تأملاتهم، عن هموم فردية بالتأكيد، إلا أنها هموم تعبر عن معاناة حقيقية بلا ريب، فقد كانوا مرآة عصرهم، وإن كان البون شاسعاً بين الواحد والآخر منهم، أو كان عطاؤهم قليلاً، شأنه في ذلك شأن شعر الوصف. وتعليلنا لذلك، ما رأيناه من انسلاخ أدباء دمشق، عموماً، عن القضايا الكبرى، وسقوطهم في دوامة إرضاء نزعات الحكام والأعيان وأصحاب المناصب، مدحاً لهم أو رثاء لذوي الأرحام منهم.

(1) انظر "المصدر السابق" 2: 799.

(2) انظر أديب إسحق. "الدرر" 100.

(3) انظر محب الدين الخطيب. "صلاح الدين القاسمي": 297 - 298.

(4) تخرج من المدرسة الجقمقية بدمشق. وتعلم الخط على اختلاف أنواعه، كما تعلم فن الهندسة وبرع فيها. وحضر دروس والده وعمه في الفقه والفرائض والحساب، وقرأ المنطق والمعاني والبيان على الشيخ عمر العطار. وكان عارفاً باللغتين الفارسية والتركية. مات مسلولاً.

(5) عبد الرزاق البيطار. "حلية البشر" 3: 1516 - 1517.

#### 4 - الأدب التسجيلي.

أدخلنا في هذا الباب ما تعارف الدارسون على تسميته بأدب التراجم ، والسير ، والرحلات ، والرسائل. وهي من فنون الأدب الموروثة منذ القديم ، وقد حفلت الحركة الأدبية بدمشق بمثلها في القرن الماضي ، كما هي الحال عليه في زماننا. وتأتي قيمة المؤلفات الصادرة في هذا المجال ، من حيث قربها أو بعدها ، عن الصدق في التاريخ لواقعة ما ، سياسية كانت أم اقتصادية أم اجتماعية. كما تحدد قيمتها مكانة المؤلف وعمق تحليله للأحداث والأعلام الذين يترجم لهم. ومن المؤلفات التي وضعها أباء دمشق الأوائل في باب التاريخ لوقائع العصر ، يأتي كتاب عبد الحليم اللوجي المسمى "تاريخ"<sup>(1)</sup> وفيه ذكر للحوادث المشهورة في زمان المؤلف ، وكتاب "حادثة دمشق"<sup>(2)</sup> لسنة 1844 ، مؤلفه أبو السعود الحسيبي ( - بعد 1897)<sup>(3)</sup> وكتابا حقي العظم (1864 - 1955)<sup>(4)</sup> هما "دفاع بالفنا"<sup>(5)</sup> ، و"تاريخ حرب الدولة العلية واليونان". ولعل أبرز وجه نطالعه بين أباء دمشق ، ويأتي في مقدمة من أرخوا لأحداث القرن التاسع عشر والسنوات العشر الأولى من القرن الحالي ، هو الشيخ

(1) مخطوط ورد ذكره في "المنتخبات" 2 : 676 ، و"روض البشر" : 139 ، والمؤرخون الدمشقيون في العهد العثماني" : 34.

(2) مخطوط ورد ذكره في "حلية البشر" 1 : 100. وفي بعض المصادر أن الإرنأؤوط ثاروا في وجه السلطة في العام المذكور احتجاجاً على سوق أبنائهم إلى الخدمة العسكرية. إلا أن عدم اطلاعنا على المخطوط رغم سعينا لذلك ، يجعلنا نكتفي بالإشارة إلى الحادثة دون التأكيد بان المخطوط يدور حولها بالذات.

(3) نقيب دمشق بعد سنة 1897. كان له ولع بجمع نوادر الكتب النفيسة.

(4) تخرج من المدارس العثمانية ومدرسة الآباء اللعازارين بدمشق. انضم وابن عمه رفيق العظم إلى جمعية الاتحاد والترقي ، وأسس معه وبعض أنصارها من العرب والعثمانيين جمعية "الشورى العثمانية". أصدر جريدة أسبوعية بهذا الاسم باللغتين التركية والعربية. حارب الاتحاديين بعد سنة 1911 ، وأسس مع ابن عمه رفيق في أوائل سنة 1912 "جمعية اللامركزية" ، ومن الجمعيات التي شارك في تأسيسها أثناء الحرب "الجمعية السورية اللبنانية" في سنة 1915. وكان يجيد اللغتين التركية والفرنسية. وقد أصدر مجلة فنية علمية نصف شهرية باللغة التركية اسمها "مرآت". مات بالسكتة القلبية وهو من رؤساء وزراء سورية السابقين.

(5) في حرب الروس مع الدولة العثمانية سنة 1878.

عبد الرزاق البيطار، صاحب كتاب "حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر". فقد اشتمل الكتاب - فضلاً عن تراجم عشرات الأعلام الذين احتواهم - على أبرز أحداث الفترة، مما يغلب عليه صفة المصدر الذي لا غنى لدارس عنه، لرسم صورة الأوضاع السياسية والاجتماعية والفكرية في أرجاء السلطنة العثمانية. ويشارك كتاب البيطار في الأهمية كتابان آخران هما "منتخبات التواريخ لدمشق" لمحمد أديب آل تقي الدين الحصني (1874 - 1940)<sup>(1)</sup> و"روض البشر في أعيان دمشق في القرن الثالث عشر 1201 - 1300هـ" لمؤلفه محمد جميل الشطي. وبغض النظر عن التباين في طريقة تصنيف محتويات الأخيرين على معلومات تتعلق بدمشق وحدها ومن وجد فيها من أعلام العصر، فإنها تعتبر السجل الرئيسي الذي تحويه المكتبة العربية ويعتز بها لدراسة خصائص القرن الفائت.

إلى جانب هذه الكتب، كتاب "الروضة الغناء في دمشق الفيحاء" لنعمان القساطلي (1856 - 1920)<sup>(2)</sup> الذي يعد بحق أول كتاب في تاريخ دمشق "بالمفهوم

---

(1) أصل أسلافه من الحصن. لما بلغ السابعة من العمر أخذ يتلقى القرآن والكتابة ومبادئ تاريخ الإسلام والإنشاء والحساب في مدرسة الياغوشية الأميرية. كما درس في مدرسة الريحانية ومدرسة الشيخ أحمد دهمان ومدرسة الشيخ محمد الخطابي، ثم درس مبادئ اللغة التركية وقواعدها في المدرسة الجقمقية وشيئاً من اللغة الفارسية. في سنة 1892 بعد وفاة والده عهدت إليه وظيفة أمانة الخنفي في الجامع الأموي. وفي سنة 1908 توجه إلى الأستانة فولاه السلطان عبد الحميد نقابة الأشراف في البلاد الشامية، ثم وجهت إليه رتبة الحرميين الشريفين على عهد السلطان محمد رشاد الخامس حتى انتقلت عنه بعد الاحتلال الفرنسي.

(2) ينتمي إلى أسرة دمشقية مثقفة. واجه قسوة الحياة منذ نعومة أظفاره وكاد يروح ضحية الفتنة الطائفية في سنة 1860 ولكنه اختبأ في أحد الأفران وأنقذ بذلك نفسه. هجر دمشق مع أفراد أسرته، ثم عاد إليها بعد هدوء الأحوال. تقلب في الوظائف والعمل الحر ما بين سيناء وطرطوس وخبر حياة الحضر والبدو على حد سواء. كتب في مجلتي "الجنان" و"لسان الحال" قبل الحرب العالمية الأولى، ثم انقطع عن الكتابة بعد سنة 1883، ربما لانشغاله بحياته الوظيفية وبمطالب العيش. وحتى ذلك الحين قضى معظم عمره متصلاً بالبيئات المثقفة في دمشق وبيروت. كما أنه اتصل باللجان العلمية البريطانية، واشتهر في أوساط التنويرين بكتاباته التاريخية.

الحديث للتاريخ"<sup>(1)</sup>. إلا أن صغر حجمه ، وتكثيف المعلومات الواردة فيه ، كما هي الحال في كتاب "أعيان القرن الثالث عشر" لخليل مردم بك ، يجعلهما أشبه بذييلين لما سبقهما من الكتب ، لكنه لا يفقدهما موقعهما في حركة التاريخ الأدبي بدمشق .

وإذا كانت الوقائع التاريخية تحتمل بعض التأويل في نظر المؤلف ، أي مؤلف ، فإن تراجم الأعلام ، والتراجم الشخصية ، تحتمل الكثير منه . ذلك بسبب العوامل التي تتداخل في عملية التأليف . فالحدث السياسي ، وإن اختلفت وجهات النظر في تفسير أسبابه ، تبقى نتائجه ملكاً للتاريخ والحضارة والأمم ، بينما الأشخاص ينظر إليهم من زوايا متعددة . هذه الزوايا تتشكل بفعل العلاقة الشخصية ، أو بتأثير الرأي العام ، أو لتحقيق مآرب . من ذلك مثلاً ، الآراء المتناقضة حول تقييم الشخصيات السياسية والدينية والعلمية ، كالسلاطين والولاة والمشايخ والقضاة . وقد أشار الشيخ جمال الدين القاسمي في مذكراته سنة 1907 ، إلى حالة التراجم الموجودة في التواريخ ، فوصفها بأنها "حالة مؤلمة وطريقتها منحطة جداً"<sup>(2)</sup> ، واتخذ دليلاً على رأيه مشرب السلف في التاريخ ، حيث تنجلي حياة المترجم له ، معرفة من شوائب الكذب والخلط والشطط .

ونحن ، إذا شئنا أن نوافق الشيخ القاسمي في تقييمه لما أتى به الخلف ، أمثال البيطار والحصني والشطي والقساطلي ، في هذا الموضوع ، لترتب علينا أن نجانب الحق والموضوعية . فالشيخ القاسمي لم يأت بمثل واحد يقرب به قناعته ، كما أن اختلاف طرق التصنيف ، مسألة لا يمكن اتخاذها منطلقاً لإصدار أحكام نقدية قاطعة . شأنها في ذلك شأن الأسلوب .

فهناك مؤثرات لا بد من أخذها بعين الاعتبار منها تطور اللغة ، ورأي الجماعة ، وشيوع أسلوب معين . وما دمنا لا نقيم مقارنة بين الآثار التي تركها لنا السلف ، وتلك التي أشرنا إليها منذ حين ، ففي اعتقادنا أن قيمة المؤلفات التي بين أيدينا ، تأتي من حيث كونها مصدراً أساسياً لفهم خصائص العصر الذي ظهرت

(1) صلاح الدين المنجد "المؤرخون الدمشقيون في العهد العثماني" : 99 .

(2) ظافر القاسمي . "جمال الدين القاسمي" : 287 - 288 .



فيه ، ولا يجوز إخضاعها لموازين نقدية لاحقة ، ما دامت هي نفسها لا تنطرق إلى موضوع النقد ذاته.

ومن كتب التراجم التي اقتصت بحياة الأعلام ، وتناولت خصائص فكرهم السياسي أو الديني ، أكثر مما تناولت الأحداث التي عايشوها على ما ورد في "الحلية" و"المنتخبات" و"روض البشر".

- "المواهب الإحسانية في تراجم العمرية" أو "المواهب الإحسانية في ترجمة الفاروق وذريته" ، لحسين العمري (1748 - 1801)<sup>(1)</sup> وفيه تراجم أسلافه العلويين.

- "بلوغ المنى في تراجم أهل الغنا" ، لمحمد الكنجي.

- "ثبت" لمحمد أبي النصر الخطيب (1837 - 1906)<sup>(2)</sup> ، في شيوخه ومروياته.

- "تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر" ، لمحمد عبد القادر الجزائري (1840 - 1913)<sup>(3)</sup> . وفيه ترجمة والده الأمير عبد القادر الجزائري.

- "الفنائم والعزائم" لسليم إلياس كساب (1841 - 1907)<sup>(4)</sup> . وفيه تراجم لأشهر المكتشفين<sup>(5)</sup>.

- "الثغر الباسم" ، لمحمد سعيد القاسمي. وفيه ترجمة والده قاسم القاسمي (1806 - 1867).

(1) هو إمام ومؤرخ.

(2) أخذ الطريقة الشاذلية على الشيخ علي البشرطي بعكا. كان من فصحاء خطباء المساجد ، ومن مدرسي الجامع الأموي في كبره. سافر إلى الحجاز ومصر ، كما سافر مرارا إلى الأستانة. دخل في سلك النيايات إلى عام 1898.

(3) مؤرخ. عكف على سيرة أبيه الأمير عبد القادر ، فجمع ما تفرق منها.

(4) أخذ علومه من الخوري يوسف الحداد. انتدبه الإنكليز والأمريكان بعدئذ ، للتعليم في مدارسهم.

(5) ذكر يوسف سركيس في كتابه "معجم المطبوعات" 3 : 1560 أنه كتاب معرب. ولم يشر إلى اللغة التي نقل منها. ولم نصل إلى الكتاب حتى نتبين لغته الأصلية وإن كنا نرجح أنه نقل عن اللغة الإنكليزية. كما يتضح من ترجمة المعرب في الحاشية السابقة.

- "الحدائق الوردية في حقائق إجلاء النقشبندية"، لعبد المجيد الخاني. وفيه ترجم عدد كبير من رجال العلم والتقى، من عرب وأجانب.
- "شرف الأسباط" و"تعطير المشام في مآثر دمشق الشام"، لجمال الدين القاسمي. ففي الأول منها نسب المؤلف مع ترجمة لمشاهير رجاله، وفي ثانيهما تراجم من دخلوا الشام قبل الإسلام وبعده.
- "أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة" و"تنبيه الإفهام إلى مطالب الحياة الاجتماعية في الإسلام"، لرفيق العظم، وقد خص المؤلف كتابه الأخير لسيرة أبي بكر عمر بن الخطاب.
- "عقود الجواهر في تراجم من لهم خمسون مصنفاً فمائة فأكثر" و"ترجمة عثمان باشا الغازي" لجميل العظم.
- "تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر"، لمحمد سعيد الباني (1876 - 1933)<sup>(1)</sup>. وفيه ترجمة للأمير عبد القادر الجزائري فضلاً عما أورده المؤلف حول حياة الشيخ محمد طاهر الجزائري.
- "مختصر طبقات الخنابلة" و"الضياء الموفور" لمحمد جميل الشطي. والثاني منهما رسالة مخطوطة في تراجم بني فرفور. هذا إلى جانب كتابه المار ذكره سابقاً "روض البشر".
- "الروضة البهية في فضائل دمشق المحمية"، لمحمد عز الدين عربي كاتبه (- 1912)<sup>(2)</sup>. وفيه تراجم لأعيان دمشق.
- "عقود الأسانيد" لأمين السفرجلاني (- 1916)<sup>(3)</sup>. وفيه تراجم الشيوخ الذين أخذ المؤلف عنهم علومه.

(1) أخذ العلوم الدينية والأدبية والاجتماعية على أعلام عصره. وحرر في أمهات المجلات والصحف في زمنه. فناه جمال باشا إلى مدينة بيره جك ثم إلى بروسة. بعد عودته من المنفى التحق بالثورة العربية الكبرى في سنة 1916. تولى منصب رئيس ديوان العلماء وعمل أستاذاً في كلية الآداب بالجامعة السورية.

(2) من علماء دمشق.

(3) من فقهاء الحنفية. تولى الإمامة والتدريس في جامع السنجدار.

وقد كان من خصائص هذه الكتب ، أن حملت إلينا ، بجانب ما فيها من معلومات سياسية واقتصادية واجتماعية ودينية ، بعض الوقائع الهامشية التي عايشها أصحابها على أغلب تقدير. وكمثال على ذلك ، التاريخ لإقامة محراب في جامع ، وإنشاء سبيل ماء ، وإعادة بناء مسجد بعد تعرضه لحريق ، وصدور كتاب جديد لأحد الأدباء المحليين. حتى حالة الإصابة بالإسهال لم تستثن ، كما في الحادثة التي تروى عن الشيخ عبد الرحمن القصار. فقد دعي الشيخ سنة 1882 إلى وليمة ، فمزح معه أحد الظرفاء مازجاً الزنجبار بالحليب ، فأصيب بالإسهال والقيء. فقال مؤرخاً لهذه الدعوة المشؤومة ، بعد وصف لآلام المغص في بطنه :

أما البلاء فكان من كشك الفقيه      سر قلبيته أضحى غنياً مؤثراً  
تَبَّأَ لها من ليلة مشؤومة      أرخ بها شاهدت ربحاً أصفراً<sup>(1)</sup>

بيد أن هذه الكتب جميعاً ، اتصفت بما نسميه ، في يومنا هذا ، بطابع الإعداد. وقد جعلها ذلك تأتي خالية من التعليل أو التحليل. فقد اتبع مؤلفو هذه الكتب - إلى جانب ما ذكرناه من التحيز أو عدمه تجاه شخص أو واقعة - طريقة الجمع ، فالتبويب ، ومن ثم عرض المعلومات. وفي يقيننا أن السبب في هذا ، راجع إلى تقيدهم بما جاء في كتب السلف ، فيما يتعلق بالوقائع التي لم يعايشوها بأنفسهم ، أو أنهم اكتفوا بنقل ما سمعوه ممن عايشها ، دون تمحيص لما قرأوه أو سمعوه. وفي حالات أخرى ، محاباة لرجال في مراكز السلطة أو النفوذ بين طوائف الناس.

وإلى جانب منهجية التأليف هذه ، وارتباطها بمصادر مباشرة حيناً كالمشاهدة والمعاشرة ، وغير مباشرة حيناً آخر ، كالتقل عن طريق المطالعة أو الاستماع ، نشير إلى أنها لم تعد بطريقة موحدة. بعض المؤلفين اعتمد أسلوب التسلسل الزمني للوقوعات ، وجاء بعضها وفق الطريقة الهجائية ، بينما أعد بعضها طبقاً لعهد بعينه يبدأ بوصول أحد السلاطين إلى العرش ، أو الولاة إلى مركز الولاية.

(1) أدهم الجندي. "أعلام الأدب والفن" 1 : 234.

كما نشير إلى أن معظم مضامين هذه الكتب مكرر، كما في كتب التراجم، مع إضافة أو حذف هنا وهناك، وغير موثقة، كما في الكتب المختصة بالتاريخ للأحداث السياسية ووقائع الحروب التي خاضتها الدولة.

إلا أننا، ونحن نسوق هذا الكلام، لا نرمي مطلقاً إلى التقليل من أهمية هذه الكتب. فهي مجتمعة، تشكل كما ذكرنا من قبل، مصدراً أساسياً من مصادر النفاذ إلى أجواء القرن الماضي، سياسياً واجتماعياً بشكل عام، فكرياً وثقافياً بشكل خاص. ذلك، بغض النظر عن طرق تصنيفها أو إعدادها، والأسلوب الذي صيغت به معلوماتها وهو أسلوب إنشائي على الأغلب، يعتمد على الحشو والترديد والمبالغات.

وإن ما يفتقر إليه حقاً هذا الباب، هو الترجمة الذاتية. إذ قلما نعثر على تراجم لواحد أو أكثر من عظماء الفكر المعاصرين، ممن أوتوا الشهرة والمقدرة على التأثير فيمن يعاشونهم لزمان طال أم قصر. في هذا الصدد كتب سليم عنحوري (1856 - 1933)<sup>(1)</sup>. ترجمة لبعض جوانب شخصية الشيخ جمال الدين الأفغاني

---

<sup>(1)</sup> درس بدمشق والأستانة. زار مصر عدة مرات وعمل فيها، كما تقلب في الوظائف الحكومية بين عكا وهوران واللاذقية. تعرف إلى جمال الدين الأفغاني واتصل بالحدادي إسماعيل. أنشأ في مصر مطبعة الاتحاد ومجلة "مرآة الشرق" في سنة 1879، ولم يلبث أن أقفلها وعاد إلى دمشق ليحترف المحاماة حوالي سنة 1890. وفي رحلته الثانية إلى مصر (1906) أصدر مجلة "الشتاء"، تحتجب في الصيف وتظهر في الشتاء. نفي إلى الأناضول خلال الحرب العالمية الأولى وظل هناك حتى نهايتها فنظم في منفاه ثلاثة من دواوينه الشعرية. وفي دمشق، أصدر مع ابن عمه حنا عنحوري مجلة "مرآة الأخلاق"، فحجزت الحكومة على عددها الأول لصدورها دون إذن حكومي واتهم بالعدوان على الدين في بعض ما نشره بقسم الروايات. وقد برأته المحكمة، إلا أن المجلة خنقت في مهبها. نال بعد ذلك امتيازاً بتأسيس مطبعة باسم "الاتحاد" ومجلة باسم "مرآة الأخلاق"، وذلك من الوالي ناشد باشا والي سورية، إلا أن التضييق والمراقبة الشديدة أبقيا المشروع مطوياً. عمل بعد ذلك في تحرير بعض الصحف كدمشق والشام والمشكاة. ساهم في المسرح فكتب رواية أشيل التي مثلت لأول مرة في دمشق سنة 1898. وقد تعرض معظم نتاجه للتلف إبان نفيه إلى الأناضول، إذ أحرقها أهله حرصاً على حياته.

(1839 - 1897) المتعلقة بنظام حياته اليومية، وحلقات دروسه، واتساع أفق تفكيره وبإلحاح كرمه<sup>(1)</sup>. ولكننا قلما نعثر على تراجم شخصية قام أصحابها بالتعريف بأنفسهم. وما ورد من ذلك، فقد ذكر في ذيل بعض المؤلفات التي قاموا بوضعها. من هؤلاء محمد أديب تقي الدين الحصني الذي ترجم لنفسه في "المنتخبات"<sup>(2)</sup>، ومحمد جميل الشطي في كتابه "روض البشر"<sup>(3)</sup> إلى جانب بعض من ذكر نسبه، أو عدد شيوخه الذين أخذ عنهم كعبد المجيد الخاني (1847 - 1900)<sup>(4)</sup>. وأمير السفرجلاني<sup>(5)</sup> ومحمد كرد علي في آخر الخطط.

وفضل هذه النتف أنها رصدت أسماء الأعلام في زمانهم وخصائصهم والمعارف التي كانوا ينشرونها في حلقات دروسهم كالفقه، والحديث، وأصول الفرائض، وعلوم اللغة، والمنطق، والآداب العربية وما إلى ذلك مما كان شائعاً تداوله بين الدارسين، في مدارس العصر الخاصة والرسمية. هذا فضلاً عما أسهمت به هذه النتف في إظهار جانب من ملامح العلاقات التي تشد أسراً بعينها بعضها إلى بعض، أو تبين مكانه إحداهما بين باقي العائلات الدمشقية اجتماعياً ودينياً.

وتكاد تكون كتب الرحلات، في سياق الأدب التسجيلي، معدومة، إذا قورنت كماً، بنتاج هذا الباب. ولعلنا لا نخطئ إذا عزونا سبب ذلك إلى الظروف التي عاشتها دمشق خلال القرن التاسع عشر، في إطار الأحداث العامة سياسياً واقتصادياً. وأول رحلة نطالع أخبارها، هي رحلة الشيخ حسن البيطار (1791 - 1855) إلى الديار الحجازية. ففي ترجمة الشيخ عبد الغني الميداني نقرأ تهنته بعودة البيطار من تلك الديار:

(1) انظر محمد تقي الدين الحصني. "المنتخبات" 2 : 811 - 818. كذلك فقد ترجم له أديب إسحق فوصف هيته وذكاه ومزاجه وحبه للعلم. انظر "الدرر" 2 : 117 - 120.

(2) انظر، ص : 1314 - 1319.

(3) انظر ص : 267 - 269.

(4) محمد تقي الدين الحصني. "المنتخبات" 2 : 732.

(5) "المصدر السابق" 2 : 711.

ومضت بروقُ الحَيِّ في الظلِّماءِ      سَحراً فهاجت لاعج الأحشاءِ

ونصّت سيوفَ الهندِ في إبريقها      فهمت عيونُ مدامعي بدماء<sup>(1)</sup>

ونفهم من ترجمة الطبيب الدمشقي حسين عودة (1836 - 1914)<sup>(2)</sup> التي أوردتها الزركلي في قاموسه ، أن له رحلة إلى مصر دونها في رسالة أسماها "نبذة من الرحلة العودية إلى الديار المصرية"<sup>(3)</sup> ، وفيها أخبار دراسته في مصر (1868 - 1874) حيث تخرج طبيباً. وفي كتابه "نفحة البشام في رحلة البيطار" يذكر عبد الجواد القاياتي عن رحلات قام بها الشيخ عبد الرزاق البيطار قائلاً أنه اطلع لديه على "رحلة كبيرة تشتمل على عدة رحلات الرحلة القدسية ، والرحلة البعلية ، وغيرها"<sup>(4)</sup> كما نعثر على أخبار رحلات أخرى قام بها أدياء دمشق ، إلى أطراف المدينة ، وإلى خارجها منها :

- رحلة البطريرك مكاريوس. كتبها جرجي مرقس (1844 - 1911)<sup>(5)</sup> وأخرجها في كتاب<sup>(6)</sup>.

(1) عبد الرزاق البيطار. "حلية البشر" 2 : 867.

(2) تخرج من مدرسة الطب بمصر سنة 1874 بعد دراسة استغرقت سبع سنوات.

(3) خير الدين انركلي. "الأعلام" 2 : 284.

(4) محمد عبد الجواد القاياتي. "نفحة البشام في رحلة الشام" : 145.

(5) تعلم القراءة على الخوري نعمة الفرا ، وأخذ مبادئ اللغة اليونانية على ديمتري الأزميري ، كما درس مبادئ النحو والصرف على المعلم يوسف العربي. وأما الموسيقى الكنسية فقد لفته إياها المعلم يوسف الدوماني. وفي الأستانة أتم علومه وأتقن اللغة التركية. غادر البلاد إلى روسيا في سنة 1860 فدرس في بطرسبرج ، وعين أستاذاً في مدرسة لازاروف في موسكو. وبعدها انتقل إلى بطرسبرج لتعليم اللغة العربية وآدابها وخدم مدة ثلاثين سنة. وفي سنة 1901 أحيل على التقاعد وأصبح مستشاراً للدولة. انتظم المترجم في عدد من الجمعيات وأوقف مبلغاً من ثروته لإحدى جمعيات الرفق بالحيوان يمنح ريعه جائزة لمن يخلص حيواناً من قسوة الإنسان.

(6) أدهم الجندي. "أعلام الأدب والفن" 1 : 222 - 223 ولم يرد في المصدر ذكر لوجهة الرحلة أو أغراضها ، وإن كنا نرجح أنها استهدفت التعرف على أحوال الرعية داخل الولاية السورية.

- رحلات عبد القادر المؤيد العظم (1848 - 1919)<sup>(1)</sup>، إلى البلاد الأوروبية<sup>(2)</sup>.  
- رحلة محمود أبو الشامات، التي يشير إليها بقوله:

تقولُ ليَ الأحبابُ حينَ ودَّعِيهِمْ      متى أنتَ يا أستاذَ للشامِ راجعُ  
فقلتُ لَهُمْ وَاللهِ ما منَ مُسافرٍ      يروحُ ويَدري ما بهِ اللهُ صانعُ<sup>(3)</sup>

- رحلات جمال الدين القاسمي إلى بيت المقدس ومصر والمدينة المنورة وحمص وحماة<sup>(4)</sup>.

- "الرحلة الأنثورية إلى الأصفح الحجازية والشامية" وهي الرحلة التي قام بها أنور باشا وزير البحرية التركي إلى سورية والحجاز سنة 1916. وقد كتبها محمد كرد علي ووضع لها العنوان المذكور مذيلاً بالشرح التالي:  
رحلة أنور باشا وكيل القائد العام<sup>(5)</sup>، وناظر البحرية.

- رحلات صلاح الدين القاسمي إلى الأستانة وأثينا سنة 1909، وإلى الديار الحجازية سنة 1913<sup>(6)</sup>.

---

(1) برع في الزراعة وعرف بميله إلى الفلسفة وتأييد الأفكار المدافعة عن الحقيقة كقيمة فكرية وهذا ما جعل صاحب المنتخبات يصفه بأنه ديموقراطي المشرب.

(2) محمد تقي الدين الحصني. "المنتخبات" 2: 755.

(3) المصدر السابق 2: 797 - 799.

(4) ظافر القاسمي. "جمال الدين القاسمي": 103 - 180 وفيه عرض ودراسة لخصائص الأسلوب الذي استخدمه الشيخ القاسمي في تدوين مشاهداته وانطباعاته خلال رحلاته تلك.

(5) يقصد جمال باشا السفاح قائد الجيش الرابع في ولاية سورية.

(6) محب الدين الخطيب. "الدكتور صلاح الدين القاسمي، آثاره": 158 - 197، وفيه عرض لمشاهدات القاسمي وانطباعاته عن البلاد التي زارها.

- رحلات محمد الحكيم ( - 1916)<sup>(1)</sup> إلى عين الفيحة والزبداني من ضواحي دمشق<sup>(2)</sup>.

وتبين من استعراض أخبار هذه الرحلات ، أنه باستثناء عبد القادر العظم وصلاح الدين القاسمي ، لم ينطلق أحد من هؤلاء ، إلى أبعد من حدود الأقطار العربية الواقعة تحت النفوذ العثماني ، وما تبقى من الرحلات كان لأغراض محدودة ، كالحج ، والاتجار ، والدراسة ، وزيارة الأصحاب ، وتفقد شؤون الرعية . وإذا أخذنا بعين الاعتبار إلى جانب ذلك ، إن ما كتب من أدب الرحلات قد فقد أو لم يطبع ، أدركنا مدى اتساع الثغرة التي أحدثت نقصاً في هذا المجال من الأدب التسجيلي .

ومن الظواهر الماثلة التي نلمحها في نتاج هذا الباب ، كماً ونوعاً ، ما تعارف الدارسون على تسميته بأدب الأخوانيات ، ونعني أدب الرسائل المتبادلة بين الأدباء . ولا تخرج هذه الرسائل ، في اعتقادنا ، عن إطار الأدب التسجيلي ، لسبب رئيسي ، هو أن الرسالة جزء من فكر الكاتب ووجدانه ، في لحظات معينة من لحظات عمره ، وأوقات محددة من ظروف حياته .

وتكتسب رسائل الأدباء قيمتها بمقدار ما تعكسه من أحوال العصر الذي تنتمي إليه وقضاياه . وفي عصر كعصر السلاطين والولاة الذين عانت منهم دمشق ما عانت من ضروب كبت الفكر ، والتضييق على الحريات الصحفية ، ومضايقة الأنشطة الأخرى كالتمثيل والمنتديات الأدبية ، في عصر كهذا لا بد أن تكون لرسائل الأدباء أهميتها الخاصة . إلا أننا باستثناء الرسائل التي كتبها الشيخ طاهر الجزائري ، والشيخ جمال الدين القاسمي ، نجد أن رسائل باقي الأدباء تدور في حلقة مفرغة ، إذ يغلب عليها طابع المجاملة كبت الأشواق ، والتمن ، وإثارة الذكريات . من ذلك رسالتنا الشيخ عبد الرزاق البيطار إلى صديقه الشيخين محمد وأحمد عبد الجواد القاياتي ، وفيهما يمدح البيطار مكانة صديقه الاجتماعية والدينية بأسلوب أقل ما

(1) من رجال التربية والتعليم . أنشأ المدرسة الريحانية بدمشق .

(2) خير الدين الزركلي . "الأعلام" 7 : 195 .



يوصف به أنه يستعصي على الفهم<sup>(1)</sup> ورسالتان أخريان بعث بهما إلى صديقه الشيخ جمال الدين القاسمي ، وليس فيهما غير المجاملة<sup>(2)</sup> ومن ذلك أيضاً ، رسالة عبد السلام الشطي إلى صديق له في الأستانة يدعى عبد الله الحموي ( - 1911 ) ، مذكراً إياه بالمشمش الحموي والعنب الزيني<sup>(3)</sup> . ورسالة محمد جميل الشطي إلى أحد أساتذته ، بمناسبة إهدائه إياه كتاباً<sup>(4)</sup> ، ورسالته الثانية إلى صديق له يدعى نجم الدين الأتاسي في حمص ، شكره فيها على موافاته بتراجم بعض أعلام المدينة<sup>(5)</sup> . ورسالة سليم بهجت الحصني إلى صديق له من علماء دمشق يدعى عبد المجيد الخردة جي ، يشكره فيها على ترميم قبر أمه<sup>(6)</sup> .

ولم يشذ عن هذا الخط - إن صح التعبير - سوى اثنين من أدباء دمشق هما الشيخ طاهر الجزائري والشيخ جمال الدين القاسمي .

فقد بعث الجزائري برسائل عديدة إلى أصدقائه . وعني صديقه محمد كرد علي بنشرها في كتابه "كنوز الأجداد" .

وتطرق الجزائري في رسالته تلك إلى مواضيع شتى ، كالحرية ، والاقتباس ، والتربية والعادات ، والعلاقات مع الدول الأجنبية ، والخصومات الأدبية ، واستخدام التاريخ الهجري ، وغير ذلك من مسائل شغل بها أدباء عصره ، سراً أو علانية<sup>(7)</sup> . وكانت سقطة الجزائري في آخر رسائله التي كتبها إلى صديقه الإنكليزية ، المس بل ، أمينة سر حاكم العراق سنة 1918 . ففي هذه الرسالة أعلن الجزائري عن ميله إلى الإنكليز وإخلاصه لهم . وقال إن كثيرين من أهل البلاد

(1) انظر محمد عبد الجواد القاياتي . "نفحة البشام في رحلة الشام" : 192 و 194 - 195 .

(2) انظر طاهر القاسمي . "جمال الدين القاسمي" : 490 - 492 .

(3) انظر محمد تقي الدين الحصني "المنتخبات" 2 : 748 - 749 .

(4) انظر محمد جميل الشطي . "روض البشر" : 269 .

(5) انظر محمد جميل الشطي . "روض البشر" : 269 .

(6) انظر محمد تقي الدين الحصني . "المنتخبات" 2 : 727 - 729 .

(7) انظر محمد كرد علي . "كنوز الأجداد" : 32 - 33 - 43 - 46 .

العربية هم على فكره ، إلا أنهم يخشون إظهار أنفسهم خشية اتهامهم بخيانة أمتهم. واستناداً إلى ذلك أوصاهم بالتعرف إليهم والاعتماد عليهم لأن في ذلك خير العرب والإنكليز معاً<sup>(1)</sup>. ومهما يكن من أمر هذه الرسالة ، وسواها<sup>(2)</sup> فهي جزء من قضايا الفترة التي عاشها صاحبها تساعد على إجلاء بعض جوانبها ، سياسياً واجتماعياً وثقافياً.

ولا تقل رسائل الشيخ جمال الدين القاسمي أهمية عن رسائل قرينه في هذا المجال. فللشيخ القاسمي معارف وأصدقاء في جميع الأقطار العربية والإسلامية ، وفي بعض البلدان الأوروبية. وقد كتبوا إليه وكتب إليهم ، وتبدو في رسائله الصادرة عنه ، غيرته على نشر آثار السلف ، وحماسه في مواجهة المسائل الدينية ، ودعوته للعيش بنزاهة وتشجيعه على طلب العلم ، وشجبه المفاسد الاجتماعية ، وتحديه مظاهر الاضطهاد ، وغير ذلك من الأمور التي تضيء على رسائله صفة المرجع الذي لا غنى عنه لفهم مشاغل المجتمع الدمشقي خاصة ، والشامي عامة ، في السنوات الأولى من القرن العشرين<sup>(3)</sup>.

\*\*\*

نستخلص مما سبق بحثه في هذا الفصل ، أن الإطار العام الذي يتحكم بموضوعاته كان امتداداً لمؤثرات اتجاه بعينه ، ساد أجواء الفكر منذ أوائل القرن ، ونعني بها العوامل التي رافقت نمو الاتجاه السكوني ، ومكنته من ترسيخ جذوره لاعتبارات ، معظمها دينية. وهي وإن لم تكن كذلك في بعض جوانبها ، فقد كانت أسيرة القوالب الأدبية التي أورثها القرن الثامن عشر ، فاحتضنها أدباء دمشق من قبيل التقليد أو العجز عن تجاوزها.

(1) المصدر نفسه : 47 - 54.

(2) انظر ظافر القاسمي. "جمال الدين القاسمي" : 509 - 521.

(3) انظر ظافر القاسمي. "جمال الدين القاسمي" : 579 - 629 ، وقد كتبت هذه الرسائل جميعاً بين السنوات 1904 - 1909.

ولعل السبب راجع، أولاً وأخيراً، إلى فقدان وسائل النشر، والمرافق الثقافية الأخرى التي لا بد أن تتوافر حتى يخرج الفكر من بؤرة الظلام إلى الضوء. وقد تسبب تخلف دمشق في هذا المضمار، كما رأينا، في قيام هذا الركام من النتاج الأدبي الذي لم يعرف الإشراق إلا في بعض أطرافه، ونخص بالذكر باب الوجدانيات، والتاريخ، ورسائل الأدباء.

وقد أسهم دوران نتاج هذا الاتجاه حول الموضوعات التقليدية، في إقصاء الحركة الأدبية بدمشق عن استيعاب حاجات العصر، كما أسهم في ترسيخ المفاهيم الموروثة بين المثقفين، وجعلها خلفية لفكر متخلف، ينظر إلى الوراء قروناً عديدة. ولا نشك مطلقاً، بأن من أهم العوامل التي دعمت هذه الأنماط من نتاج الأدباء، أو روجت لها، انتماءات إلى المجتمع المغلق على نفسه، الحذر تجاه كل ما يأتيه من الغرب المتحضر، المشكك في قدرة الناس على تجاوز واقعهم. هذا، إلى جانب دأب نظام الحكم العثماني على خنق بوادر اليقظة في مهدها عن طريق تشريد المتنورين من أبناء دمشق، مقابل إعلاء شأن الدائرين في فلكها. ويبدو لنا، من طرف آخر، أن ابتعاد أدب الاتجاه السكوني، عن الأمور الحيوية للناس، أو تجنب الاقتراب منها، إن شئنا الاعتدال في استخدام التسميات، مرجعه إلى الشعور باليأس الذي غلب على الناس والأدباء معاً، فكانت المحصلة بمجموعها، أدباً خالياً من الإبداع، تتحكم به قوالب بالية، ومعان ضحلة معادة ومكرورة، وأسلوب هش متهافت.

\*\*\*



## الفصل الخامس

### الفنون والموضوعات الأدبية

### الموضوعات الجديدة

سبق أن بينّا، أن ما عينناه بالفارق بين الفنون والموضوعات التقليدية والجديدة، هو أن النوع الأول منها، ما كان شائعاً أو مألوفاً بين الناس وفي أوساط المثقفين، من ناحية الشكل على الأغلب، ومن ناحية المضمون في بعض الأحيان. وما نعنيه الآن بالموضوعات الجديدة، هو ما أصاب الشكل والمضمون معاً من تحول.

فمن ناحية الشكل لم يبق الشعر القالب الأكثر رواجاً للتعبير عن أفكار الأدباء أو همومهم. ومن ناحية المضمون، فقد غدت الموضوعات المطروحة في ساحة الحركة الأدبية بدمشق، أكثر لصوقاً بالحياة والناس، وأقرب إلى المعاصرة مما كانت عليه من قبل، وبخاصة منذ النهضة في الفكر العربي عموماً بعد العام 1875. وحدث ذلك بفعل نشأة الصحافة التي ولدت قوالب جديدة صاغ بها أدباء المدينة آراءهم، من ذلك المقالة، والقصة. كذلك بفعل قيام المسرح الذي ساعد في ظهور الأدب التمثيلي.

وقد كان لرواج هذه القوالب الأدبية أثرها من ناحيتين: حجم الموضوعات من جهة، وأسلوب صياغتها من جهة ثانية.. ففي ما يتعلق بنتاج الصحافة، فقد ارتبطت المقالة والقصة بمواعيد صدور الصحف والمجلات، الأمر الذي أوجب دخول الكتاب في سباق مع الزمن، فكثرت الموضوعات وتنوعت. وتبعاً لهذا، راجت أساليب متعددة، تراوح بين التعقيد والبساطة، أو بين الإطالة والاختصار.

إلا أنها جاءت، بمجموعها، بعيدة عن التتميق والمحسنات اللفظية والغموض، بينما احتفظ الأدب المسرحي ببعض المقومات الفنية التي اصطبغ بها المسرح في أوروبا وبيروت، وكان تأثيره بعامل الزمن ضئيلاً - من ناحية الأسلوب - إذا قورن بتنوع مضامينه.

ومن هذا المنطلق، اكتسبت الحركة الأدبية في دمشق، الكثير من المرونة التي ميزتها، مبنى ومعنى، عما كانت عليه قبل شيوع ما نسميه في يومنا هذا، بوسائل الإعلام الجماهيري.

### المقالة الصحفية.

لا بد، ونحن نتعرض إلى موضوع المقالة الصحفية، من أن نشير في البدء إلى ما ألحنا إليه في الفصل الثاني من كتابنا هذا. فقد شهدت دمشق بين السنوات 1865 - 1896 ثلاث صحف فقط هي "سورية" و"دمشق" و"الشام" ومجلتين هما "مرآة الأخلاق" و"الشمس"<sup>(1)</sup>. غير أن وجود هذه الصحف والمجلات، كان وجوداً شكلياً من الناحية الأدبية، إذا اقتصر عملها على تغطية النشاط الرسمي للدولة، ونقل الأنباء السياسية، والحرص على إرضاء الباب العالي، والدعوة للعثمانية وديمومة السلطان والوالي. هذا إلى جانب تعرض البعض منها للمصادرة نتيجة التشريعات الصحفية المعمول بها<sup>(2)</sup>، وخروج الصحيفة على تعليمات قلم الرقابة<sup>(3)</sup>، أو لأسباب أخرى مالية أو شخصية بحتة. ففقدت صحافة العهد الحميدي بذلك هويتها، وما تبقى منها إلى العهد الدستوري في سنة 1908، بعد توقف "دمشق"

(1) انظر جدول الصحف والمجلات الصادرة في دمشق بين 1865 - 1916. ولزيد من المعلومات التفصيلية القيمة ننصح بالعودة إلى "تطور الصحافة السورية في العهد العثماني" لجوزيف إلياس - أطروحة دبلوم دراسات عليا في الآداب بمعهد الآداب الشرقية، بيروت، 1972.

(2) قانون المطبوعات (1865)، الإعلان السلطاني (1867)، الإعلان السلطاني الثاني (1877). قانون المطبوعات (1888) كتمم لقانون سنة 1865، قانون الصحافة (1894).

(3) راجع قائمة المنوعات في كتاب الدكتور شمس الدين الرفاعي. "تاريخ الصحافة السورية" 1: 146 - 147. وفيه تجد، أيضاً، الأنظمة والقوانين المتعلقة بشؤون الصحافة.

و"مرآة الأخلاق" و"الشمس"، يمكن أن يقال فيها إنها كانت أشبه بمنشور رسمي أو جريدة وقائع يومية<sup>(1)</sup>.

على أن اختلاف وجه السلطة في عام 1908، بوصول رجال جمعية الاتحاد والترقي إلى الحكم، وعودة بعض الأدباء الدمشقيين إلى مدينتهم، ساعد على قلب الصورة إلى حد يستلقت الانتباه. فقد كثرت صحف دمشق ومجالاتها، حتى بلغ ما صدر منها بين تشرين الأول 1908 ونهاية عام 1916، إحدى وأربعين صحيفة يومية<sup>(2)</sup> وسبع مجلات بين شهرية ونصف شهرية.

ورغم ما أصاب الصحافة في العهد الدستوري، وما لحقها في العهد الحميدي السابق، من حيث المصادرة والتضييق والتوقف عن الصدور بعد يوم واحد فقط أحياناً، فقد أسهمت في نشأة المقالة، كفن أدبي متميز. ومما يسترعي الانتباه في هذا الصدد تحرر الكاتب من عقدة الخوف التي لازمته اثنين وثلاثين عاماً. ونعزو سبب ذلك إلى أن كتاب الصحافة، باستثناء سليم عنحوري، وشكري العسلي، ومحمد كرد علي، وماري عجمي، كانوا سياسيين بالدرجة الأولى، فيما كان الأدباء المذكورين أدباء أولاً ثم سياسيين بالدرجة الثانية. ودأب الكاتب السياسي، كما نعلم، المواجهة حيناً، والمراوغة حيناً آخر، والممالة حيناً ثالثاً، كل بحسب صدق انتمائه إلى عقيدته، أو انتمائه إلى عقيدته، أو متانة إخلاصه للمبادئ التي يعمل على نشرها. ومن هنا كان تصدي كتاب الصحافة المعارضة للاتحاديين، بسبب النظام الذي أقاموه فجاء أسوأ مما سبقه، ومن هنا، أيضاً، كانت ممالة كتاب الصحافة الموالية لهم، وكان بالتالي سقوطهم، مواطناً وفكراً في وقت معاً.

---

(1) بهذا المعنى بقيت في دمشق صحيفتان هما "سورية" التي صدرت في 19 / 11 / 1865 واستمرت حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، و"الشام" التي صدرت في 22 / 7 / 1896 وتوقفت في آب 1908 إثر إعلان الدستور.

(2) إن واقع معظم الصحف يخالف تعريفها بأنها يومية. فمعظمها كان يصدر مرتين في الأسبوع مؤقتاً، ثم يستمر صدورها على هذا المنوال، ويبقى تعريفها على أساس أنها صحف يومية.

فمن صحف المعارضة التي صدرت في دمشق بعد عام الدستور: المقتبس،  
النديم، بردى، الضمير، الراوي. ومن الصحف الموالية أشهرها: روضة الشام،  
المشكاة. وبين هذه وتلك صحف ظهرت معتدلة أبرزها: المجد، جحى، حط  
بالخروج، ثم انقلبت إلى صحف موالية مثل جحى، وحط بالخروج. فقاد ذلك،  
حكما، إلى التمايز الذي سلاحظه في مقالاتها.

ومما حفلت به صحف المعارضة، قضايا رافقت هموم المرحلة التي أعقبت  
انقلاب الاتحاديين على العنصر العربي، كالحرية، والظلم، والاستبداد، ونبذ  
المفاسد، إلى جانب التوكيد على المبادئ الدستورية، وإعلاء شأن الأمة العربية  
ولغتها، والدعوة إلى الاشتراكية، والتحذير من خطر الصهيونية وأطماعها التوسعية.

وقد سبق القول إن الاتحاديين، بعد خلع السلطان عبد الحميد، وهزيمة  
خصومهم من رجال حزب الائتلاف الذين استلموا الحكم في تشرين الأول 1912  
ولمدة ثلاثة أشهر فقط، شددوا قبضتهم على الصحافة المعارضة، واتخذوا من  
كتابها هدفاً لعمليات زجرية انتقامية. إلا أن ذلك لم يحل دون إبداء آرائهم في  
الحكم ورجالاته. وأول ما قرأ، في الحرية، ما كتبه صحيفة "روضة الشام" الموالية  
يوم صدورها 1908 / 12 / 21. جاء في افتتاحية الصحيفة قولها: "انكشف الغطاء  
عن حقيقة طالما كانت حكما الأمة العثمانية تحاول كشف ما غشاها وتسعى في  
إظهار ما استكن في ضمائرها حتى ضاق الخناق وعز الاصطبار واستبد الباطل  
وضرب أطناب خيامه في سائر الأقطار واستولى اليأس والضرر". وانتهى المقال  
الافتتاحي من هذه المقدمة إلى امتداح الاتحاديين الذين جاءوا إلى الحكم لتبديد  
الظلم والظلام، وإطلاق الأقلام لتقول كلمة الحق والعدل في حرية متناهية.

على أن هذه الحرية، سرعان ما صارت قيداً يكبل أقلام الكتاب، بزوال  
الأسباب التي دعت لإطلاقها. وهي أسباب كانت ترمي إلى فضح رجالات العهد  
الحميدي أمام الرأي العام المحلي والدولي. مما حفز عدداً من الصحف للتصدي  
لها. من ذلك ما ورد في مقالة لصحيفة "الوفاق" تحت عنوان (أنين الحرية)<sup>(1)</sup>، وما

(1) الوفاق (1912): 1.



كتبته صحيفة "المقتبس" تحت عنوان (حديث ذو شجون)، حيث جردت حملة عنيفة ضد سياسة التتريك التي مارسها الاتحاديون ضد العرب، فسلبوهم حرياتهم بفرض الأحكام العرفية، وإصلاات السيف على أعناق الناس، وتقريب الوصوليين والانتهازيين، والاعتماد على القتلة والمجرمين لتثبيت ركائز: الحلم، وجعل جمعية الاتحاد والترقي مقراً لعصابة من ذوي المطامع، إلى أن تقول "غضبوا الأمة حرية الكلام وحرية الكتابة، وقالوا لها بعد ذلك أنت أمة حرة طليقة ونحن رجال الدستور والشورى"<sup>(1)</sup>. ولا تقل صحيفتا "حط بالخرج" و"النديم"، في هذا المجال أثراً عن "المقتبس" في التنديد باغتيال الاتحاديين للحريات العامة، وكبح جماح الدعاة لحرية القول والكتابة، وكشف الأستار عن الشعارات المزيفة التي استخدموها وصولاً لأغراضهم "يا أسياذ الاتحاد صعدمت على جماجم القتلى وأشلاء الشهداء ومع هذا كله لا تزالون تنادون بالوطنية والشرف، فبريكم أي وطنية تقصدون وأي شرف تعنون"<sup>(2)</sup>.

كان واضحاً ما يعنيه الاتحاديون بالتأكيد. فإلى جانب التسلط، والكبت، وإحياء النزعة الطورانية، كان هدفهم الكبير القضاء على العربية، لغة وقومية. وقد فطنت صحيفة "حط بالخرج" منذ بداية صدورها إلى ضرورة تأكيد حقيقة يجب أن يتنبه إليها كل العرب، قبل فوات الأوان، فصورت "الأمة العربية" قدراً إلهياً فوق إرادة البشر مهما بلغوا من القدرة على تشويه الحقائق واقتناص الضعف الذي أصاب العنصر العربي أو شئت قوتهم ووحدتهم:

أولاد العرب —وزونة	ما بردهن ضرب رصاص
إن سحجوا سيوف المستونة	سباع الفلا تعاركها
والأمة العربية	رب العرش مشيدها <sup>(3)</sup>

(1) المقتبس (1912): 959.

(2) النديم (1913): 71.

(3) حط بالخرج (1910): 14.

بالمقال والقرآدية، وبالجد والهزل، طوقت صحافة دمشق، سياسة الاتحاديين الذين "ألزمو أنفسهم أن يحملوا العربي على نسيان لغته وهي لغة الدين، والرومي المفاخر بلسانه وتاريخه على إضاعتهما"<sup>(1)</sup>.

واقترضت هذه المواجهة بين صحافة دمشق والسلطة، أن يفضح كتابها مظاهر الطغيان والظلم<sup>(2)</sup>، بالدعوة إلى تنفيذ الوعود واحترام القيم الدستورية. من ذلك ما ألححت إليه صحيفة "دمشق" في مقالها الافتتاحي بعنوان (الأخلاق). فقد مضى على إعلان الدستور ثمانية أشهر، "ولم نر مدرسة فتحت أو كتاباً أنشئ، بينما نرى محال اللهو والطرب في كل يوم تزداد ويكثر روادها"<sup>(3)</sup>، ومن ذلك أيضاً ما ذكرته صحيفة "حط بالخرج" في مقالها الافتتاحي، حول ضرورة "إشراب قلوب الناس المبادئ الدستورية"<sup>(4)</sup> حتى يتم تهذيب المجتمع فلا حين وأرباب حرف وصناعاً، وتنوير عقول الناشئة في البلاد.

إلى هذا الحد، نلاحظ وفاء بعض صحف دمشق لمهمتها الإعلامية، فهي تخاطب المسؤولين أن يكونوا في مستوى المسؤولية، ولا تغفل - وهي تعالج قضايا الناس - عن التنويه بما ينبغي عمله من أجل البسطاء، فتطالب بتنوير عقول الناشئة وتهذيب العمال والمزارعين.

إلا أن مثل هذه الأصوات، تذهب صرخة في واد، فيمعن الحاكم في إغلاق عينيه، وصم أذنيه، وتستمر الأحوال في ترديها إلى حد الاستغاثة بالله "أن يمد يده بالمعونة لكي يرفع الوطن من هذا الانحطاط"<sup>(5)</sup>، ويشيع في جنباته العدل والمساواة، ولكن كيف؟

(1) المقتبس (1912): 959.

(2) اسمع وسطح (1910): 1، المقتبس (1911): 845، الضمير (1912): 1، النديم (1913):

71.

(3) دمشق (1909): 42.

(4) حط بالخرج (1910): 3.

(5) بردى (1913): 424.

اختلفت الدعوات، كما رأينا، لإزالة الغبن الذي نزل بالمجتمع الدمشقي على أيدي الاتحاديين. ولكن واحداً من أصحاب الصحف أو كتابها لم يبلغ جرأة صاحب "الاشتراكية" فيما ذهب إليه من أن الطريق إلى المجتمع العادل هو إحلال السلام. لم يقل ذلك صراحة، ولكننا نستخلص هذا المعنى من صلب المقال الافتتاحي لصحيفته في عددها الأول: "أنظروا ميزانيات الدول تجدوا القسم الأوفر منها يصرف في تجهيز الجيوش وإعداد المعدات وإنشاء الأساطيل. الفقير المسكين يشتغل عامة نهاره تحت طبقات الأرض المظلمة في تعدين المعادن وإخراج الفحم، ثم يعطي معظم ما جنت يدها إلى الحكومة كي تشتري المدافع والبنادق. فالاشتراكيون يقولون للبشر كلهم بدون تفریق جنس ولا مذهب: أيها الناس كفاكم شقاء وويلات"<sup>(1)</sup>.

هذه الموضوعات، على تباينها في العمق، والشدة، جاءت واضحة في أغراضها، وذلك بسبب أسلوبها السهل وبعدها عن التزيق والتأنق، ولئن وقعنا هنا أو هناك على عدد من المقالات ذات أسلوب هش أو ركيك، كما هو الحال في بعض المقالات المنشورة في "بردى" و"البارقة"، و"حط بالخرج" و"الضمير" و"اسمع وسطح"، إلا أن ذلك يجب ألا يشكل مأخذاً بل استثناء لا يقاس عليه لإصدار أحكام ثابتة. فنحن نعلم أن قسماً كبيراً منها كان يصدر باللغتين العربية والتركية، ولم يكن الإنشاء العربي يمتلك ناصيته سوى عدد قليل من كتاب الصحف، بينهم الأدباء الذين سبقت الإشارة إليهم منذ حين. كما أن جانباً من هذه الصحف صدرت لتكون هزلية، انتقادية، الأمر الذي يبرر خلوها من المقالات ذات الصياغة المتينة.

ومهما يكن من أمر، فقد كانت تلك المقالات التي اجتزاناً طرفاً منها، أو أشرنا إلى مواقعها، بدايات لرؤى سياسية أو اجتماعية اتسعت آفاقها لتشمل الفترة التي أعقبت خروج العثمانيين ودخول سورية في تيار السياسة الدولية في العشرينات من القرن العشرين.

---

(1) الاشتراكية (1912): 1.

بيد أن ما يؤخذ على صحف دمشق، عدم التزامها بما نذرت نفسها له كل الالتزام. فهي جميعاً، على وجه التقريب، تؤكد على أنها اجتماعية أدبية اقتصادية إلى جانب كونها سياسية. إلا أن المقال غير السياسي قلما كان يرى. فهناك غالباً، زوايا اجتماعية، واقتصادية، وقانونية، وتربوية، ونسائية، وحكم وأمثال. فهي إذن لم تكن صحفاً متخصصة قدر كونها صحفاً جامعة وعامة. نستقرئ ذلك من بعض التعاريف التالية:

الشام: "جريدة سياسية أدبية تجارية تاريخية".

العصر الجديد: "جريدة سياسية تجارية علمية صناعية أدبية زراعية".

المقتبس: "جريدة سياسية اقتصادية اجتماعية".

السكة الحديدية الحجازية: "جريدة أدبية وطنية حرة تنزل الناس منازلهم وتعطي كل ذي حق حقه".

موارد الحكمة: "جريدة علمية أدبية زراعية صناعية سياسية".

الأمة: "جريدة سياسية اقتصادية أدبية".

هلال عثمانى: "جريدة سياسية فنية أدبية عثمانية".

المشكاة: "جريدة سياسية اجتماعية أدبية".

الضمير: "جريدة سياسية أدبية عمرانية مزاحية".

إلى غير ما هنالك من تعاريف لا تخرج عن هذا الإطار. فالسياسة هي بمثابة القاسم المشترك، وما تبقى فمجرد شكليات. ومن هنا كانت المقالة السياسية هي الأكثر شيوعاً والأكثر تأثيراً في الناس، وتأثراً بهم، وهذا ما يحدونا إلى تسمية صحافة دمشق خلال العهد الدستوري وما بعد، صحافة المقالة السياسية، لشدة ارتباطها بالأحداث المتلاحقة داخلياً وخارجياً على حد سواء.

وإذا كانت صحف دمشق أبقّت لنا مقداراً من المقالات، نستدل منها على واقع أهلها، وشؤونهم، وما كان يشغلهم، فعلى النقيض من ذلك، حال مجلاتها. فباستثناء مجلة "المقتبس" التي أنشأها محمد كرد علي، بالقاهرة سنة 1906، ثم نقلها إلى دمشق بعد إعلان الدستور حيث بدأت بالصدور في مطلع عام 1909، ومجلة

"العروس" التي أنشأتها ماري عجمي (1888 - 1965) بدمشق في سنة 1910 ، نستطيع القول إن دمشق لم تعرف هذا النوع من الصحافة بالمعنى الدقيق. وتأتي أهمية هاتين المجلتين من استمرارهما بالصدور فترة من الوقت يسرت لهما احتضان الأعمال الأدبية بحثاً، أو دراسة، أو قصة، أو قصيدة، شارك في كتابتها أدباء معروفون من دمشق وخارجها في وقت واحد.

ولو جاز لنا أن نعرف "المقتبس" لقلنا إنها مجلة أدبية اجتماعية علمية تربوية نسائية. ففيها تقرأ عن الأخلاق، والحضارة، والتمثيل، والمرأة الشرقية، والتعريب والترجمة، والعمل. كما تقرأ عن مدارس الأجانب، وحق الانتخاب، والمخطوطات، وهجرة الأدباء، ومستقبل السيارة، وتهذيب البنات، والمسألة الشرقية، وما يتبادر أو لا يتبادر إلى الذهن من موضوعات فتحت لها المجلة صفحاتها مثلما فتحت ذراعيها لكتاب المشرق والمغرب العربي في زمانها. ومع ذلك التنوع كله حافظت "المقتبس" على جديتها، ورصانتها، وتحسسها بالمسؤولية، وطلاوة أسلوبها الأدبي. نقرأ في أعدادها الأولى تحت عنوان (المخطاط الأخلاق) قول منشئها: "من البديهي أن للخلق عملاً كبيراً في الحياة الإنسانية يظهر أثره على كل فرد من أفراد النوع. والحكم في هذا ثابت باستقراء مؤيد بالبداهة، لا حاجة بنا إلى الفلسفة فيه وإقامة الدليل عليه. وإنما نريد أن نذكر من أثره في مجموع الأمة ما أصيب به أهل المشرق من الانحطاط الناشئ عن ضعف الأخلاق وفساد ملكات العلم بوسائل الحياة الطيبة التي يتمتع بها أمم غيرهم"<sup>(1)</sup>.

ولا تجيد "المقتبس" عن وجهتها الرصينة هذه حتى توقفها بسبب الحرب العالمية الأولى في سنة 1914. فهي، بحق، مجلة دمشق الأدبية الأولى في القرن العشرين. وأما مجلتها النسائية الأولى فهي "العروس"<sup>(2)</sup>. جاء في عددها الأول تحت عنوان (إلى العروس) قول ماري عجمي: "أيتها الواقفة على أبواب العالم. أيتها الحياة

(1) مجلة المقتبس "1906" 3 : 138.

(2) صدرت في 1 / 12 / 1910. توقفت عن الصدور خلال فترة الحرب. ومع انتهائها عادت إلى الصدور واستمرت حتى سنة 1925.

المنعكسة أنوارها على العالم الإنساني... قبل أن تزني جسدك وتزخرفيه، اعلمي أن الغاية هي بيت تديرينه وزوج تعصدينه وعائلة تنشئنها<sup>(1)</sup>. يمثل هذا الإحساس بالمهمة الملقاة على عاتق المجلة تمضي ماري عجمي في تسيير مجلتها، فإذا هي خلال سنوات قليلة سجل حافل بكل ما يهم المرأة الشرقية معرفته أو يتعلق بها. فمن بحث في سر جمال المرأة وصحتها وطول عمرها، إلى بحث في أساليب التنشئة الجديدة. ومن قصة مترجمة، إلى يوميات فتاة تشكوهما أو معضلة لا تقدر على حلها. ومن موضوع الإخلاص في العمل، إلى ما يجعل المرأة متخلفة في مجالات الابتكار. ومن دراسة في التاريخ إلى مقتطفات تربوية. ومن نصائح في تدبير المنزل إلى طرق تريض الطفل. وما كانت أبواب "العروس" لتخلو، إلى جانب الأبحاث، من طرفة تبعث على الابتسام أو حادثة مؤلمة تشيع الأسى في النفس.

بيد أن هاتين المجلتين الدمشقيتين لم تكونا من المجالات المتخصصة فأفقدتهما ذلك، كما أفقد صحف المدينة، نكهتها الأدبية الخالصة. في حين نجد، على النقيض من ذلك مجلة "الحقائق" التي صدرت في سنة 1910، تنصرف كلية إلى الشؤون الدينية الإسلامية - وربما كان صدرها رد فعل لصدور مجلة "النعمة" عن البطيركية الإنطاكية الأرثوذكسية قبل عام - فكانت بكل ما في محتوياتها مجلة دراسات وأبحاث إسلامية: الحجاب في الإسلام، الدين الإسلامي والتوحيد، المسلمون والسياسة الدينية، النساء وتبرجهن، المدارس الأجنبية، رابطة الخلافة ورابطة الدين. بينما توازعت "النعمة" موضوعات متفرقة منها ديني ومنها تاريخي أو أدبي أو تربوي أو علمي. شأنها في ذلك شأن مجلتي "مرآة الأخلاق" و"الشمس" اللتين صدرتا قبل العهد الدستوري، وباقي المجالات التي صدرت بين 1912 - 1913 وهي "الشعب" و"الناشئة" و"أنفس النفائس الروائية"، التي لم تعمر طويلاً لتشكل انعطافاً في باب المقالة الصحفية، أو تضيف عليه شيئاً جديداً.

نستخلص مما سبق، أن الصراع الذي خاضته صحافة دمشق، ضد السلطة، رجال حكم وصحافة موالية، لم يكن يدور في إطار حركتها الأدبية، ضمن دائرة

(1) العروس (1910) 1 : 3.

ضيقة. فقد حمل صحفيو دمشق مهمة لا تقل عما حمله أديباؤها المصلحون على عاتقهم. فقد كانت صحافة دمشق، بهذا المعنى، رديفاً للتاج الأدبي، ما طبع منه وما لم يطبع. وقد خاضت تلك الصحف صراعاها في ظروف القهر الذي كانت تعيشه أوساط الثقافة، فحققت - إجادة كانت كالمقتبس، والنديم، والاشتراكية، والضمير، والمجد. أم هزلية كظهرت بالك، وأعطيه جملة، والراوي، وجحي، وبردي - حققت ظاهرة جديدة بأن تحظى بمؤلف مستقل، فتكون المقالة في الصحافة السورية بدايته ونهايته بأشكالها وأغراضها المختلفة.

ولعلنا لا نغالي إذا قلنا إن الكلمة، في إطارها الصحفي، أشبه بججر يلتقي في ماء راكد. فكما يشيع الحجر من حوله الدوائر، فقد أشاعت الصحف - خصوصا صحف المعارضة - الحركة في أجواء الأدب السكوني.

فانتقلت بوظيفة الكلمة على صدر الصفحة إلى مرحلة النضال لبناء المجتمع على أسس جديدة. فقرأ الناس، عبر صحافة الفترة التي تلت انهيار السلطان عبد الحميد، ما لم يكن مسموحاً بنشره أو تأويله. فأسهم كتاب الصحف بذلك، في ترسيخ عدد غير قليل من الأفكار المعاصرة في أذهان متتوري دمشق لذلك العهد. فشاعت عبارات المساواة، والحرية، والثورة، والحق. كما أثارت في أذهانهم قضايا أخرى لم تكن مألوفة، كالتطور، والنشوء والارتقاء، والاشتراكية، الأمر الذي حقق غايتين في وقت واحد. الأولى نزول الأديب إلى السوق للتعبير عن هموم الجماهير اليومية، والثانية شحن أجواء الفكر في المدينة بما يساعد على تفجيرها، مستقبلا، فكراً قومياً عربياً خالصاً.

هذا، إلى جانب الدور الذي لعبته أكثر من صحيفة، في قلب أساليب الصياغة الرائجة يومها، واستبدلت بها أساليب أكثر وضوحاً، وبساطة، وثقيفاً.

## أدب القصة :

نعني بأدب القصة - كما لاحت لنا أطره في أجواء الحركة الأدبية بدمشق - تلك القوالب الفنية التي صاغ بها مؤلفوها أحداثاً واقعية جرت أو نسجها الخيال بهدف تحقيق غرض تعليمي أو أخلاقي أو اجتماعي. وبهذا المعنى، نتجاوز

المؤلفات التي تناول فيها أصحابها سير الأنبياء، والمعارك الحربية، مثل قصة (المعراج)<sup>(1)</sup> لأبي الفتح الخطيب (1834 - 1897)<sup>(2)</sup>، وقصة "دفاع بالفنا" لحقي العظم، وقصة "الإسراء والمعراج"<sup>(3)</sup> للشيخ جمال الدين القاسمي. وقصة "المولد الأكبر في أصل وجود سيد البشر"<sup>(4)</sup> لمحمد الداوودي، وغير ذلك مما عرضنا لذكره في باب الأدب التسجيلي من كتابنا هذا<sup>(5)</sup>.

فالإرث القصصي الذي نتطرق إليه، إذن، هو ما ظهر بمقومات فنية، مغايرة لأسلوب التأريخ وكتابة السير العامة أو الشخصية، وأقرب ما تكون من طرق صياغة القصة الغربية في زمن تأليفها. وهذا ما يسوقنا إلى القول، بأن دمشق لم تعرف أدب القصة إلا في وقت متأخر من القرن التاسع عشر، اقتباساً وتعريقاً في البدء، ومن ثم تأليفاً.

وكما ذكرنا، فقد أصدر سليم عنحوري وابن عمه حنا عنحوري (1863 - 1890)<sup>(6)</sup> أول مجلة أدبية في دمشق، سنة 1886، هي مجلة "مرآة الأخلاق". وقد عرفها بأنها كتاب في أربعة وعشرين جزءاً، وكل منها بأربع وعشرين صفحة. القسم الأول منها لنشر الروايات والآخر يخوض كل عباب<sup>(7)</sup>.

(1) مخطوط في دار الكتب الظاهرية بدمشق تحت رقم (سيرة 75).

(2) تولى خطابة جامع الأحمدية، وكان إماماً لمسجد في سوق الخياطين بالمدينة. كما ولي أمانة دار الكتب الظاهرية. وله مشاركة في الوعظ والتدريس بالجامع الأموي بدمشق.

(3) وهي قصة أراد بها المؤلف إظهار أن الإسراء جسدي وأن المعراج روحي.

(4) مخطوط في دار الكتب الظاهرية بدمشق تحت رقم (8214).

(5) راجع الفصل السابق.

(6) تلقى علومه الأولية في دمشق، ثم تابعها في المدرسة البطريركية في بيروت على الشيخ إبراهيم اليازجي وعاد، من بعد، إلى دمشق وعمل مدرساً في المدرسة البطريركية. وانصرف إلى أعمال الكتابة التجارية والوظيفية إلى أن أنشأ "مرسح الاتحاد" بموازرة من صديقه جورج ميرزا. وأمام الصعوبات التي اعترضت مشروعه هذا، تخلّى عن المرسح فشنخ إلى روما في سنة 1887، مع خاله المطران ملاطيوس فكاك، ومنها انتقل إلى باريس لتعلم الطب. غير أن العمل المرهق والجو الباريسي فتكا به شاباً. ومما يعرف عنه أنه استنسخ عدة كتب مخطوطة من مكتبة باريس. وكان قد شارك ابن عمه سليم عنحوري في إصدار مجلة "مرآة الأخلاق" أيام مكوثه في دمشق.

(7) الفيكونت فيليب دي طرازي. "تاريخ الصحافة العربية" 2: 199.



إلا أن يد السلطة، كانت أقرب من يد القارئ إليها، فسرعان ما خنقت المجلة في مهدها. فقد اتهم سليم - الذي اختص بتحريه قسم الروايات - بتجريح القيم الدينية فسيق إلى المحاكمة. ومع أنه بريء بعد محاكمته، فقد أثر التخلي عن المجلة، وهاجر مع من هاجر إلى مصر. ولم تعرف دمشق، بعد ذلك التاريخ، صحافة أدبية بالمعنى الصحيح، حتى سنة 1908، وذلك بانتقال مجلة "المقتبس" من القاهرة إلى دمشق، كما مر معنا.

وفي أحد أعداد "المقتبس"<sup>(1)</sup>، يحدثنا كرد علي قائلاً إنه سيواصل في كل جزء من أجزائها نشر وراية أو قصة أو أفكوهة تروح عن النفس بعد تلاوة العلميات والأدبيات. وأفرد لذلك باباً أسماه "نفاضة الجراب" وكان أول ما نشره من نتاج القصة في دمشق، قصة "فجائع البائسين"<sup>(2)</sup> لشكري العسلي.

ويرر كرد علي مغامرته هذه بالقول، إنه خلافاً لرأي "بعض الأكابر" فقد ثبت لديه بالاختبار، "أن الجد البحث لا يروج حتى بين الغربيين الذين بلغوا شأواً رفيعاً في الاستتارة والمعاصرة، فما بالك في هذا الشرق وهو ما هو؟"<sup>(3)</sup>. ونحن نفهم من تلميحه هذا أن الروايات والقصص، كانت بحمد ذاتها، لوناً من الأدب الدخيل. ومن هنا جاء نصحهم له بعدم ارتكاب هذه الهفوة، حفاظاً على رصانة المجلة ومكانتها في أوساط المثقفين. ورغم اعترافه، هو نفسه، بأن المسألة تحتاج إلى القليل من التسلية إلى جانب الجد، فقد أشاح بوجهه عن النصيحة، وواصل خطته في نشر الروايات المعربة والموضوعة على حد سواء، وكان لمجلته، فضل السبق في الترويج لأدب القصة وعلى مدى سنوات<sup>(4)</sup>.

(1) مجلة المقتبس (1907) 1 : 2.

(2) مجلة المقتبس (1907)، أعداد متتالية من ص 50 إلى ص 352.

(3) المصدر السابق 1 : 2.

(4) عرب محمد كرد علي من الفرنسية ثلاث روايات هي: المجرم البريء (1906) والفضيلة والرذيلة (1907)، وبتيمة الزمان في قبة ليفمان (1912).

وقد كان لخلو دمشق من صحافة أدبية تعنى بهذا اللون من الأدب، بين الأعوام (1865 - 1908)، باستثناء العدد اليتيم من "مرآة الأخلاق" أثره في هجرة أدب القصة إلى خارج المدينة. وأقرب المدن إليها آنذاك بيروت. ففيها مجلة "الجنان" لسليم البستاني (1847 - 1884) التي أنشأها في سنة 1870، وفيها ترعرع أول كاتب قصة دمشقي هو نعمان القساطلي (1854 - 1920).

تعتبر أقاصيص القساطلي الثلاث، التي نشرها في "الجنان" خلال ثلاث سنوات من عمر المجلة (1880 - 1882) وهي "الفتاة الأمينة وأمه"، و"مرشد وفتنة" و"أنيس وأنيسة"، باكورة أدب القصة القصيرة الدمشقية. في القصة الأولى، يقدم لنا القساطلي صورة عن المجتمع الذي يعايشه، فيضمنها، آراءه في مساوئ التخلف والتقاليد البالية، والظلم الاجتماعي، وكبت الحرية الشخصية، وأثر الوشاية، وانشغال النسوة في الثرثرة، وهضم حقوق المرأة، ومن ثم في كل ما من شأنه أن يحول بين قلبين شابين متحابين. ومع أن هذه القصة القصيرة صيغت بأسلوب يميلنا على الاعتقاد بأن أحداثها غير واقعية، إلا أنها، في إطارها العام، ترتبط بقضايا المرحلة عموماً ولا تتنافى مع ما كان سائداً في المجتمع الدمشقي يومئذ من أسباب القهر الأخرى، على الصعيد الاجتماعي.

وينتقل القساطلي في قصته القصيرة الثانية "مرشد وفتنة" من جو الحضر إلى جو البادية. ومن خلال قصة حب تجمع بين قلبي بطلها "مرشد" ابن شيخ العرب و"فتنة" راعية الغنم البسيطة، يجوب بنا في عالم البداوة الرحب. فمن ورودهم الماء إلى تقاليد الضيافة لديهم، على أحكامهم وفغزواتهم، فطرق علاجهم، فوسائل تحضيرهم للطعام والقهوة، فأخذهم بالثار، تجتمع لدينا خيوط قصة، متشابكة الأحداث، متعددة الشخوص، تنتهي أخيراً بأن يفوز كل محب بمحبته، وينال كل شرير جزاء ما جنت يده "فسبحان من ينصف عباده، ويأخذ بيد المظلومين من ظالمهم"<sup>(1)</sup>.

(1) مجلة الجنان، (1881): 31.

ولو شئنا أن نستخلص شيئاً آخر من هذه القصة القصيرة، لجاز لنا الاعتقاد أنها، بغض النظر عن مبالغة صاحبها باستخدام الحشو فيها، نسخة قريبة جداً مما كان شائعاً في دمشق من قصص "ألف ليلة وليلة" و"عنترة بن شداد" و"أبي زيد الهلالي" و"سيرة بني هلال" و"مجنون ليلى" وغير ذلك من قصص الزناتي وسيف بن ذي يزن. فهي تماثل بعضها بأحداثها، وبعضها الآخر بأسلوب سردها، أو بروحها، فضلاً عما يراه الأستاذ شاکر مصطفى من أنها جاءت متأثرة بقصص سليم البستاني التي نشرها في مجلته وكان بحق أباً للقصة العربية المعاصرة<sup>(1)</sup>، وربما أيضاً بما رآه خلال جولاته العديدة في الديار الشامية بهدف التجارة<sup>(2)</sup>.

ولا تخرج قصة نعمان القساطلي القصيرة الثالثة "أنيس وأنيسة"، في طريقة بنائها الفني. عما سبقها، إلا أنها تختلف عنها من حيث كونها موضوعاً حضرياً، يدور بين بلودان ودمشق وحمص وبعض الأماكن الأخرى. وفيها يرصد القساطلي أخلاق أهل المدن فيبين ميلهم إلى الاحتيال، والغدر، وفساد المحاكم، وحب المغامرة والأسفار، وعبادة المال، والقتل، وأخيراً الحب الذي هو محور الأحداث ومحركها، والسبب الأول والأخير في شقاء القلوب الشابة، على أن تنتهي بالقول: من جعل غرضه نصب عينيه، إذا كان له حق به، لا يلبث أن يناله ولو بعد طول عناء، وكثرة عذاب، وهذا قانون<sup>(3)</sup>.

وبعد حوالي ربع قرن من الزمان من الفراغ الذي أحدثه توقف القساطلي عن كتابة القصة القصيرة، يعيدنا شكري العسلي ثانية إلى أجوائها. ومع العسلي وعبر مجلة "المقتبس"، يقترب أكثر إلى مفهوم القصة القصيرة، بمعناها المعاصر. ففي قصته اللتين نشرهما بين 1907 و 1913، تختصر الحوادث من سلسلة غير متناهية على

(1) شاکر مصطفى "القصة في سورية": 122 - 123.

(2) نوه المؤلف بأن له كتاباً اسمه "مرآة سورية وفلسطين" في كتابه "الروضة الغناء في دمشق الفيحاء" 90. ولكن الكتاب على ما يظهر لم يطبع. وفي اعتقادنا أن قصته هذه قد احتوت كل ما كان يريد ذكره في كتابه المشار إليه، فاستعاض بها عنه.

(3) مجلة الجنان. (1882): 383.

حادثة أو اثنتين، ويقل عدد الشخص من خمسة عشر شخصاً إلى ثلاثة أو خمسة على الأكثر، ويفقد هيكل القصة عموماً، أقرب إلى الأسلوب المألوف عند كتابها من الغربيين، وطبيعي أن يطرأ مثل هذا التغير، بتأثير نمو الحركة القصصية في بيروت والقاهرة، وعناية صحفهما ومجلاتهما بنشر القصص المترجمة والموضوعية، وإقبال القراء عليها طلباً لاستجمام فكري أو لأخذ العبر.

كتب شكري العسلي قصتين قصيرتين هما "فجائع البائسين" و"نتائج الإهمال". وبدأ بنشر قصته القصيرة الأولى في "المقتبس"<sup>(1)</sup>، ونشر الثانية في المجلة ذاتها سنة 1913. ففي مقدمة قصته "فجائع البائسين" يذكر العسلي أن ثمة تشابهاً بينهما وبين قصة "البؤساء" لفكتور هيغو، إلا أنهما مختلفان من حيث الأسلوب والأداء<sup>(2)</sup>. وهي، كما يعرف بها رواية وطنية أخلاقية واقعية، تمثل للقارئ ما تنه منه هيئتنا الاجتماعية من البؤس وما يتخلل بيوتنا من الخلل. والبؤس عند العسلي هو ما نجم عن أسباب خارجية وشخصية تتعلق "بسعيد" بطل قصته. وأما الأسباب الخارجية، فلا يتضح في إطارها سوى القليل مما يتعلق بالعوائد الاجتماعية السائدة في عصره، ومنها المنظور الطبقي الذي يتمثل في علاقة أسرة متواضعة بأسرة باشا. وأما الشخصية فناجمة عن ظروف نشأته واجتهاده وزواجه الأول والثاني. ومن ثم تنتهي القصة باغتيالها دون أن تتجسد فيها، عملياً، صور "هيئتنا الاجتماعية" و"بيوتنا"، باستثناء حالة الفقر، والنكد بين الزوجين، ودور الحماة في خلاف المرأة مع زوجها، والزواج للمرة الثانية. وهي أمور تقع حتى في يومنا هذا، مما يضفي على القصة سمات الواقعية الذهنية في أية بيئة شرقية متخلفة، وفي أي وقت. ويموت سعيد على يد أحد أقرباء زوجته الثانية ابنة الباشا، والترحم "على روحه الطاهرة"<sup>(3)</sup>، تنتهي القصة. وبعدها يصمت العسلي كما فعل القساطلي. ويدوم

(1) مجلة المقتبس (1907): 50 وفي أعدادها التالية حتى ص: 352.

(2) لهذه الإشارة دلالتها الواضحة على أن ظهور فن القصة في دمشق، كما في غيرها، كان نتيجة لتسرب الثقافة الأجنبية إلى الأدباء العرب، مما أدى إلى تفاعل ثقافي، وظهور الفنون الأدبية الجديدة، كالفن المسرحية، بما تحمله هذه الفنون من مواقف أدبية.

(3) مجلة الجنان (1907): 352.

صمته خمس سنوات قبل أن يطالعنا بأقصوصته "نتائج الإهمال" في "مجلة المقتبس" (1913) وهنا، أيضاً، يقدم العسلي لأقصوصته، فيصفها بأنها واقعية، وفي خدمة الحرية. تلك المقولة التي راجت سوقها في صحافة دمشق، كما رأينا، مع انهيار العهد الحميدي، وبدء التسلط الجديد في زمن الاتحاديين. والحرية عند العسلي، كما يفهمها، وجدت لرقى الناس، وليس وسيلة لهدم قيم الأخلاق والفضيلة، فمنظوره، من هذه الناحية يعكس ثقافته الحقوقية كقائم مقام ومحام. والحرية عنده، في أقصوصته "نتائج الإهمال" تدور حول حرية المرأة بالذات، وكيف يجب أن تستغل. وموقفه من هذه المقولة لا يعرف حداً وسطاً فإما الأخلاق أو الرذيلة. ولكنها ليست بأي حال من الأحوال، سبيلاً يسمح لفتاة جانحة بالذهاب إلى المخفر لتشكو شاباً حاول التدخل في علاقاتها الغرامية، وثنيها عن المضي في طريق الخطيئة. مثل هذه الواقعة عند العسلي ليست حرية وإنما هي قيد.

وبين هذا وذاك، نجد للياس عبده القدسي (1850 - 1926)<sup>(1)</sup>، كتاباً أصدره بدمشق سنة 1913، ومن الحجم الصغير أسماه "توادر وفكاهات من أحاديث الحيوانات"<sup>(2)</sup>. وفيه عرب القدسي عدداً من أساطير لافونتين (1621 - 1695) التي وردت في كتابه الشهير "الأمثال". ومهد لها بالقول: إنه منذ القديم، في أيام الحكام الظالمين حين كان لا يجسر أحد أن ينتقد أفعالهم، كان يجتهد حكماء القوم بأن يسمعوا أولئك الظالمين شكوى المظلوم، بابتداعهم أحاديث وقصصاً ملفقة كأنها

(1) تلقى دروسه الأولى في المدرسة البطريركية بدمشق ثم تابع تعليمه في مدرسة عينطورا ببلنان، ثم في جامعة أثينا. اشترك في تأسيس "الجمعية التاريخية" بدمشق سنة 1878، وتسلم إدارة مدارس طائفته للروم الأرثوذكس مدة ثلاث وثلاثين سنة متواصلة، فحولها من كتاتيب صغيرة إلى مدارس منظمة، وحين تكون المجمع العلمي العربي اختير عضواً بين أعضائه. أتقن الياس القدسي اللغتين الفرنسية واليونانية القديمة والحديثة، فعين قنصلاً فخرياً لليونان ثم للنمسا والمجر ثم لهولندا وبلجيكا ثم للبرتغال بدمشق منذ 1888 إلى قبيل وفاته.

(2) نريد بذكر هذا الكتاب، في باب القصة، الإشارة إلى بداية ظهور القصص الخرافية في دمشق، أو ما يمكن أن نسميه بالشعر الشعبي القصصي. فالتجربة، بحد ذاتها، وليس من حيث قيمتها الفنية تستلفت الانتباه.

جرت في الحيوانات غير الناطقة ، يضمنونها النصائح الجدية تحت طي الهزل<sup>(1)</sup> .  
وقد عربّ القدسي أساطير لافونتين باللهجة الدمشقية الدراجة ، وجعلها  
على الوزن القرادي المعروف بالمعنى . واعترف بأنه فعل ذلك لركاكة لغته  
الفصحى ، وأنه تصرف في بعض منها ، واقتبس أفكار بعضها ، كما أضاف إليها  
حكايتين من تأليفه هما : الواوية والكلاب ، والبرغوث والبقة .

وما يهمنا من كتاب القدسي ، ليس لغته ، أو أسلوب صياغة الأساطير  
والحكايات فحسب ، وإنما أيضاً إشارته إلى ذلك الزمن الغابر ، يوم كان أحد لا  
يجرؤ على انتقاد الحكام الظالمين وأفعالهم ، أو إيصال شكاوى المظلومين إليهم .  
فالحيوانات هنا ، في حقيقة أمرها ، أناس ينتمون إلى بيئة معينة هي بيئة دمشق ، وإلى  
عهد معين هو عهد الاتحاديين ، وإلى قضايا مثارة محلياً ، استطاع القدسي أن  
ينسجها كتابه الشعبي منها رمي الآخرين بالنقيصة ، واتهام مدعي الوطنية بالتخاذل  
في المواقف الدقيقة الحاسمة ، والانتهازية لدى الحكام والملوك ، وغير ذلك من  
المعاني التي حملها الكتاب في النقد السياسي أو الاجتماعي .

ومؤخراً عثرنا في مخطوط لمصطفى خلقي يحتفظ به ولده علي خلقي ، على  
إشارة تدل على أن مصطفى خلقي طبع كتاباً قصصياً بعنوان "وظائف الأطفال" ،  
قبل عام 1915 ، قصصه محكية على لسان حيوانات .

\*\*\*

إن استعراضنا لهذه الأفاصيص ، يجعلنا نخلص إلى نتيجة محددة وهي أن أدب  
القصة في دمشق ، لامس المشكلات العريضة السائدة في المجتمع ، إلا أنه لم يتعمقها  
بشكل كاف . والسبب في تقديرنا هذا ، راجع إلى عاملين رئيسيين . أولهما وقوع  
الكاتب تحت مؤثرات قصص ألف ليلة وليلة ، وعنترة ، والزناتي ، وأبي زيد  
الهلاللي ، وغيرها . فاستدعى ذلك حرصه على الموازنة بين القوالب القديمة  
والحدیثة ، فضع بينهما وفقد قدرته على بناء شخصيته المتميزة . وأما العامل الثاني ،  
فيتعلق بمحصلة الكاتب الثقافية وحجم معاناته الفنية .

(1) الياس عبده القدسي . "نوادير وفكاهات من أحاديث الحيوانات" : المقدمة .

فعندما نرتد إلى ما كتبه العسلي نتلمس أثر ثقافته الأجنبية في قصته القصيرة "فجائع البائسين" التي شبهها برواية "البؤساء"، ومع هذا جاءت بعيدة عنها كل البعد فناً ومضموناً، بينما ارتبطت أقصوصه الثانية "نتائج الإهمال" بالبيئة ارتباطاً مباشراً، فجاءت أكثر محلية وتركيزاً فنياً، مما يؤكد تخلصه من أجواء القصص الشعبية الرائجة في زمن كتابتها. ويرتبط هذا التطور، بدوره، بالفارق الزمني الذي يفصل بين الاثنتين (1907 - 1913). كذلك باتساع أفق ثقافته ومشاركته في صناعة بعض الأحداث السياسية أو معاصرتة لها.

وعندما نرتد إلى القساطلي، في قصصه القصيرة الثلاث، نستشف تأثره بأساليب كتابة القصص الشعبية المذكورة، رغم اختلاف الوقائع، وشحنها بمشاهدات الكاتب في مدن الشام وباديتها. على أننا نلاحظ، في الوقت ذاته، قوة الرصد لديه ولكن دونما اعتبار للناحية الفنية. وعذر القساطلي في ذلك أنه ابتدأ من نقطة التقليد، وتوقف عند حدودها قبل أن يستكمل شروط كتابة القصة القصيرة بطريقة فنية محكمة، بتأثير مطالعته أو معاناته.

إن فقدان عنصر التحليل والمحاكمة الذاتية في النماذج التي أتينا على سوقها، وهي كل ما عثرنا عليه في فترة دراستنا، واعتماد كاتبها على السرد، واستخلاص العبر، وإلقاء المواعظ بلهجة خطابية أو مباشرة، وإصدار الأحكام القاطعة في نهاياتها، لا يقلل من مكانتها المرحلية بين الفنون الأدبية المستحدثة في ثمانينات القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين. وإنما تأتي أهميتها من كونها القاعدة التي اتسعت فيما بعد، وبداية الدرب التي سار عليها كثيرون من كتاب القصة القصيرة الأوائل، الذين سبقوا كتابها من أبناء جيل اليوم.

ولعله من المفيد التذكير، بأن فقدان القصة القصيرة، المتفاعلة، بعمق، مع المشكلات التي وسمت مجتمع دمشق، في رحلته المضنية ضد الجهل، والطبقية، والتقاليد، والخرافة، وكبت الحريات العامة والخاصة، واحتقار المرأة، مرده إلى انعدام الصحافة الأدبية المتخصصة، ونظرة الارتياب التي كان يقابل بها هذا اللون من الناتج الأدبي من قبل المشتغلين في الحقل الثقافي والعلمي، وزحمة الأحداث السياسية التي كانت تشد القارئ إليها أكثر، وتستأثر باهتمامه، فيتبع قضاياها بعناية تفوق عنايته بباقي أنواع الكتابة. ومع هذا ففي تقديرنا أن أدب القصة، بما

يتميز به عن شروط كتابة المقالة السياسية أو الاجتماعية، أدى ما أدته المقالة نفسها من مهمة التصدي للمفاسد الاجتماعية الشائعة، والكشف عن مساوئ الإدارة وطغيان السلطة، ولكن بقالب مغاير يحتمل تضمينه أكثر من واقعة أو شخص وعلى امتداد الأيام والسنوات.

## أدب التمثيلية.

نقرر في البدء، أن أدب التمثيلية، أو ما يسمى في أيامنا هذه، بالأدب المسرحي، لم يشكل ظاهرة أدبية في دمشق، قبل ظهور المسرح نفسه. ويفترض منا ذلك، تجاوز الأشكال البدائية التي راجت قبل السبعينات من القرن التاسع عشر. فهي في مجموعها، حكايا حوارية مركبة، استخدمها الحكواتي أو الكراوزاتي<sup>(1)</sup> على مسارح دمشق الشعبية التقليدية. وكانت، إلى جانب ذلك، خالية من صفات الإبداع أو الخلق، خلوها من المضامين التوجيهية أو الاجتماعية، ما لا يجعلها تستحق التوقف عندها. إلا أن ظهور الحركة المسرحية في سنة 1870، بالشكل الذي بشر به أبو خليل القباني (1833 - 1902)<sup>(2)</sup>، رائد المسرح في

(1) جاء تعريف هاتين الكلمتين في الفصل الثاني: التمثيل. انظر أيضاً كتاب "مسرح عربي قديم" تأليف عادل أبو شنب.

(2) تعلم في الكتاب أولاً، ثم في بعض المدارس وفي حلقات الدرس في المساجد. ومنذ يفاعته تلقى الموسيقى ورقص السماح عن بعض شيوخها ولاسيما الشيخ أحمد عقيل، الحلبي. وقاده اهتمامه بالفن والغناء إلى تأليف الشعر والزجل الغنائي. وبعض المراجع تذكر أن أول اتصال بين القباني والمسرح تم في سنة 1865 بينما تذكر مراجع أخرى أن العام 1870 هو الأصح. درب أبو خليل أصدقاءه وسماره على تمثيل أول مسرحية ألفها هي "ناكر الجميل" وقدمها في بيت جده. وقد شهد والي دمشق صبحي باشا إحدى تلك الحفلات الخاصة فأعجب بها وشجع القباني على الخروج بها إلى الجمهور. وكان بذلك أول من دعم النهضة المسرحية في سورية ومصر فضلاً عن رفده المسرح في هذين القطرين، بروايات عربية تاريخية واجتماعية انتقادية وبضروب الموشحات التي أتقن أوزانها. عاش القباني في مصر من عام 1884 - 1900، سافر خلالها إلى شيكاغو في سنة 1892 ليمثل في معرض المدينة مع فرقة من عشرين ممثلاً، واستمر بقاؤه هناك ستة أشهر. وفي عام 1893 قضى سنة عند صديق له في حمص، وافتتح له قاعدة لصناعة النشاء، إلا أنه ما لبث أن عاد إلى مصر ←



دمشق، أسهم في نشأة أدب التمثيلية تأليفاً أو اقتباساً أو تعريباً.

ومما ساعد في ذلك، فضلاً عن شخصية القباني نفسه واستعداده ليكون كاتباً وممثلاً مسرحياً بالفطرة، رعاية بعض الولاة المتأخرين للنشاط المسرحي العربي المعاصر، وحفلات مدارس الإرساليات التبشيرية، التي كانت تحتتم أعوامها الدراسية بتقديم عروضها المسرحية التربوية والدينية. وربما، أيضاً، بتأثير الفرق الأجنبية التي لا بد أن عرفت دمشق أيام الحملة المصرية (1831 - 1840)، عندما انفتحت تجارياً وسياحياً على الدول الغربية - وإن لم يتأكد لنا ذلك بالدليل القاطع - إلى جانب الفرق التركية والعربية التي أمت دمشق بين الأعوام 1868 - 1914 من الآستانة والقاهرة على وجه الخصوص<sup>(1)</sup>.

ولنا أن نتوقع بعد هذا، أثر المسرح بين المؤثرات الأخرى كالكتاب المطبوع، والمقالة، والقصة القصيرة. إنه، بلا ريب، الأشد وقوعاً والأقوى نفوذاً. ذلك أن المسرح امتداد للواقع أو هو صورة عنه، كما أنه أداة اتصال مباشر مع قطاعات شعبية تتمايز من حيث انتماءات أفرادها طبقياً مثلما هم يتمايزون ثقافياً، من مستوى الأمية إلى مستوى الأعيان فالثقفين والعلماء. نفهم ذلك مما أصاب تجربة القباني، ثم من تجربة القباني مع شريكه اسكندر فرح، ومن جاء بعدهما بقليل

---

في أواخر سنة 1894 وبقي فيها إلى نهاية القرن التاسع عشر. وفجع، في إحدى جولاته بالأقاليم المصرية بحريق مسرحه في القاهرة، بتأثير المنافسة، كما فجع من قبل بنهب وحرق مسرحه في دمشق سنة 1884.

عاد أبو خليل القباني إلى دمشق كسير القلب فقير الحال فاعتزل الحياة والناس، وعلم بأمره دمشقي ذو حول وطول في المابن السلطاني هو أحمد عزت العابد، فبعث يستقدمه إلى السلطان عبد الحميد الذي أنكر له أن يكون قد اصدر إرادة سنه بإغلاق مسرحه في دمشق سنة 1884، وعرضه عن جهاده الفني بمرتب شهري لم يهنأ القباني به طويلاً، فقد جرفته الطاعون بين من جرف في دمشق في 19 كانون أول 1902.

<sup>(1)</sup> لمعرفة أسماء هذه الفرق وغيرها، راجع كتاب الدكتور محمد يوسف نجم "المسرحية في الأدب العربي الحديث": القسم الأول، الباب الثاني.

أو كثير مثل حنا عنحوري، وفرقة عنبر، وفرقة جمعية النهضة العربية<sup>(1)</sup>.

واجه المسرح، إذن، في بداية عهده، بدمشق، مشاعر متناقضة، وتراوحت هذه المشاعر بين التأييد والشجب. وخلافاً لما هو مرتقب، فقد جاءه الدعم، كما أسلفنا القول، من طرف السلطة، بينما استقبله المستثيرون بشيء من التحفظ. وأما العلماء فقد أضمرُوا له الشر بوصفه بدعة طارئة مفسدة للأخلاق. وبقي عامة الناس، بين هؤلاء وأولئك، مشدودين بدافع الفضول والتسلية، إلى حين تفجرت فيه مظاهر العداة بعد فترة ولاية مدحت باشا بزمان قصير.

ولئن احتمل خصوم المسرح ثقل التجربة سنوات معدودة، وعلى مضض في غالب الأحيان، بسبب رعاية السلطة لها، كما يظن، وهو ما لا نقره تماماً، فذلك لأن التمثيليات الأولى التي قدمت على مسارح دمشق وهي: اسكندر المكدوني<sup>(2)</sup>، ناكر الجميل<sup>(3)</sup>، الملك وضاح ومصباح وقوت القلوب<sup>(4)</sup>، غايدة<sup>(5)</sup>، والأمير محمود نجل شاه العجم<sup>(6)</sup>، لم يكن فيها - كما سنرى - ما يبرر تجريد الحملة ضدها، استناداً إلى سلطة عليا، هي سلطة الدولة مباشرة. على أن المواجهة، بعد ولاية مدحت باشا، سرعان ما أسفرت عن تأليب الباب العالي ضد المسرح والعاملين به. وقد ألمحنا إلى ذلك في حينه. وإذا جاز لنا أن نعلل نجاح الخصوم في هذا الصدد، فلا بد من إرجاع السبب إلى عاملين اثنين، أحدهما اجتماعي والآخر أدبي بحت. وأما العامل الاجتماعي، فمرده كما أسلفنا، إلى اعتراض بعض

---

(1) راجع الفصل الثاني: التمثيل.

(2) سبقت الإشارة إلى مناسبة تقديمها بدمشق.

(3) قدمها القباني في دار جده أولاً. ثم شهدها الوالي صبحي باشا سنة 1870 فشجعه على الخروج بها إلى الجمهور.

(4) قدمها القباني على مسرح كازينو الطليان بدمشق سنة 1871.

(5) قدم القباني وشريكه اسكندر فرح هاتين المسرحيتين على مسرح جنينة الأفندي في سنة (1878) زمن ولاية مدحت باشا. وقد ترجم أولاهما عن الإيطالية سليم النقاش سنة 1870

(6) راجع الفصل الثاني: التمثيل.

المتزمتين على وجود المسرح من حيث المبدأ. إذ إنهم وجدوا فيه "خطباً جليلاً ورزءاً ثقيلًا لاستلزامه وجود القيان ينشدن البديع من الألحان بأصوات توظف أعين اللذات في أفئدة من حضر من الفتيان والفتيات"<sup>(1)</sup>.

وأما العامل الأدبي، فمرده إلى عجز تمثيلات القباني المذكورة، عن إقامة الجسور الثابتة، أو الواضحة بتعبير أدق، بين المسرح وجمهوره. فباستثناء مشاهد السجن التي تكررت فيها - رمزاً لواقع السجن الكبير الذي كان يغلف دمشق فكراً ومعيشة، أو لحالة الشدة التي تسبق الفرج - كان مسرح القباني مجرداً من المضمون السياسي أو الاجتماعي الواضح. وقد ساعد ذلك، على تقويض أركانه، نهياً وحرقةً كما تذكر بعض المصادر، أو عجزاً عن تغطية نفقاته كما يذكر بعضها الآخر.

على أن مرحلة الانطلاقة الأولى، تسجل لتمثيلات القباني، بأي حال من الأحوال دورها البارز في نشأة أدب التمثيلية، وانتشاره بين الجماهير الواسعة، سواء أكان ذلك في فترة وجوده في دمشق أو بعد هجرته إلى مصر في سنة 1884<sup>(2)</sup>، وإذا لم يكن بين مضامين هذه التمثيلات، ما يشدها إلى المجتمع الدمشقي بالذات، فقد كانت تحمل ملامح إنسان العصر الشرقي، في بلاد يسودها التخلف، والخرافة، والتناقضات. فالحب وما يعترضه من مشاق، كما في مسرحية "هارون الرشيد مع أنس الجليس"<sup>(3)</sup>، والسحر والوقائع الخارقة، كما في مسرحية "الأمير

(1) أدهم الجندي "أعلام الأدب والفن" 1 : 250.

(2) لتتبع نشاط القباني في مصر، انظر الدكتور محمد يوسف نجم "المسرحية في الأدب العربي الحديث" 115 - 122.

(3) تدور هذه القصة التي أخذها القباني عن القصة المروية في الليلة الخامسة والأربعين من ألف ليلة وليلة حول غرام "علي" بجارية اشتراها أبوه الفضل ابن خاقان لإهدائها إلى ابن سليمان، وتأثير أحد الحاسدين وهو "المعين بن ساوي" بغضب "ابن سليمان" على "الفضل" الذي يقرر عدم إهدائه الجارية "أنس الجليس"، لعلمه بعلاقة الحب التي تربط بينها وبين ابنه "علي" فيضطهده ويسومه العذاب. وقبل أن يلقي "الفضل" ابنه "علي" نهايتهما المحتومة يعلم "الرشيد" بتفاصيل القصة، وكيف قام "المعين" بتلفيق كتاب عنى لسانه يأمر فيه "ابن سليمان" بقتل الرجلين، فيقتصر من "المعين" و"ابن سليمان" ويجمع بين الحبيين.

محمود نجمل شاه العجم<sup>(1)</sup>، والحسد والغيرة، كما في مسرحية (هارون الرشيد والامير غانم بن ايوب وقوت القلوب)<sup>(2)</sup>، والوشاية والكذب كما في مسرحية "عفيفة"، أو عاقبة الصيانة وغائلة الحيانة<sup>(3)</sup>، والغدر والبطولات الخيالية، كما في مسرحية "عنتره"<sup>(4)</sup>، هي سمات هذا الإنسان الذي ألحنا إليه منذ قليل، وقد صورت بغير الأسلوب القصصي الذي رأيناه عند القساطلي والعسلي. ومهما كان

(1) خلاصة القصة أن الأمير "محمود" نجمل شاه العجم، يحب فتاة هي "زهر الرياض" رأى وجهها في صورة وقعت بين يديه. يقرر "محمود" البحث عن صاحبة الصورة فينتهي به الأمر حتى يصل إلى الهند. وهناك يعلم أن "زهر الرياض" موجودة في الصين وأنها ابنة ملك البلاد، فيهرع إلى الصين طالباً يدها من أبيها الملك. وتكون المفاجأة أن الفتاة مصابة بمس من الجنون، وأنها قد نذرت لمن يشفيها، ولم يتوان "محمود" عن أخذ المهمة على عاتقه، فيسارع إلى السحر يستعين به، وتكون النتيجة شفاء "زهر الرياض" وزواجه منها.

(2) أخذ القبانى وقائعها عن القصة التي رويت في الليلة الثانية والخمسين من ألف ليلة وليلة. وفيها تجرد الجارية "قوت القلوب" مخدرة في مقبرة مهجورة على مشارف بغداد، ومعها التاجر الدمشقي الأمير "غانم" الذي يكتشف حالتها فينقلها إلى داره لإسعافها. وعندما يحاول الأمير مغازلتها تخبره بقصة حب "الرشيد" لها، وغيره زوجته "زيدة" منها وكيف دبرت لها المكيدة بواسطة عجوز ماكرة قامت بتخديرها ورميها في القبر. عندئذ يحرص الأمير على تجنب مغازلتها، ثم ما تلبث أن تنقلب الصورة، فتحاول هي مغازلته. ويتفق ذلك مع وصول رجال "الرشيد" للقبض عليهما. فيهرب الأمير "غانم" وتقع هي في الأسر. إلا أن الجارية تتمكن من إقناع "الرشيد" ببراءتها وبراءة الأمير فيعضو عنهما. وتنتهي القصة بزواج "الرشيد" من شقيقة الأمير "غانم" وزوج الأمير من "قوت القلوب".

(3) يترك الأمير "علي" زوجته "عفيفة" في رعاية صديقه الأمير "سليم" ويذهب لنجدة حليفه الأمير "زهير". وتحدث الأمير "سليم" نفسه للتقرب من زوجة صديقه فتصده. انتقاماً منها يبعث الأمير "سليم" برسالة إلى الأمير "علي" يخبره فيها بخيانة زوجته له في غيابه. إلا أن الأمير علي سرعان ما يكتشف الحقيقة من خلال التحقيق بعد أن كان قد أمر بقتل "عفيفة" جزاء خيانتها. وفي غمرة ندمه على ما فعل يخبره الجلاد أن زوجته ما تزال على قيد الحياة، لأنه لم ينفذ فيها حكم الإعدام ليقينه بأنها بريئة. وتنتهي القصة باعتذار الأمير "علي" من "عفيفة" التي يعيدها إليه ويأمر بقتل الأمير "سليم" لوشايته الكاذبة.

(4) تتناول القصة فترة ما بعد زواج "عنتره" من "عبلة". وفيها يتخاصم "عنتره" مع غريم له يدعى الأمير "مسعود" الذي يتهم "عنتره" بأنه تزوج من "عبلة" خلافاً لإرادتها أملاً في إعادها عنه ليتزوج هو نفسه منها. ويحاول "مسعود" الإيقاع "بعنتره" بإرسال بعض رجاله لمحاربتهم وهم في لباس قبيلة تعادى عشيرة "عنتره" فيهزمهم شراً هزيمة، ثم يقتل "مسعود" بعد أن يكتشف أمره.

نصيب الاستحالة أو عدمها في وقائعها كما وردت في المسرحيات التي توافرت للدارسين أو لم تتوافر<sup>(1)</sup>، فإنها تبقى شاهداً على عصر معين وأناس ينتمون إلى بيئة محدودة.

وقد يكون عذر القباني، في عدم تحميل مسرحياته، قضايا جوهرية لمجتمع مقهور، رغبته في تجنب مواجهة السلطة. وقد يكون عذره، في هذا، عدم التنكر لفضل الولاة الذين وفروا له الرعاية والحماية، وهذا افتراض لا نصر عليه وإن كنا نسوقه، كأحد الاحتمالات. ومن هذا المنطلق، أيضاً، لا نقر ما قاله فيه أحد الدارسين، من أن القباني "متبع لا مبتدع"<sup>(2)</sup>. إنه، بحق، مبتدع الصيغة الأدبية الجديدة، التي رفدت المقالة، وأدب القصة، ولم تقل عنهما شأنًا في التأثير والتأثر. هذا بغض النظر عن قناعتنا - إذا جاز لنا الأخذ بمعايير النقد الحديثة - بضعف الحبكة المسرحية لديه، وحواره المتكلف، واحتفاظه بمبالات الأصول التي أخذ عنها أو سار على نهجها في تأليف مسرحياته، وما تضمنته مسرحياته عموماً من زركشة بيانية، وسجع ثقيل، وحشو غير مبرر فنياً لشعر ماثور أو أمثال دارجة على السنة الناس في ثنايا فصولها ومشاهدها.

ولنجاح القباني في مراحل الأولى، قبل أن يغضب عليه "بعض المتعصبين من المشايخ"<sup>(3)</sup>، أو "بعض الاستغلاليين من المشايخ"<sup>(4)</sup>، إبان رحيل الوالي مدحت باشا عن دمشق، أثره في تشجيع سواه على ارتياد التجربة. وكان ممن أقاموا مسرحاً في دمشق، حنا عنحوري وصديق له يدعى جورج أفندي ميرزا. وقد كان قوام مسرحهما الذي سمي "بمعرض الاتحاد" المسرحيات الغربية المترجمة إلى اللغة

(1) لم يطبع من آثار القباني سوى القليل، وهذا القليل أيضاً فقد معظمه.

(2) مجلة الكتاب القاهرية (1946) 4 : 586. مقالة بقلم زكي طليمات بعنوان "كيف دخل التمثيل بلاد المشرق".

(3) أدهم الجندي. "أعلام الأدب والفن" 1 : 250.

(4) شاعر مصطفى. "القصة في سورية" : 191 - 192.

العربية<sup>(1)</sup>. فأدى إلى تعطيله. ذلك، من منطلق ما يراه بعض الدارسين المعاصرين من أن "الذوق العام"<sup>(2)</sup> لم يكن مهياً لتقبل المسرحيات الأجنبية، وهذا استنتاج يزداد قبولاً لدينا بإضافة بعض العوامل الأخرى إليه، ومنها كون تمثيلات القباني قد خلقت لدى الدمشقيين مناخاً معيناً لعالم المسرح، ولأن صاحبي المسرح كانا من المسيحيين، وبسبب استعمالهما اللغة الفصحى في الحوار، فضلاً عن خلو "مرسح الاتحاد" من الرقص والغناء والمبالغات المصطنعة وبالتالي من مبررات جذب المتفرجين إليه. وجمهور المسرح، كما نقدر، إنه كان وبقوى دائماً، يتجاذبه قطباً التأليف المسرحي، فإما الفكرة التي تهزه من أعماقه، أو الوقائع التي تسرقه من همومه اليومية. ومن هنا جاء نجاح القباني وفشل الآخرين في سنوات التجربة الأولى للمسرح في دمشق. ومن هنا أيضاً، كان للمسرح فيها، في مطلع القرن الحالي، دوره في إذكاء الروح القومية لدى رواده. نفهم ذلك من الأثر الذي خلفته مسرحية "طارق بن زياد" عقب عرضها في عام 1908 من قبل "فرقة مكتب عنبر". فقد حمل ظهور المسرحية<sup>(3)</sup> أحد المدرسين الأتراك (مصطفى ثابت) على شتم العرب أمام طلبة مكتب عنبر، فثاروا عليه واعتصموا خارج صفوفهم حتى أمره والي دمشق بالتخلي عن مهام عمله<sup>(4)</sup>.

(1) يشير يوسف بك السبع، في هذا الصدد، إلى أن حنا عنحوري ترجم إلى العربية "أشهر الروايات الأدبية"، وذلك في مقدمة الرواية التي ترجمها العنحوري بعنوان "سقاء المحبين".

(2) شاكر مصطفى. "القصة في سورية": 193.

(3) لم يعرف مؤلفها، إلا أنها تشيد بمزايا التاريخ العربي وتذكر بالفتح العربي في الأندلس وقد يكون مؤلفها نجيب الريحاني كما يقول سامي الميداني، أو رشدي الشمعة (1856 - 1916) الذي كتب عدداً من الروايات الوطنية مثلت في دمشق، وفيها أروع معاني القومية العربية - انظر أدهم الجندى، "شهداء الحرب العالمية الأولى" 107. وقد أفادني الشيخ أحمد القاسمي ابن عم الشيخ جمال الدين، في لقاء معه بمنزله (24 / 3 / 1975) أن كاتب المسرحية واحد من ثلاثة هم رشدي الشمعة أو شكري العسلي، أو عبد الوهاب الإنكليزي، إلا أنه رجح الأول. وذكر بأن مخرج المسرحية شاب دمشقي يدعى مختار بن خليل أفندي الأيوبي.

(4) مجلة المضحك المبكي الدمشقية (1964): 1066، ومجلة الأديب (1973): 9: 13.

وبعدها بعام واحد، شهدت دمشق تمثيلية أخرى هي "فتاة الدستور" قدمتها "جمعية النهضة العربية". إلا أنها لم تكن كسابقتها، منتمية إلى قضية عربية خالصة، وقد ساعد انتماؤها إلى العهد الدستوري، روحاً، في عرضها للمرة الثانية في نهاية العام 1909. وكانت، على ما يظهر، آخر الصفحات التي طويت في تاريخ مسرح دمشق خلال حكم العثمانيين.

وهكذا، نجد أن أدب التمثيلية في دمشق، سار ضمن ثلاثة اتجاهات، أولها هو الاتجاه المحامد الذي عبر عنه مسرح القباني، فجاء خلواً من المرتكزات التي تعين على دراسته كنص أدبي له مقوماته الراسخة في تاريخ الأدب الدمشقي المعاصر. والثاني، هو الاتجاه الفني الذي اضطلع به صاحباً "مسرح الاتحاد" عنحوري وميرزا، مما لا يجعله يدخل في موضوع دراستنا هذه، لا من حيث ارتباطه بظاهرة الترجمة في أدب التمثيلية. والاتجاه الثالث، هو الاتجاه القومي الذي لقي من الاتحاديين، خصوم الفكر العربي، ما لقيته كل ألوان النشاط الأدبي الأخرى، فحرم جيلنا بذلك فرصة التعرف إليه بصورة معمقة ودراسته كتيار أدبي لعب دوراً في رقد الفكر القومي الذي نعيش اليوم أبعاده العريضة.

### خلاصة:

يتضح لنا، من سياق هذا الفصل، أن الفنون الأدبية الجديدة، لم تكن محصلة لجهود أتى عفواً، أو نتيجة انتقال مرحلي من واقع إلى آخر، أدى بدوره إلى إيجاد صيغ وقوالب أدبية جديدة مرافقة لها. بالعكس، كانت ولادة هذه القوالب والصيغ عسيرة، ونتيجة مواجهة مستمرة بين إرادتين كل منهما يسير باتجاه التصادم. أولاهما ممثلة بنظام الحكم، هدفها جر البلاد العربية إلى الوراء وإبقاؤها في ظلمات الجهل والتخلف، وثانيتهما ممثلة بالرغبة في التطور ومسايرة الركب الحضاري بما يتلاءم وتطلعات المستنيرين من أبناء العربية. وقد وجد عدد غير قليل من هؤلاء الأبناء في صحافة دمشق، خلال العهد الاتحادي، سبيلاً للكشف عن مساوئ العهود السابقة، فكانوا من أدوات تفويض النظام العثماني، في الوقت الذي استهدفهم فيه الاتحاديون ليكونوا أدوات تجريح لمن سبقوهم إلى مراكز الحكم.

إلا أن الاتحاديين سرعان ما فطنوا إلى مخاطر اللعبة التي ابتدؤوها بإطلاق حريات القول والكتابة، فعادوا إلى تطويق الصحافة المعارضة بعدد من الصحف الموالية، وجاهدوا من جديد، لربط الكلمة المقروءة بأهداف الدين حيناً، والعثمانية حيناً آخر، وبالقوموية التركية أولاً وأخيراً. ولعلنا لا نغالي إذا قلنا إن استهداف الصحافة المعارضة، بحذاتها، كان عملاً مخططاً بحكمة وبحبث. ففي مثل هذا المجال، تتسع ثقافة الجماهير وتنمو معارفهم، وفي القضاء على الصحافة المعارضة، بأية وسيلة مادية كانت أم معنوية، قضاء على كل ما يتهدد ركائز الحكم، أو ينسف مقولاته العنصرية، من تركية إلى عثمانية إلى طورانية.

إلا أن هذا لم يمنع، في فترات اليقظة العابرة التي شهدتها صحافة دمشق، إثر انهيار العهد الحميدي، من تدفق سيل المقالات التي حملت إلى جموع الناس، بذور الأمل، فعرفت أوساط الثقافة في أرجاء المدينة، ألواناً من المقالة السياسية والمقالة الاجتماعية كما عرفت ألواناً من الفنون الأدبية المستجدة كالقصة القصيرة، وأدب التمثيلية.

وقد رأينا فيما اجتزأناه من تلك الألوان جميعاً، تصارع الاتجاهات، واستماتة كل منهما للاحتفاظ بمواقعها التي احتلتها. إلا أن نشأة الفنون الأدبية كظاهرة مميزة في تلك المرحلة المتأخرة من القرن التاسع عشر، تعتبر، في تقديرنا، انعطافاً ذا قيمة بالغة الأهمية، في إرساء التطلعات المستقبلية على قاعدة صلبة من قواعد النضال الثقافي في نطاق الحركة الأدبية في دمشق، أسوة بما حدث في مصر في مطلع القرن ذاته وفي ولاية بيروت بعد انفصالها عن ولاية سورية. وكانت تلك القاعدة، بدورها، منطلقاً للأدب القومي الذي استكمل به الاتجاه المستقبلي أطره الواضحة مع بداية العشرينات من عصرنا هذا.



## خلاصة عامة:

ونحن نظوي صفحات هذه الفصول، نخرج عملياً، إلى دائرة الضوء التي ازدادت اتساعاً في أوائل هذا القرن. وإننا، باستخدامنا لعبارة الضوء، لا نتجنى على الأشخاص وإنما نحاول أن نصدر حكماً على النظام الذي كان سائداً في أيامهم. إننا لا ندين الأدباء في دمشق، ولكننا، دون تحفظ، ندين الحكام.

فقد عمل الحكام العثمانيون، في هذه الرقعة من البلاد، كل ما وسعهم من جهد، لإبقائها متخلفة، حتى لا تجد سبيلاً لها إلى حياة فكرية منظمة أو راقية كباقي البلاد والأمم السائرة في طريق التطور والحضارة. تجسد ذلك، في أنماط الإدارة المتردية في الولايات الخاضعة للحكم العثماني، ومنها ولاية سورية. فمن تعاقب السلاطين إلى تعاقب الولاة، ومن تسلط الجند إلى تسلط الأتباع والمتنفذين، ومن كوارث الطبيعة إلى كوارث الحروب. كل ذلك حمل بلاد الشام فوق ما تحتمل. وكان نصيب دمشق من انعكاسات تلك الأوضاع والمحن القسم الأوفر.

فبعد استقلال ولاية مصر عن جسم السلطنة (1805)، واستقلال بيروت ولاية (1887)، نفث العثمانيون حقدهم على العرب جميعاً في ربوع المدينة، فحال ذلك بينها وبين المعاصرة فترة أطول مما عانتها القاهرة وبيروت. عانت من سوء الأحوال الاقتصادية، ومن برائن الطائفية، ومن تخلف الفكر والثقافة، ما أتينا على ذكره في الفصل الأول بخاصة. ذقت قسوة الولاة، والمتزمتين من أهلها، بمقدار ما ذاقته من تناقضات السياسة الدولية وأثرها على الإمبراطورية العثمانية. فكان لذلك كله أثره على أجوائها الفكرية، فبقيت مغلقة، باهتة المعالم، إلى أواخر القرن التاسع عشر.

إلا أن طبيعة البشر، كطبيعة النبتة البرية، تفتتح وتكافح لتعانق الشمس. ودمشق، من هذه الناحية، ناحية نزوعها إلى البقاء كانت أشبه بتلك النبتة، فإلى حيثما يأتيها شعاع المعرفة تنجذب. أخذت من القاهرة كبرياءها وحرصها على بناء صرحها

الثقافي، ومن بيروت أخذت أيضاً الكثير. أخذت عن صحافتها حرية الرأي والقول وأفادت من حركتها المسرحية الناشطة، واستمدت القوة من صمود أنديةها الأدبية والسياسية. وكانت دمشق، في ذلك كله، كدودة القز تغزل حول نفسها خيوط المعرفة حتى تنطلق، من بعد، فراشة كباقي الفراشات في حقل الثقافة والحضارة.

وقد كانت الدولة العثمانية، بالمرصاد، لهذه المدينة دائماً. ونجحت، في أكثر من موقعة في أن تتغلب على إرادة أبنائها المتورين وتشتت جهودهم. فنهض بينهم من تمسك بمخلفات الآباء والأجداد، فتشكلت من فكرهم السلفي قاعدة الاتجاه السكوني الذي يفضل البقاء حيث هو، على التقدم خطوة إلى الأمام. كما نهض بينهم من سعى إلى التوفيق بين ما توارثه الأبناء عن الآباء والأجداد، وتطلعات جيل المرحلة إلى الغد، فأدت مساعيهم إلى نشأة الاتجاه الانتقائي، لبناء البيئة الاجتماعية، والثقافية، التي تريد أن تتخلص من حالة الجمود. ثم جاءت الفئة الطليعية من المستيرين، فراع دعائها أن يجدوا أمة بأكملها تنهار، بكل ما فيها من مقومات الحياة، حضارة عريقة، وديناً، ولغة، فانبثق عن جهودهم تيار مستقبلي، أراد أن يستيق الزمن فأرسي في أكثر من مجال علامة التحول، ودفع رجال هذا الاتجاه الثمن من حياتهم، وكان جزء من وقع منهم بين أيدي الحكام، الموت على أعواد المشانق في بيروت ودمشق (1915 - 1916). إلا أن هؤلاء المتورين لم تذهب معهم أقوالهم وأفعالهم، فكان نتاجهم الفكري البذور الفتية التي تلقنتها الأرض، لتنبت العشب من بعدها، وكان العشب هذه المرة، مرجاً أخضر.

ولعلنا لا نغالي إذا قلنا إن محصلة الحركة الأدبية في دمشق. كنتيجة لانتماءات أريابها إلى تلك الاتجاهات كانت حجر الزاوية لما نشهده اليوم من نهضة أدبية مشرقة، تتجلى في شعرها ونثرها.

\* \* \*

ويعد، فهذه الدراسة، إنما هي محاولة متواضعة، أردتها أن تكون كلمة طيبة غير جارحة، بحق الذين كانت الأبواب، كل الأبواب، مغلقة في وجوههم، أعثرت بهم أقدامهم، أم أنهم أرادوا أن يضلوا الطريق. كما أردتها أن تكون تحية للذين نذروا أنفسهم من أجل دمشق الغد، دمشق النهضة والفكر كما في أيامنا هذه.

ملحق (1)  
سلاطين آل عثمان<sup>(1)</sup>

1789 - 1918

الولادة - الوفاة	حكم من - إلى	سنة	شهر	يوم	
1762-1808	1789-1807	18	18	18	سليم الثالث
1779-1808	1807-1808	1	2		مصطفى الرابع
1784-1839	1808-1839	31	10		محمود الثاني
1823-1861	1839-1861	22	6		عبد المجيد
1830-1876	1861-1876	15	4		عبد العزيز
1840-1904	1876-1876	3	3	3	مراد الخامس
1842-1918	1876-1909	33			عبد الحميد
1844-1918	1909-1918	9			محمد الخامس

(1) "السالنامه العثمانية" لسنة 1321هـ / 1903م بمديرية الوثائق التاريخية. انظر أيضاً "أوليات سلاطين تركيا"، "تاريخ الدولة العثمانية" "تاريخ سورية في العصور الحديثة".

## ملحق (2) ولاية دمشق<sup>(1)</sup>

1799 — 1918

سنة التعيين	سنة	مدة الحكم شهر	يوم
1799	3		
1802	1		
1803	1		
1804	3		
1807	3		
1810	2		
1812	3		
1815	6		
1815	4		
1819	3		
1819	2		
1820	3		
1822	1		
1823	2		

(1) كتاب "سالنامه" لسنتي 1823 / 1312 هـ بمديرية الوثائق التاريخية بدمشق. انظر أيضاً "المنتخبات" - "حلية البشر"، "ولاية دمشق في العهد العثماني"، 1825 وتاريخ سورية في العصور الحديثة.

(2) لقب "دالي باشا" أي الباشا المجنون.

(3) لقب "بشيشمان" لسمنته المفرطة.

(4) نسبة إلى بلدة "بيلان" من أعمال لواء الإسكندرونه السليب في الوقت الراهن. والأصح القول: بيلانلي.

يوم	مدة الحكم شهر	سنة	سنة التعيين	
		2	1825	ولي الدين باشا
		1	1827	صالح باشا: صدر أسبق (مرة ثانية)
	2	2	1828	عبد الرؤوف باشا: صدر أسبق
		1	1830	سليم باشا
	3		1831	حاجي علي باشا <sup>(1)</sup>
		9	1831	"مصرلي" إبراهيم باشا <sup>(2)</sup>
20	1		1840	حاجي علي باشا (مرة ثانية)
		1	1841	نجيب باشا
	3		1841	أحمد باشا
		3	1842	"بغدادلي" علي رضا باشا <sup>(3)</sup>
	1		1845	خالد باشا
		1	1845	علي باشا
		2	1845	موسى صفوتي باشا
		1	1847	خليل كاملي باشا
		1	1848	عثمان باشا
		1	1849	"داماد" محمد سعيد باشا <sup>(4)</sup>
		1	1850	"أرزجانلي" أحمد عزت باشا <sup>(5)</sup>
	4		1851	أسحق باشا
	6	1	1851	علي عشقر باشا
	4		1853	محمد عارف باشا
		1	1854	صالح دامق باشا
	11		1855	محمود نديم باشا: صدر أسبق
	1		1856	مصطفى باشا
	11		1856	أحمد عزت باشا

(1) لقب "بعلو باشا".

(2) أي إبراهيم باشا المصري ومدة الحكم تشير إلى فترة الحملة المصرية على الشام.

(3) أي رضا باشا البغدادي.

(4) لقب يطلق للتفخيم.

(5) نسبة إلى أرزجان.

سنة التعيين	سنة	مدة الحكم شهر	يوم
1857	1		
1858	3		
1858	1		
1859	3		
1860	1		
1861	1		
1862	2		
1865	9		
1866	3	5	
1871	3	1	
1872	7	1	
1875	5		
1875	4	1	
1876	8		
1876	4		
1877	8		
1878	3	9	
1878	10	8	
1879	14	5	
1883	15	5	
1886	8	8	
1887	21	9	
1889	21	6	
1890	3	1	
1890		2	
1892	17	11	

"كوتاهيه لي" علي باشا<sup>(1)</sup>

خليل كاملي باشا (مرة ثانية)

أحمد عزت باشا (مرة ثانية)

معمرباشا

محمد أمين باشا

"ضبيطية مشيري أسبق" محمد باشا<sup>(2)</sup>

محمد رشدي باشا<sup>(3)</sup>

أسعد مخلص باشا

محمد راشد باشا

عبد اللطيف صبحي باشا

محمد حالت باشا

اسعد باشا

أحمد حمدي باشا

راشد ناشد باشا

ضياء باشا

عمر فوزي باشا

أحمد جودت باشا

مدحت باشا: صدر أسبق

أحمد حمدي باشا (مرة ثانية)

راشد ناشد باشا (مرة ثانية)

نظيف باشا

مصطفى عاصم باشا

عثمان نوري باشا

إسماعيل كمال بك (بالوكالة)

رؤوف باشا

عثمان نوري باشا (مرة ثانية)

(1) نسبة إلى بلدة كوتاهيه.

(2) أي رئيس ضابطة سابق.

(3) يلقب "بالشرواني".

يوم	مدة الحكم شهر	سنة	سنة التعيين	
26			1894	نصوحى بك (بالوكالة)
2		1	1894	حاجى حسن رفيق باشا
		13	1895	حسين ناظم باشا
	6		1808	شكرى باشا
	6	1	1909	حسين ناظم باشا (مرة ثانية)
		1	1910	إسماعيل فاضل باشا
	2		1911	على غالب باشا
	8		1911	حسين ناظم باشا (مرة ثالثة)
	2		1911	ناظم باشا
6		2	1912	عارف بك الماردينى
8	6	1	1914	خلوصى بك
10	6		1915	عزى بك
4	2	1	1916	تحسين بك
	8	1	1917	رأفة بك

### ملحق (3)

## مدارس دمشق في القرن التاسع عشر<sup>(1)</sup>

(1800 — 1918)

الأشرفية (اشتهرت بدار الحديث). العمرية. الشامية. القيمرية. الشامية. الصادرة. السميصاطية (أو: الشميصاتية). العادلية الكبرى. العادلية الصغرى. دار الحديث الناصرية (أو: الجوانية الكبرى). الظاهرية الابتدائية. السباهية. بيوم آغا. السليمانية. النورية. الریحانية. الباذرائية. الياغوشية. البدرقية. إسماعيل باشا العظم. عبد الله باشا العظم. سليمان باشا العظم. فتح الدين الفلانسى. نور الدين الشهيد. الملك العادل. الخضيرية. الكاملية الهاشمية. الهاشمية الثانوية. العلم والتهديب الإسلامى. الملا عثمان الكردي. المزبورة. الفتحية. أحمد شمسي باشا. المرادية الثانية الصغرى. الجوزية. الحافظية. الخياطين. الحياة الطيبة. العلمية الوطنية (1886). مكتب عنبر (1886). الطبية (1901). الروسية (1906). الآباء للعاشرين. دار المعلمين والحقوق. الروم الأرثوذكس. (أو: البطريركية). الإنجليزية. البطريركية الكاثوليكية. الكاثوليكية السريانية. الأرمن القدماء. السريان. اليعقوبيون. الفرنسييسكان. الإنكليزية. الإنكليزية اليهودية. الإنكليزية الإسلامية (للإناث). القلقجية. الإخنائية. البدرانية. السليمية. المرادية. كافل سيباي.

• دور القرآن: الخضيرية. الدلامية. الرشائية. الصابونية.

• دور القرآن والحديث: التنكزية.

(1) وردت أسماء هذه المدارس، متفرقة، في المصادر التالية: "حلية البشر" المنتخبات "روض البشر"، "منادمة الأطلال ومسامرة الخيال".



- دور الحديث الشريف : الأشرافية الأولى . الأشرافية الثانية ، البهائية . الحمصية . القلانسية . النورية .
- دور القراءة : الخضيرية . الرائية . الصابونية .
- مدارس ملحقة بالجوامع والمساجد التالية : الجامع الأموي ( وفيه مدرسة قبة النسر الشهيرة ) . تنكز . التوبة . الجديد . جراح . الجوزة . الحاجب . الحشر . الحنابلة . الحيوطية . خليخان . داريا . الدرويشية . دك الباب . السقيفة . السنانية . الياغوشية . العسالي . الكرعي . المرجاني . المزاز . المزة . المصلي . الملاح . ابن منجك . المنارة . البيضاء . يلغا . مسجد المسودية . سنان آغا . السويقة المحروقة . الصمادية . القصب . القلعة . وائلة بن الأسقع .
- مدارس التكايا : السليمانية . الأحمدية . السليمية . أبو البيان . الشاذلية . السعدية . الغواصية . السعودية . الشيبانية . البخارية . النقشية . المولوية .
- مدارس الزوايا : الأرموية . الحريرية . الحريرية الأعفوية . الدهستانية الرفاعية . السراجية . الشيخ أبو السعود . الشريفة . الطالبية . الطيبة الغسولية . الفقاعية . القلندرية الحيدرية . القلندرية الدنركزنية ( أو : القندرية الدركزية ) . القوامية البالسية . زاوية الموصلي . الوطية . اليونسية . بحارة الجوبان . ابن التمة . الحصنية . الداودية الدينورية . الدينورية الشبخية . الرومية . الشرفية . السيوفية . العمادية . المقدسية ( أو العمادية ) . النرثية . الأرمزية . الرومية . الدهنياتية . القوامية .
- مدارس الخوانق : الاسكافية . الأندلسية . الباسطية . الحسامية . الخاتونية . الدويرية . الروزنهارية . السرمانية . الشهاية . الشبلية . الشنباشية . الشرفية . الطاحون . العزية . القصر . القصاعية . الكججانية . المجاهدية . النجيبية . النجمية . الناصرية الأولى . الناصرية الثانية . اليونسية . السمساطية . الطارويسية . النحاسية . النهر .
- مدارس العلوم الفقهية والأدبية بحسب انتمائها مذهبياً :
  - 1- مدارس الشافعية : الأمنية . الباذرائية الشامية . البرانية ( أو الحسامية ) . الشامية الجوانية . الظاهرية . الجوانية . العادلية الكبرى . العصورنية . الكلاسة .

• المجاهدية البرانية. المجنونية (أو: السبع مجانين). المنكلانية. الإقبالية (للإناث). البهنسية الحمصية. العادلية. القيمرية الجوانية (أو: القطاط).

2- مدارس الخنفية: الجقمقية. الجهاركسية (السركسية). الجوهريّة. الحاجية (أو: الحاجبية). الركنية البرانية. الريحانية السيائية. الفتحية. القجامسية. النورية الكبرى. الخاتونية. الجوانية. القليجية. المرشدية. المعظمية. الماردانية. المقدمة الجوانية. المقدمة البرانية. النورية الكبرى.

3- مدارس المالكية: الشراييشية. الصلاحية. الصمصامية.

4- مدارس الخنابلة: الصاحبة (أو: الصاحبية) العمرية. الشيخية. المسمارية. الجوزية. المنجاية (أو: المنجائية).

• عدد مدارس دمشق وتلاميذها، وفق إحصاءات متناثرة وردت بين (1871 - 1896)<sup>(1)</sup>:

السنة	عدد المدارس	ذكور	إناث	مجموع التلاميذ
1871	74	1300		
	28		249	1549
1878	148	1300	1450	2750
1879	12	1145		
	7		1070	
	8	1100		
	1		150	
	4	250		
	1	60		
	1	100		
	0	700		
	12	350 (ذكور وإناث)		4925

(1) انظر: "الروضة الغناء: 117 - 120"، "الإدارة العثمانية في ولاية سورية: 260 - 261"، "القصة في سورية: 22"، "أسباب النهضة العربية: 45 - 47".

السنة	عدد المدارس	ذكور	إناث	مجموع التلاميذ
1880	19	567 (ذكور وإناث)		
	68	2579		
	16		498	
	1	80		
	1	116		3840
1882	4	1360		
	348	6995		
	8		532	8887
1885	23	1550		
	5		743	
	10	661		
	3		363	3317
1890	39		4060	4060
1896	1	585		585

## ملحق (4)

### أسماء الصحف والمجلات ومؤسسيها في دمشق

(1865 - 1916)<sup>(1)</sup>

#### 1- الصحف

1865/12/19 <sup>(2)</sup>	رسمية : بعناية الوألي أسعد مخلص باشا	سورية
1879/8/9	أحمد عزت باشا	دمشق
1896/7/22	مصطفى واصف	الشام
1908/10/1	ناصر بك أبو زيد	العصر الجديد
1908/11/12	محمد خير الدين	تكمل
1908/12/17	محمد كرد علي	المقتبس
1908/12/21	خالد فارصلي	روضة الشام
شباط 1909	سليم هاشم وتوفيق الحلبي ومسلم عابدين	دمشق
1909/4/2	-	ظهورك بالك
1909/4/3	محمد عارف الهبل	السكة الحجازية
1909/4/12	محمد عارف الهبل	حط بالخرج <sup>(3)</sup>
1909/4/16	-	أعطيته جملة
1909/11/9	عبد القادر بدران	موارد الحكمة
1919/12/4	توفيق الحلبي	الراوي
1909/12/4	أحمد كرد علي	الأمة
1909/12/13	محمد خير الدين	هلال عثمانى

(1) الفيكونت فيليب دي طرازي. "تاريخ الصحافة العربية" 4 : 50 - 52. راجع أيضاً معالم وأعلام" 1 : 101 ، "أضواء على الأدب المعاصر" : 208 - 209 ، "منتخبات التواريخ لدمشق" 2 : 704 "تطور الصحافة السورية في العهد العثماني.

(2) في بعض المصادر 1865/11/19.

(3) أصدر فخري البارودي مجلة فكاهية بهذا الاسم ولم تعمر طويلاً.

1865/12/19	رسمية : بعناية الوالي أسعد مخلص باشا	سورية
1910/12/28	يوسف الأهرامي	النفخة
شباط 1910 <sup>(1)</sup>	حبيب برهوم	الشرق
1910/4/6		اسمع وسطح
1910/7/23	أحمد العطار وأديب نظمي	المنتخبات
1910/12/19	أديب نظمي	الكائنات
1911/2/11	محي الدين شمدين	جحي
1911/4/29	مصطفى شوفي	البارقة
1911/8/10	عز الدين الأهرامي	النفخة "المصورة"
1991/8/14	علي الغبرة	النديم
1911/9/10	محمد فهمي الغزي	بردى
1912/1/11	محمد التهامي شطة	المهاجر
1912/2/28	سليم عنحوري	المشكاة
1912/3/17	حلمي فتياي	الاشتراكية
1912/3/18	خير الدين الزركلي ووجيه الكيلاني	الأصمعي
1912/3/18	داوود صدقي المارديني وعزت الحجار	الضمير
1912/3/19	شكري العسلي	قبس
1912/3/21	عزت الحجار وداوود صدقي المارديني	الصارخ
1912/3/23	حبيب الياس زحلاوي	الوفاق
1912/3/24	علي الشهابي	المجد
1913/9/30	شكري العسلي ومحمد كرد علي	القبس
1915/1/23	محمد التهامي شطة	الاتحاد الإسلامي
1916/4/27	خليل الأيوبي وتاج الدين الحسيني	الشرق
1916/9/30	خليل الأيوبي الأنصاري	الشرق مصور

(1) توقفت بعد صدور العدد الأول منها.

## 2 - المجلات

1886	كانون الثاني	سليم وحنا عنحوري	مرآة الأخلاق
1900/6/15		جورج متى وجورج سمعان	الشمس
1906/2/25 <sup>(1)</sup>		محمد كرد علي	المقتبس
1909/6/15		البطركية الأنطاكية الأرثوذكسية	النعمة
1910/8/7		عبد القادر الإسكندراني	الحقائق
1910/12/1		ماري عجمي	المروس
1913/4/9		المدرسة العلمية الوطنية	الناشئة
1913		أحمد عبيد	أنفس النفائس الروائية

(1) تأسست أولاً في القاهرة ثم انتقلت إلى دمشق في سنة 1908.

ملحق (5)  
الصحف والمجلات التي أسسها الدمشقيون  
خارج مدينتهم  
(1857 - 1906)

السلطنة	إسكندر شلهوب	الأستانة: 1857
مصر	أديب إسحق	القاهرة: 1877
التجارة	أديب إسحق وسليم نقاش	الإسكندرية: 1878
القاهرة	أديب إسحق	باريس: 1880
مرآة الشرق	سليم عنحوري	القاهرة: 1879
مصر	أديب إسحق	القاهرة: 1881
الشتاء	سليم عنحوري	القاهرة: 1906 <sup>(1)</sup>
المقتبس	محمد كرد علي	القاهرة: 1906 <sup>(2)</sup>

(1) أشار كرد علي إلى صدورهما بقوله: مجلة أصدرها بالقاهرة حضرة الشاعر الناصر ذي المعزة سليم بك عنحوري الدمشقي صاحب الدواوين الشعرية والروايات النثرية وهي أدبية علمية تاريخية فكاهية شعرية تظهر شتاءً وتحتجب صيفاً وقيمة اشتراكها أربعون قرشاً أميرياً. وقد تصفحنا العدد الأول منها فرأيناه طافحاً بالمقالات والمقاطع النظرية والخطرات المنثورة من بنات أفكار صاحبها فنشكر له همته ونشاطه في خدمة الآداب ونسأل له حسن التوفيق كما يجب ويجب له كل مشتغل بالأدب غيور عليه - المقتبس: المجد الأول، الجزء الثالث (1906: 156).

(2) نقلها صاحبها إلى دمشق في سنة 1908 بعد إعلان الدستور.

## ملحق (6)

### الجمعيات العربية

#### 1- جمعيات دمشق (1874 - 1906)<sup>(1)</sup>

1874	جمعية رباط المحبة
1875	الجمعية التاريخية
1878	الجمعية الخيرية
1887	جمعية الفنون الطيبة
1906	جمعية النهضة العربية

#### 2- جمعيات تأسست خارج دمشق وامتد نشاطها إليها

#### أو كان بين أعضائها دمشقيون (1875 - 1913)

جمعية بيروت السرية (الجمعية السورية السرية) بيروت 1875

ألف هذه الجمعية نخبة من الشبان المسيحيين الذين تخرجوا من الكلية السورية الإنجيلية. اتسع نشاطها إلى دمشق وطرابلس وصيدا، وسميت (بالجمعية السورية السرية). بظهور هذه الجمعية في بيروت سنة 1875 "انتقلت الحركة القومية من

---

<sup>(1)</sup> مرت تراجمها في بحث "الجمعيات الأدبية".



حيزها الأدبي إلى الحيز السياسي القومي<sup>(1)</sup>. تضمن برنامج الجمعية في منشورها  
المعلن في 31 / 1 / 1880.

- 1- منح سورية الاستقلال الذاتي متحدة مع جبل لبنان.
- 2- الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية في البلاد.
- 3- رفع الرقابة والقيود الأخرى التي تحد من حرية التعبير ونشر التعليم.
- 4- استخدام القوات المجنّدة من أهل البلاد في المهام العسكرية الداخلية فيها فقط.

## الأستانة 1909

## المنتدى الأدبي

أسس المنتدى جماعة من الموظفين والنواب والأدباء والطلاب ليكون مركزاً  
لإلقاء المحاضرات والأبحاث العلمية وتمثيل الروايات العربية. وهو "من النوادي  
الأدبية التي ظاهرها ثقافي وباطنها سياسي"<sup>(2)</sup>. وكان الدافع إلى تأسيس المنتدى في  
الأستانة سنة 1909 إحياء حركة المقاومة السرية لسياسة الاتحاديين. من أبناء دمشق  
الذين شاركوا في تأسيسه: رفيق العظم، رشدي الشمعة، شفيق مؤيد العظم.  
انتشرت فروع هذا المنتدى في الولايات العربية سورية ولبنان والعراق، وكان  
برئاسة عبد الكريم خليل. ظل يعمل حتى شهر آذار 1915. وفي هذه السنة أغلقت  
الحكومة الاتحادية وطاردت أعضائه وشنقت الكثيرين منهم في المجازر التي أعدتها  
للوطنيين بين عامي 1915 و 1916، "وكانت هذه الحكومة قد أظهرت للمنتدى  
صداقتها في البدء"<sup>(3)</sup>.

(1) توفيق برو. "القومية العربية في القرن التاسع عشر": 175 - 176.

(2) د. منير مشابك موسى. "الفكر العربي في العصر الحديث": 199.

(3) أحد أعضاء الجمعيات العربية. "ثورة العرب" 67 - 68.

## الجمعية القحطانية

الأستانة 1909

هي جمعية سرية، أسسها عبد الكريم خليل رئيس المنتدى الأدبي في نهاية صيف 1909 في الأستانة. انتظم بين أعضائها، وغالبيتهم من الضباط العرب في الجيش العثماني، من أبناء دمشق: حقي العظم، شكري العسلي، صفوت العوا. اعتبرت الجمعية العرب أمة قائمة بذاتها. ولهذا "سعت إلى أن تكون الدولة العثمانية ذات تاج مزدوج"<sup>(1)</sup> أي أن يكون للسلطان تاج عربي وآخر تركي. كما سعت الجمعية إلى إعادة تنظيم الدولة العثمانية من الأمتين العربية والتركية، بحيث تتكون من الولايات العربية مملكة مستقلة في نطاق الدولة، لها مجلس نيابي خاص، وحكومة محلية، ولغة رسمية هي اللغة العربية.

وبعد عام من قيام الجمعية، أفشى أحد أعضائها سرها، فأهملها أعضاؤها مما أدى إلى تلاشيها.

## جمعية العربية الفتاة

باريس 1911

أسس الجمعية عدد من الطلاب العرب الذين كانوا يدرسون في باريس سنة 1911 وهم "عوني عبد الهادي، محمد رستم حيدر، توفيق الناطور، رفيق التيمي، أحمد قدري"<sup>(2)</sup>. ومن أبناء دمشق جميل مردم. وكان هؤلاء ينادي بعضهم بعضاً بعبارة (يا أخي). أنضم إلى صفوف الجمعية عدد كبير من المثقفين والعاملين في الحقل الوطني وكذلك عدد من الضباط العرب في الجيش العثماني. نقل مركز الجمعية إلى بيروت في سنة 1913، ثم إلى دمشق في سنة 1914. وفي السنة التالية انضم إلى عضويتها الأمير فيصل بن الشريف حسين، وهو في طريق عودته من الأستانة إلى الحجاز.

(1) د. محمد بديع شريف. "دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة" 90.

(2) د. منير مشابك موسى. "الفكر العربي في العصر الحديث" 201.

ومنذ تاريخ تأسيس الجمعية لخصت مناهج عملها بالنقاط التالية :

- 1- تقرير مبدأ لا مركزية الدولة.
- 2- إنقاذ العرب من الحكم التركي.
- 3- استقلال الأقطار العربية وإقصاء أي نفوذ أجنبي عنها.

## جمعية اللامركزية الإدارية العثمانية      القاهرة 1912

عرفت هذه الجمعية باسم آخر هو "حزب اللامركزية الإدارية العثماني". تأسس برئاسة رفيق العظم، الدمشقي، بالقاهرة في سنة 1912. نص قانون الحزب في مادته الثالثة على "أنه ليس خفياً وليس فيه ما يعد من الأسرار. فهو ينشر مقصده المبني على المطالبة باللامركزية الواسعة جهراً وعلانية دون الخشية من أحد، ليقينه بأن الدولة لا تبقى في العالم السياسي إلا إذا بنيت حكومتها على أساس اللامركزية الإدارية"<sup>(1)</sup>. وكان تأسيس الحزب في الفترة القصيرة التي حكم فيها "حزب الحرية والائتلاف" البلاد في انقلاب تموز عام 1912.

من أبناء دمشق الذين ساهموا في تأسيس حزب اللامركزية: حقي العظم. ومن أبناء الولايات العربية الأخرى ومدنها: "عبد الحميد الزهراوي، رشيد رضا، رفيق رزق سلوم، داود بركات، اسكندر عمون، محب الدين الخطيب، شبلي شمیل، سامي الجريدني، عزة الجندي، فؤاد الخطيب، سليم عبد الهادي، حافظ السعيد، نايف تالو، علي النشاشيبي، عزت باشا العابد"<sup>(2)</sup>.

(1) ورد القانون في ثلاث وثلاثين مادة لم تتطرق أي منها إلى موقع اللغة العربية من أغراض الحزب. راجع القانون في: "ثورة العرب": 57 - 62.

(2) د. منير مشابك موسى "الفكر العربي في العصر الحديث": 203.

أسسها في 1913/10/28 بالاستانة عزيز علي المصري. وكانت عسكرية صرفة بين أبنائها اثنين فقط من المدنيين أحدهما عادل أرسلان. ومن أبناء دمشق انتظم في الجمعية ثلاثة ضباط في الجيش العثماني هم: عارف التوام، وسليم الحافظ، وجميل مدفعي، فوسع نشاطها بذلك إلى الأوساط الدمشقية، وتوحدت جهودها مع "جمعية العربية الفتاة" في سنة 1915. وكان دأبها العمل لقيام ثورة عربية ضد الدولة. "ولم تكن هاتان الجمعيتان تعرفان بوجود بعضهما البعض حتى العام المذكور"<sup>(1)</sup>.

(1) د. محمد بديع شريف. "دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة" 91.

## ملحق (7)

### الأثار المطبوعة والمخطوطة لأدباء دمشق وأهم مصادر دراستهم (1718 - 1898)

أسقطنا من هذا الثبت، أسماء الأدباء الدمشقيين الذين ليس لهم أثر مطبوع أو مخطوط. إلا أننا أتينا على ذكرهم في الملحقين المتعلقين بأدباء دمشق، الأول منهما باعتبار سني الولادة (1718 - 1898)، والآخر باعتبار سني الوفاة (1801 - 1976).

ونوضح، في هذا الصدد، أن الأثار التي سيلي تفصيلها، لم تطبع كلها في دمشق، وإنما تم ذلك في مدن أخرى كبيروت والقاهرة عموماً. وأما ما طبع منها في دمشق ذاتها، فقد احتواها الملحق رقم (8)، ونستشف منه مدى ما عاناه الفكر الدمشقي من ألم الغربة والمهاجرة.

ونوضح أيضاً، أن ما استبقيناه من تراجم أدباء دمشق، في حدود هذا الملحق، يتعلق بالأدباء الذين لم تكن لهم مشاركة مباشرة، أو ذات قيمة خاصة، في تاريخ الحركة الأدبية في دمشق. وبمعنى آخر، أبقينا تراجم الأدباء الذين لم نستشهد بهم في سياق الدراسة، وكذلك هؤلاء الذين ولدوا بعد سنة 1898، ولم يكونوا، لصغر سنهم، مؤهلين بعد لأداء دور فكري ما، زمن نشوب الحرب العالمية الأولى.

وما عدا هؤلاء، فقد وردت تراجمهم حيث أشير إليهم، في الفصول الثلاثة المتقدمة<sup>(1)</sup>. وكان غرضنا من ذلك، إظهار العلاقة بين المترجم له والواقعة الأدبية من جهة، ومن جهة ثانية وضع الأديب في إطار المرحلة التي شارك في رسم صورتها الأدبية.

### ● ابن عابدين، أحمد. (1823 – 1889):

أحمد بن عبد الغني بن عمر، المشهور كأسلافه بابن عابدين. تولى الإفتاء في بعض المدن الشامية الصغيرة، ثم عين أميناً للفتوى مع مفتي دمشق محمود حمزة (1821 – 1887).

#### أثاره:

1- كتاب في الفقه 2- كتاب في الطهارة والأنجاس 3- تبرئة الشيخ الأكبر المقصود شيخ الصوفية محي الدين العربي الأندلسي) مما نسب إليه من القول والاتحاد (رسالة) 4- الجزء الاختياري (رسالة) 5- إهداء ثوب الأعمال للنبي والآل (رسالة) 6- شرح علم الحال 7- شرح العقيدة الإسلامية (لمحمود حمزة) 8- شرح حديث ابن عباس احفظ الله يحفظك 9- شرح قصة المولد لابن حجر المكي أو: نثر الدرر على مولد ابن حجر (مخطوط).

#### المصادر:

- الأعلام 1: 147 - المنتخبات 2: 702 - معجم المؤلفين 1: 277 - الأعلام الشرقية 2: 80.

### ● ابن عابدين، محمد (أبو الخير). (1853 – 1925).

محمد بن أحمد بن عبد الغني. ويلقب بأبي الخير. واشتهر كأسلافه بابن عابدين. من فقهاء الحنفية. ولي مناصب مختلفة منها الإفتاء. توفي في بيروت ودفن في دمشق.

(1) تجد هذه التراجم في الصفحات التي أشير إلى جانب أرقامها بعبارة (وفيها ترجمته) في الملحق رقم (14).

## آثاره:

- 1- التقرير في التكرير 2- تحرير الأقوال في أخذ الحقوق من سائر الأعمال
- 3- حكمة تكرير القصص في القرآن الكريم (رسالة).

## المصادر:

- الأعلام 6: 248 - المنتخبات 2: 703 - معجم المؤلفين 8: 277.

## ● ابن عابدين، محمد أمين (1783 - 1836).

محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز بن نجم الدين بن صلاح الدين المشهور بابن عابدين. ويعرف أيضاً بصاحب الحاشية نسبة إلى أحد مؤلفاته.

## آثاره:

- 1- رد المختار على الدر المختار على متن تنوير الأبصار (ويعرف الكتاب بحاشية ابن عابدين وهو في خمسة مجلدات).
- 2- رفع الأنظار عما أورده الحلبي على الدر المختار
- 3- الإبانة عن أخذ الأجرة عن الحضانة
- 4- انحاف الذكي النبيه بجواب ما يقول الفقيه
- 5- إجابة الغوث ببيان حال النقب والنجباء والأبدال والأوتاد والغوث
- 6- أجوبة محققة عن أسئلة مفرقة
- 7- أعلام الأعلام بأحكام الإقرار العام
- 8- الأقوال الواضحة الجليلة في مسألة نقض القسمة ومسألة الدرجة الجعلية
- 9- بغية الناسك في أدعية الناسك
- 10- تحبير التحرير في إبطال القضاء بالفسخ بالغبن الفاحش بلا تقرير
- 11- تحرير العبارة فيمن هو أولى بالإجارة
- 12- تحرير النقول في نفقة الفروع والأصول
- 13- تنبيه ذوي الإفهام على بطلان الحكم بنقص الدعوى بعد الإبرام العام
- 14- تنبيه ذوي الإفهام على أحكام التبليغ خلف الإمام
- 15- تنبيه الغافل الوسنان على أحكام هلال رمضان
- 16- تنبيه الوقود على مسائل النقود
- 17- تنبيه الولاة والحكام على أحكام شاتم خير الأنام أو أحد أصحابه الكرام
- 18- الرحيق المختوم شرح قلائد المنظوم
- 19- رفع الاشتباه عن عبادة الأشباه
- 20- رفع الانتقاض ودفع الاعتراض على قولهم الأيمان مبنية على الألفاظ لا على الأغراض
- 21- رفع التردد في عقد الأصابع عند التشهد
- 22- سل الحسام الهندي لنصرة مولانا خالد

النقشبندني 23- شفاء العليل وبل الغليل في حكم الوصية بالختمان والتهاليل  
 24- العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية 25- العقود اللاكي في الأسانيد  
 العوالي 26- العلم الظاهر في نفع النسب الطاهر 27- العقود الدرية في قول الواقف  
 على الفرائض الشرعية 28- غاية البيان في أن وقف الاثنين على أنفسهما وقف  
 لا وقفان 29- غاية المطلب في اشتراط الواقف عود النصيب إلى أهل الدرجة  
 الأقرب فالأقرب. 30- الفوائد العجيبة في إعراب الكلمات الغربية (وبهامشه :  
 النهاية في التعويض والكتابة) 31- الفوائد المخصصة بأحكام كي الحمصة 32-  
 مناهل السرور لمبتغي الحساب بالكسور 33- منحة الخالق على البحر الرائق (حاشية  
 على البحر الرائق لابن نجيم المصري طبعت بهامشه) 34- منة الجليل لبيان إسقاط  
 ما على الذمة من كثير وقليل 35- منهل الواردين من بحار الفيض على نضر  
 المتأهلين في مسائل الحيض 36- نسمات الأسحار على شرح المنار (حاشية تسمى  
 بإضافة الأنوار) 37- نشر المعارف في بناء بعض الأحكام على العرف 38- الهدية  
 العائلية لتلاميذ المدارس الابتدائية 39- مجموعة رسائل ابن عابدين.

### المصادر:

- الأعلام 6: 268 - حلية البشر 3: 1230 - 1239 - روض البشر: 220 -  
 المتخبات 2: 643، 681، 682 - معجم المؤلفين 9: 77.

### ● ابن عابدين، محمد علاء الدين (1828 - 1888).

محمد علاء الدين بن محمد أمين المشهور كإسلافه بابن عابدين. فقيه حنفي. شغل العديد من المناصب القضائية، وكان عضواً في الجمعية العلمية ثم رئيساً ثانياً لمجلس المعارف بدمشق، ورئيساً للجمعية الخيرية فيها. كما عين نائباً في طرابلس سنتين ونصفاً. عمل بديوان أحكام العدلية باستنبول سنة 1868. وفي سنة 1871 عاد إلى دمشق بمرتبة شهري ووسام من الدرجة الرابعة، كما حاز على عدد من فرمانات الدولة العثمانية.



## آثاره:

- 1- قرّة عيون الأخبار لتكملة رد المحتار على الدر المختار - شرح تنوير الأبصار (جزءان) (أو: قرّة عيون الأخبار تكملة حاشية رد المحتار على الدر المختار)
- 2- الهدية العلائية 3- مثير الهمم الأبية إلى ما أدخلته العوام في اللغة العربية 4- زلة القارئ (أو: إغائة العاري لزلة القاري) (رسالة) 5- معراج النجاح شرح نور الإيضاح (أو: معراج النجاح على متن نور الإيضاح) (مخطوط).

## المصادر:

- الأعلام 7: 152 حلية البشر 3: 1335 1337 المنتخبات 2: 754 معجم المطبوعات: 155 نفحة البشام في رحلة الشام: 113 معجم المؤلفين 11: 193 تراجم أعيان دمشق: 24.

## ● أبو الشامات، محمود (1850 - 1922)

محمود بن محي الدين بن مصطفى، الشهير بأبي الشامات.

## آثاره:

- 1- المثال المضروب لكلام العارف النابلسي 2- التضمين على الوظيفة والسلوك 3- مولد 4- تضمين البراءة الشريفة 5- شرح الحكم 6- شرح التائية الكبرى (في أربعة مجلدات) 7- السر المكلم بمعرفة الاسم الأعظم 8- تخميس فائية الفارض 9- مولد 10- السنوحات (جمعه ولده الشيخ عبد الرحيم وضمنه كثيراً من كلامه) 11- المعشرات (رسالة) 12- الموالة (رسالة) 13- عروج المسالك ودنوه (رسالة) 14- لبس الخرقه والمصطلح عليها عند الصوفية (رسالة). وله قصيدة مطولة في إثبات وحدة الوجود.

## المصادر:

- المنتخبات 2: 797 - 799. معجم المؤلفين 12: 201.

● اسحق، أديب (1856 – 1885).

أديب اسحق.

آثاره:

1- الدرر 2- نزهة الأحداث في مصارع العشاق (أو فكاهة العشاق ونزهة الأحداق) 3- الحادثة الصينية 4- آثار الادهار (شارك في تصنيفه) 5- الباريسية الحسنة 6- غرائب الاتفاق 7- تراجم مصر في هذا العصر 8- رحلة إلى أوروبا 9- المسألة المصرية. وله في الترجمة والتعريب: 1- معجم المعاصرين (قسم منه) 2- كتاب في الأخلاق والعادات 3- كتاب في المسائل الصحية 4- اندروماك 5- شارلمان 6- ابنة رولاند. (معظم هذه الكتب تعرضت للسرقة والتلف على أثر وفاته. ولولا كتابه "الدرر" الذي جمعه أخوه عوني بعد وفاته لضاع فكره واندثر).

المصادر:

- الدرر (جزءان) معجم المطبوعات العربية والمعربة 1: 419 الأعلام 1: 274  
زعماء الإصلاح في العصر الحديث: 70 القومية العربية في القرن التاسع عشر:  
158 - 159 ، 161 ، 164 ، 165 الاتجاهات الأدبية في العالم العربية الحديث: 59  
الفكر العربي في مائة سنة: 63 الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام: 35 الموسوعة  
العربية الميسرة: 105 رواد النهضة العربية: 235 - 148 تاريخ آداب اللغة العربية  
4: 609 فنون الأدب المعاصر في سورية: 19 - 20 ، 80 تراجم مشاهير الشرق في  
القرن التاسع عشر 2: 94 - 100 ، 279 الفكر العربي في العصر الحديث: 47 ، 49 ،  
55 ، 59 الأدب العربي المعاصر في سورية: 128 - 129 تاريخ الأدب العربي:  
1038. أديب اسحق ، باعث النهضة القومية.

● الأسطواني، حسن ( 1821 - ).

حسن بن أحمد بن عبد الرحمن الأسطواني

آثاره:

1- ديوان شعر

## المصادر:

- الأعلام 2: 196 روض البشر: 70 معجم المؤلفين 3: 200

### ● الأسطواني، سعيد ( 1814 - )

سعيد بن علي ، الشهير كإسلافه بالأسطواني.  
تولى قضاء بغداد.

### آثاره:

1- كتاب في النحو.

## المصادر:

- المنتخبات 2: 611 معجم المؤلفين 10: 33

### ● الإسلامبولي، أحمد (1805 - 1864)<sup>(1)</sup>

أحمد بن عمر بن أحمد ، الشهير كإسلافه بالإسلامبولي.  
فقيه حنفي. تصدر التعليم والتدريس. ولما مات السلطان عبد المجيد (1823 -  
1861)، وتولى الخلافة من بعده السلطان عبد العزيز (1830 - 1876)، سافر إلى  
الأستانة، وعاد منها بحوالي خمس وسبعين براءة للخطابة في جوامع دمشق، فرقها  
على أقرانه علماء ومشايخ دمشق.

### آثاره:

1- شرح الدرر 2- تحفة الناسك في بيان المناسك 3- مناسك في الحج مختصرة  
ومطولة (مخطوط).

## المصادر:

- المنتخبات 2: 642 روض البشر: 21 حلية البشر: 1: 192 معجم المطبوعات  
1: 378 معجم المؤلفين 2: 28.

<sup>(1)</sup> ورد اسمه في "روض البشر: 21" أحمد الاستانبولي.

## ● الإنكليزي، عبد الوهاب (1878 – 1916)

عبد الوهاب بن أحمد الإنكليزي

تعلم في دمشق، بمدرسة الحقمقية الرشدية. ولدى إلغاء المدرسة المذكورة في عام 1893 نقل مع باقي طلابها إلى صف معادل لصفهم في مكتب عنبر الإعدادية بدمشق. درس الحقوق في المدرسة الشاهانية (الملكية) في الأستانة وتخرج منها في سنة 1902. عينه الوالي مدرساً للأدب والإنشاء التركي في المدرسة الطبية المنشأة في دمشق. مارس المحاماة، وكان من الذين انتظموا في تشكيلات حزب اللامركزية في سنة 1912. حكم عليه ديوان عاليه العرفي بالإعدام، ونفذ الحكم فيه يوم 5/6/1916 مع طائفة من زعماء الأمة العربية، وذلك في ساحة الشهداء بدمشق.

آثاره:

1- التاريخ العام (طبع جزء منه).

المصادر:

- الأعلام 4: 332 شهداء الحرب العالمية الأولى 102 معجم المؤلفين 6: 217.

## ● الأيوبي، توفيق ( 1932 – )

توفيق بن محمد أبي السعود بن سعدي الأيوبي.

تخرج من المدارس الحكومية بدمشق. فقيه حنفي. حذق اللغتين العربية والتركية، وكان له إلمام بالفارسية. مدرس العلوم الدينية في معهد الحقوق بدمشق وكان له ميل إلى التصوف وتذوقه. كما درس في الجامع الأموي. وكان، على ما يذكر صاحب "حلية البشر" وشغل منصب مدير المدرسة السمساطية فترة. من تلاميذه المعاصرين عمر رضا كحالة صاحب معجم المؤلفين.

آثاره:

1- الأحكام العدلية.

المصادر:

- حلية البشر 1: 425 - 429.

## ● الأيوبي، محمد (1767 – 1834).

محمد بن مصطفى بن محمد بن رحمة الله الأيوبي الرحمتي.  
فقيه حنفي. أقام فترة في المدينة المنورة. وعاد إلى دمشق سنة 1810 وكان  
مدرساً في الجامع الأموي.

آثاره:

أشار صاحب روض البشر، إلى أن له مؤلفات نافعة، لكنه لم يصدرها

المصادر:

- روض البشر: 205 معجم المؤلفين 12 : 276

## ● البارودي، فخري (1885 – 1966).

فخري البارودي

تلقى مبادئ علومه في الكتاتيب الأهلية بدمشق، ثم درس في مكتب عنبر  
ونال شهادته الإعدادية منه. لما وقعت الحرب العالمية الأولى (1914) التحق  
بالمدرسة الحربية لضباط الاحتياط وتخرج منها برتبة ملازم ثان.

وقع في الأسر في موقعة بئر السبع، وأثناء ذلك التحق بالجيش العربي  
الشمالي. ولما توج الملك فيصل ملكاً على سورية عين مرافقاً له، وبقي كذلك إلى  
ما قبل دخول الفرنسيين دمشق بأسبوع (1920) حيث عهد إليه بمديرية شرطة  
دمشق. أحب الموسيقى وساهم في تطويرها. كما عمل في حقل الصحافة فصدر  
مجلة فكاهية أسماها "حط بالخرج"، لم تعمر طويلاً.

آثاره:

1- مذكرات فخري البارودي (جزءان) 2- كارثة فلسطين 3- السفور  
والحجاب 4- اقرأ وفكر واحكم 5- رسالة ابن غوريون إلى حزب الماباي.

المصادر:

- أعلام الأدب والفن 1 : 282 - 283 معالم وأعلام 1 : 101

● الباني، محمد سعيد (1876 – 1933)

محمد سعيد بن عبد الرحمن بن الشيخ عثمان الباني

آثاره:

1- تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر

المصادر:

- شهداء الحرب العالمية الأولى: 175 معجم المؤلفين: 10 : 30

● البخاري، سليم (1851 – 1928)

تعلم في المدارس التركية ، وقرأ علوم الدين واللغة والأدب على بعض علماء دمشق والعرب. يعتبره الدارسون من طلائع الإصلاح الديني واليقظة الحديثة في سورية. بعد زوال حكم العثمانيين عين عضواً في مجلس الشورى ثم عضواً في مجلس المعارف تولى منصب رئاسة العلماء ، ثم اعتزل العمل ومات معتكفاً. وهو من أوائل أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق.

آثاره:

1- آداب البحث والمناظرة (رسالة) 2- حل الرموز في عقائد الدروز (مخطوط).

المصادر:

- الأعلام: 176 - 177 المنتخبات: 2 : 844 معجم المؤلفين 4 : 243

● البرهاني، مصطفى ( 1849 – )

مصطفى بن محمد بن علي ولي بن محمد بن بني جان المعروف بالبرهاني.

آثاره:

1- حاشية على الدر المختار

## المصادر:

- روض البشر: 241 - 242

### ● بريك، ميخائيل ( - بعد 1889 )

الخوري ميخائيل بريك الدمشقي الأرثوذكسي

صنفه عمر كحالة في معجم المؤلفين لبنانياً، فيما أكد صلاح الدين المنجد على أنه دمشقي. ولم ترد تفصيلات عن حياته في أي من المصدرين. والأرجح أنه دمشقي.

### آثاره:

1- حوادث الشام من سنة 1720 - 1782. 2- جامع تواريخ الأزمان وزهرة أعاجيب الكون والأوان. 3- الخلاصة الوفية في تاريخ بطاركة الكنيسة الأنطاكية من سنة 1532 - 1767.

## المصادر:

1- المؤرخون الدمشقيون: 38 معجم المؤلفين: 13 : 57

### ● البزم محمد ( 1887 - 1955 )

محمد بن محمود بن سليم البزم.

مولده ووفاته في دمشق. قاريت سنه العشرين وهو لا يعلم من القراءة إلا بعض سور قصار من القرآن الكريم. التقى بالشيخ عبد القادر بدران الدوماني فقرأ عليه شيئاً من ديوان المتنبي وبعض شعراء العربية. ثم اتصل بالشيخ جمال الدين القاسمي (1866 - 1914) فقرأ عليه البلاغة والمنطق.

كما قرأ العلوم العربية على صالح التونسي وبعد ذلك انصرف إلى المطالعة بنفسه. وعمل في صباه بالتجارة مع أبيه. وفي عام 1913 انتدبه الشيخ كامل القصاب مدرساً للعربية في مدرسة "العثمانية"، فلم يزل كذلك حتى نشبت الحرب

العالمية الأولى فانتظم كاتباً في أحد المصححات العسكرية. ثم عاد فامتحن التدريس في مدارس دمشق الثانوية حتى وفاته. وفي أواخر العهد الحميدي ثم في عهد الاتحاديين أخفى كثيراً من نتاجه القومي عند أمه وطلب إليها أن تبالغ في الحرص عليه ، فبادرت أمه ، بدل ذلك ، إلى إتلاف ما أودعها إياه خوفاً على ولدها من البطش والتتكيل ، فأضاعت بذلك تراثاً من فكر الثورة العربية نظمه أحد شعرائها ومؤرخيها.

### آثاره:

1- كلمات في شعراء دمشق 2- الجحيم (مخطوط لم يبيضه ولم يتمه) 3- ديوان شعر طبع بعد وفاته.

### المصادر:

- الموسوعة العربية الميسرة: 370 أعلام الأدب والفن 2: 132 فنون الأدب المعاصر في سورية: 399 - 400 الأدب العربي المعاصر في سورية: 220 - 223 شخصيات 67 - 94 معجم المؤلفين 12 : 6

### ● بولاد، أنطون ( - 1871 )

#### الخوري أنطون بولاد

ترهب في دير المخلص سنة 1815. تولى رئاسة دير القديسة تقلا وعلم اللاهوت والرهبنة. اعتزل الأشغال وانقطع إلى الفرائض النسكية في دير المخلص. انتقل في سنة 1860 إلى بيروت أثر الفتنة الدينية في العام المذكور، فسكنها إلى يوم وفاته فيها.

### آثاره:

- راشد سورية

### المصادر:

- معجم المطبوعات 1 : 606



## ● البيطار، عبد الرزاق (1837 – 1916)

عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم بن حسن بن محمد بن حسن البيطار.

### آثاره:

- 1- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (ثلاثة أجزاء) 2- رحلة القدس
- 3- الرحلة البعلية. وله بضع عشرة رسالة في الأدب والتاريخ لم يطبع منها شيء.

### المصادر:

حلية البشر - المقدمة ، 1 : 9 - 20 الأعلام 4 : 125 أعلام الأدب والفن  
1 : 220 - 222 نفحة البشام في رحلة الشام : 145 ، 192 - 195 المؤرخون  
الدمشقيون في العهد العثماني : 77 روض البشر : 70 المنتخبات 2 : 276 ، 858 .  
معجم المؤلفين : 5 : 217 .

## ● البيطار، محمد بهجت (1894 – 1976)

محمد بهجت بن بهاء الدين بن عبد الغني البيطار.

تلقى علومه في المدارس الابتدائية والثانوية بدمشق. درس العلوم الدينية  
والعربية على والده الشيخ بهاء الدين وجده لأمه الشيخ عبد الرزاق البيطار،  
وحصل قسطاً وافراً من المعارف على الشيخين جمال الدين القاسمي، ويبر الدين  
الحسني، محدث الشام.

### آثاره:

- 1- نقد عين الميزان 2- الثقافتان الصفراء والبيضاء 3- تخريج الحديث 4- إكمال  
تفسير الإمام محمد رشيد رضا لسورة يوسف 5- تحقيق مسائل الإمام أحمد  
(لتلميذه أبي داود صاحب المتن وتعليقات عليه وهو أقدم كتب المكتبة الظاهرية)
- 6- نظرة في النفحة الذكية 7- تخريج أحاديث كتاب البخلاء للجاحظ 8- الموفي في  
النحو الكوفي (شرح وتعليق).

## المصادر:

- أعلام الأدب والفن 2: 138.

● التاجي، هبة الله. (1738 - 1809).

هبة الله بن محمد بن عبد الرحمن بن تاج الدين البعلبي الشهير بالتاجي

## آثاره:

1- حاشية على "الأشباه والنظائر" لابن نجيم. ومؤلفات أخرى لم ترد  
أسمائها في ترجمته ولم تعرف.

## المصادر:

- حلية البشر 3: 1576 - 1578 روض البشر: 256 معجم المؤلفين 11:  
310، 12: 90، 13: 144، 417.

● التغلبي، حسن (1877 - )

حسن ماجد بن عبد المحسن بن عمر التغلبي.

## آثاره:

ديوان شعر (حافل بأنواع القصائد وأكثرها بمدح الرسول وعترته الطاهرة)

## المصادر:

- أعلام الأدب والفن 1: 235 - 236

● التقبي، أديب (1895 - 1945)

من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق

## آثاره:

ديوان شعر

## المصادر:

– الأعلام 1: 274 – 275 فنون الأدب المعاصر في سورية: 365 – 366  
الاتجاه القومي في الشعر المعاصر: 76.

● تملو، محمد ( 1865 – )

محمد بن عبد الله بن عمر الشهير بـ "تملو".

تخرج على شيخه ابن عابدين، صاحب الحاشية المار ذكره. وأخذ الطريق إلى العلوم عن الشيخ خالد النقشبندي. سافر إلى الأستانة في سنة 1836 بدعوة من السلطان محمود الثاني.

## آثاره:

1- قصة المولد النبوي 2- الرد على من أنكر على خالد النقشبندي 3- رسائل  
(لم تعرف)

## المصادر:

– الأعلام: 7: 121 المنتخبات 2: 686 – 687 روض البشر: 207 معجم  
المؤلفين: 10: 228.

● التنوخي، عز الدين (1889 – 1966).

بدأ حياته بتعلم القرآن الكريم في المدرسة الابتدائية السباهية. ثم تعلم مبادئ اللغات العربية والتركية والفارسية والفرنسية في المدارس الرشدية الابتدائية والعالية. انتقل إلى مدرسة الفرير الفرنسية ومنها سافر إلى مصر وتعلم في الأزهر. ودعي إلى خدمة العلم في سنة 1914، ففر من الخدمة لإطلاعه على سوء نوايا جمال باشا السفاح، والتحق بالثورة العربية الكبرى عن طريق العراق حيث عين وزيراً للزراعة هناك. في سنة 1918 انضم إلى الجيش العربي في العقبة ودخل دمشق مع أفراده في نهاية الحرب العالمية الأولى. كان عضواً في مجمع اللغة العربية بدمشق حتى وفاته.

## آثاره:

1- دروس في صناعة الإنشاء 2- مبادئ الفيزياء (جزءان) 3- شرح الإيضاح (للقزويني) 4- إحياء العروض 5- تحقيق كتاب تكملة إصلاح ما تغلط به العامة 6- تحقيق كتاب المنتقى من أخبار الأصمعي (للإمام الربيعي) 7- تحقيق كتاب بحر العوام في ما أصاب فيه العوام 8- تحقيق كتاب الأبدال (لأبي الطيب اللغوي)، جزءان 9- تحقيق كتاب المثنى (لأبي الطيب اللغوي) 10- تحقيق كتاب الأتباع (لأبي الطيب اللغوي) 11- تحقيق كتاب مقدمة في النحور (لخلف الأحمر) 12- الفتح المبين في شرح عينية ابن سينا الرئيس. كما شارك في وضع المعجم العسكري: "فرنسي عربي، إنكليزي عربي"، وعرب كتاب "قلب الطفل" عن آدمون دو أميتش. (جزءان).

## المصادر:

- الأدب العربي المعاصر في سورية: 237 - 239 مجلة المعرفة (دمشق)، السنة الخامسة (1966)، العدد 54: 123 - 126.

● جبري، شفيق. (1898 - )

شفيق بن درويش بن محمد جبري.

درس العلوم الابتدائية والثانوية في مدرسة الآباء العازاريين بدمشق. بدأ نظم الشعر ونشره في أعقاب الحرب العالمية الأولى.

## آثاره:

1- الجاحظ 2- المتنبي 3- دراسات في الأغاني 3- بين البحر والصحراء 5- العناصر النفسية في سياسة العرب 6- محمد كرد علي 7- أرض السحر (رحلته إلى الولايات المتحدة الأمريكية) 8- ديوان شعر (مخطوط).

## المصادر:

- أعلام الأدب والفن 2: 143 فنون الأدب المعاصر في سورية: 405

## ● الجزائري، سليم (1879 - 1916).

سليم بن محمد بن سعيد الحسني الجزائري.

أصله من الجزائر. بلغ رتبة قائم مقام أركان حرب في الجيش العثماني. مولع بالرياضيات. عالج سياسة العرب والترك وجاهر بأرائه الحرة مطالباً مساواة العرب بالترك في الحقوق، فنقم عليه غلاة الاتحاديين بسبب آرائه في هذا الصدد. ساهم في تأسيس جمعية فتیان العرب والجمعية القحطانية وجمعية العهد. وكتب عدداً من الأناشيد الوطنية. حكم عليه ديوان عاليه العرفي بالإعدام، ونفذ فيه الحكم ببيروت يوم 6 أيار 1916 مع قافلة من رجالات العرب الوطنيين.

آثاره:

ميزان الحق (كتاب في المنطق).

المصادر:

- الأعلام 3: 180 شهداء الحرب العالمية الأولى: 15 - 16 دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة: 101 معجم المؤلفين 4: 249.

## ● الجزائري، طاهر (1852 - 1920).

طاهر بن صالح (أو محمد صالح) بن أحمد بن موهوب السمعوني الجزائري.

آثاره:

1- إتمام الأنس في عروض الفرس 2- إرشاد الألبا إلى طريق تعليم ألف با  
3- بديع التلخيص وتلخيص البديع 4- تدريب اللسان على تجريد البيان 5- تسهيل  
المجاز إلى فن المعنى والألغاز 6- التقريب لأصول التعريب 7- تمهيد العروض إلى فن  
العروض 8- التمرين على البيان والتبيين 9- توجيه النظر إلى أصول علم الأثر  
10- جدول الحروف العربية القديمة والحديثة والهندية واليونانية 11- الجواهر  
الكلامية في العقائد الإسلامية 12- حدائق الأفكار في رقائق الأشعار 13- الحكم  
المنثورة 14- دائرة في معرفة الأوقات والأيام 15- رسائل في علم الخط 16- شرح  
ديوان خطب (لابن نباته) 17- شرح خطبة الكافي 18- عمدة المغرب وعدة المغرب

19- الفوائد الجسام في معرفة خواص الأجسام 20- مدخل الطلاب إلى علم الحساب 21- مد الراحة لأخذ المساحة 22- مراقبي علم الأدب 23- منية الأذكياء في قصص الأنبياء 24- ميزان الأفكار شرح معيار الأشعار 25- التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن 26- التذكرة الطاهرية (مخطوط)

وله رسائل في النحو، والبديع، والبيان، والعروض، ومختصر أدب الكاتب (لابن قتيبة)، ومختصر أمثال الميداني، ومختصر البيان والتبيين (للجاحظ). هذا فضلاً عن تفسيره في أربعة مجلدات وبعض كنايشه وفيها خلاصات مما طالعه من الكتب والأسفار والأفكار (مخطوطة)، كذلك من مخطوطاته الإلمام بأصول سيرة النبي ﷺ مقاصد الشرح، المتقى من الذخيرة (لابن بسام).

#### المصادر:

الأعلام 3: 320 - 321 المنتخبات 2: 738 - 739 الفكر العربي في العصر الحديث: 221 - 222 أعلام الأدب والفن 1: 223 - 224 الأدب العربي المعاصر في سورية: 102 كنوز الأجداد: 5 - 28 معجم المطبوعات 1: 681 - 691 معجم المؤلفين 5: 35.

#### ● الجزائري، عبد العزيز (1860 - 1904)

عبد العزيز ابن الأمير الحسن ابن الأمير علي طالب

#### آثاره:

ديوان شعر (مخطوط)

#### المصادر:

- أعلام الأدب والفن 1- 238 معجم المؤلفين 5: 45.

#### ● الجزائري، محمد عبد القادر (1840 - 1913)

محمد بن عبد القادر بن محي الدين الحسني الجزائري

مؤرخ عكف على سيرة أبيه الأمير عبد القادر، فجمع ما تفرق منها.

## آثاره:

- 1- تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر (جزءان) 2- عقد الأجياد في الصافنات الجياد 3- له مجموعة من الرسائل (لم تعرف).

## المصادر:

- الأعلام 7 : 82 معجم المطبوعات : 694 مجموعة المؤلفين 10 : 184.

● الجزائري، محمد ( - )

محمد بن محمد المبارك الجزائري

## آثاره:

- 1- أبهى مقامة في المفاخرة بين الغربية والإقامة 2- غريب الأبناء في المفاخرة بين الأرض والسماء 3- نضرة البهار في محاور الليل والنهار 4- المقامة اللغزية.

## المصادر:

- القصة في سورية : 40.

● الحسنيني، محمد بدر الدين (1851 - 1935)

محمد بن يوسف بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب عبد الله بن عبد الملك بن عبد الغني الحسنيني.

عالم بالدين. حفظ الصحيحين غيباً بأسانيدهما ونحو 20 ألف بيت من متون العلوم المختلفة. انقطع للعبادة والتدريس. ارتفعت مكانته عند الحكام والأهلين. وكان يأبى المناصب كالإفتاء والتصنيف. ويعتبر أباً روحياً للشوار ضد جنود الاحتلال الفرنسي لسورية.

## آثاره:

- 1- رسالته في سنده لصحيح البخاري 2- رسالته في شرح قصيدة "غرامي الصحيح" في مصطلح الحديث.

## المصادر:

- الأعلام 8 : 33 - 34 الموسوعة العربية الميسرة: 332 معجم المؤلفين 12 : 139.

● الحسيني، أبو السعود ( - بعد 1867 )

أبو السعود بن أحمد بن علي، المشهور بالحسيني.

## آثاره:

1- حادثة في دمشق لسنة 1260هـ - 1844م (مخطوط)<sup>(1)</sup>

2- حادثة الستين (مخطوط) 3 مجموعة تراجم لدمشقيين توفوا في القرن الثاني عشر (مخطوط).

## المصادر:

- حلية البشر 1 : 100 معجم المؤلفين 9 : 231.

● الحسيني، أحمد (1812 - 1886).

أحمد بن سعيد بن محمد منير الحسيني.

فقيه شافعي. عمل مدرساً في المدرسة الاخوانية.

## آثاره:

1- رفع الحجاب عن معنى الطلاب 2- شرح ايساغوجي في المنطق.

## المصادر:

- معجم المؤلفين 1 : 235

<sup>(1)</sup> هكذا ورد في "حلية البشر: ولم تعثر له على أثر في محفوظات دار الكتب الظاهرية، ونعتقد أن البيطار أراد به كتابه المخطوط "حادثة الستين".



● الحسيني، عبد القادر (1862 – 1918).

عبد القادر ابن السيد درويش بن محمد بن حسين بن يحيى الشهير بابن حمزة الحسيني.

فقيه حنفي. من العلماء. انكب على التحصيل وطلب العلم وتضلّع في علوم الشريعة والأدب. ولي أمانة الإفتاء على عهد حسين المرادي مفتي دمشق.

آثاره:

1- الرسالة الحمزاوية التوفيق بين الماتردية والأشعرية 2- رسالة في فضل آل البيت 3- رسالة في الرد على من قال أن قراءة الفاتحة خلف الإمام أحوط.

المصادر:

- معجم المؤلف المؤلفين 5 : 288.

● الحصني، راغب تقي الدين ( 1871 – ) .

راغب بن حسن تقي الدين الشهير كآسلافه بالحصني.

آثاره:

ديوان شعر (جمعه ولده سليم بهجت الحصني، قاضي جبل الدروز ورئيس المحكمة فيه).

المصادر:

- المتخبات 2 : 661 معجم المؤلفين 4 : 150 .

● الحصني، محمد أديب تقي الدين (1874 – 1940).

محمد أديب بن محمد عبد القادر تقي الدين الحصني.

آثاره:

متخبات التواريخ لدمشق (ثلاثة أجزاء)

## المصادر:

– الأعلام 6: 252 المنتخبات 1314 – 1319 روض البشر: 162 معجم المؤلفين 9: 36.

### ● الحفار، لطفي (1888 – 1968).

تلقى علومه في مدارس دمشق. شارك في سنة 1905 بتأسيس الجمعية السرية مع عصبة من الشباب. وكان أحد مؤسسي جمعية النهضة القرشية في سنة 1906. تولى مناصب نيابية ووزارية في سورية، وأحيل على التقاعد في سنة 1958، وكان آخر منصب شغله هو رئيس مجلس إدارة مؤسسة مياه عين الفيحة.

## آثاره:

ذكريات (جزءان).

## المصادر:

– أعلام الأدب والفن 2: 107 – 108.

### ● الحكيم، محمد ( – 1916).

محمد بن علي الحكيم.

## آثاره:

1- رحلة إلى عين الفيحة (رسالة مخطوطة) 2- رحلة إلى الزيداني (رسالة مخطوطة).

## المصادر:

– الأعلام 7: 195 المنتخبات 2: 793.

### ● الحلواني، أحمد (1813 – 1889).

أحمد بن علي بن محمد الشهير بالحلواني.

تلقى دروسه الأولى على علماء دمشق. سافر إلى مكة في سنة 1837 وأخذ عن شيخ القراء بها أحمد المصري المرزوقي البصير. عاد إلى دمشق في سنة 1841. وفي سنة 1848 هاجر إلى مكة ثانية فأقام بها ثلاث عشرة سنة. عاد إلى دمشق سنة 1860 استقر فيها حتى وفاته.

#### آثاره:

1- المنحة السنية (رسالة في التجويد) 2- اللطائف البهية (رسالة في شرح أحكام التجويد).

#### المصادر:

- حلية البشر 1 : 253 - 254 معجم المؤلفين : 1 : 320.

#### ● الحمزاوي، عبد القادر ( 1862 - )

عبد القادر بن درويش بن محمد الحمزاوي من العلماء. وكان عضواً في المجلس الكبير بدمشق

#### آثاره:

1- رسالة في وحدة الوجود 2- رسالة في مدح الإمام الأعظم أبي حنيفة

#### المصادر:

- المنتخبات : 2 : 673 معجم المؤلفين 5 : 288.

#### ● حمزة، محمد نسيب (1786 - 1849).

محمد نسيب بن حسين بن يحيى بن حسن بن عبد الكريم الحسيني المشهور بابن حمزة.

#### آثاره:

1- قريضة الفكر (ديوان شعر) 2- قصة المولد (نظم) 3- شرح الكافي في العروض والقوافي

## المصادر:

– الإعلام 7: 346 روض البشر: 251 – 253 المنتخبات 2: 698 – 699  
حلية البشر 3: 133 معجم المؤلفين 12: 75.

● حمزة، محمود (1821 – 1887).

محمود بن محمد نسيب بن حسين بن يحيى بن حسن بن عبد الكريم الحسيني  
المشهور بابن حمزة.

## آثاره:

1- درر الأسرار، أو: تفسير الكلام المبجل المسمى درر الأسرار (مجلدان في تفسير القرآن بالحروف المهملة) 2- الفتاوى، أو: فتاوى محمد أفندي حمزة  
3- الفتاوى المحمودية، أو: الفتاوى الحمزاوية (مجلدان في تفسير القرآن بالحروف المهملة) (4- 5) الفتاوى، أو: فتاوى الزاهرة في الأحاديث المتواترة 6- الأجوبة الممضاة على أسئلة القضاة 7- الطريقة الواضحة إلى البينة الراجحة، أو: ترجيح البيئات المسماة بالطريقة الواضحة 8- أرجوزة في علم الفراسة 9- تحفة الإسماع لمولد حسن الأخلاق والطباع 10- ترجمة تعلم الحال المختصر 11- تصحيح النقول في استماع دعوى المرأة بكل المعجل بعد الدخول، أو: فصيح النقول في جواز دعوى المرأة بالمهر بعد الدخول 13- التفاوض في التناقض 14- دليل الكمل إلى الكلام المهمل 15- نظم الجامع الصغير للإمام محمد 16- نظم أصول الفقه 17- تحرير المقالة في الحيلولة والكفالة، أو: تحرير المقالة في الحيلولة والكفالة 18- جدول الأحق بالحضانة للولد 19- كشف الستور عن المهابة في المأجور 20- كشف القناع 21- غنية الطالب 22- تنبيه الخواص على أن الإمضاء في الحدود لا في القصاص 23- مصباح الدراية في إصلاح الهداية 24- رفع الغشاوة عن جواز أخذ الأجرة على التلاوة 25- السوار اللامع في أصول الجامع 26- التحرير في ضمان الأمر والمأمور والأجير 27- فتوى الخواص في حل ما صيد بالرصاص 28- كشف المجانة عن الغسل في الأجانة 29- شرح صلاة ابن مشيش 30- العقيدة الإسلامية 31- عنوان الأسانيد 32- مختصر الجرح والتعديل 33- صحيح الأخبار عن التنقيح ورد المختار 34- أعلام الناس 35- القطوف الدانية في خبث أجور الزانية

36- البرهان على بقاء ملك بني عثمان إلى آخر الزمان 37- مسائل الأوقاف 38-  
خلل المحاضر والسجلات (رسالة) 39- إيضاح المقال في الدرهم والمقال (رسالة)  
40- قواعد الأوقاف (رسالة) 41- مجموعة (فيها 10 رسائل) 42- ثبت (مخطوط).

### المصادر:

- الأعلام 8 : 63 - 64 حلية البشر 3 : 1467 - 1477 تراجم مشاهير الشرق  
2 : 240 - 244 المنتخبات 2 : 647 ، 771 روض البشر: 66 فحة البشام : 118 -  
120 معجم المطبوعات 3 : 1806 - 1807 معجم المؤلفين 12 : 200.

### ● الحنفي، سليم (1890 - 1940).

سليم بن حسن بن علي الحنفي.

تلقى دروسه الأولية في المدارس الابتدائية. وقرأ اللغة العربية والعلوم الشرعية  
على الشيخ محمد المبارك. ساهم والشيخ عبد القادر المبارك في تأسيس مدرسة الحياة  
الطبية. درس الخط واللغة العربية والموسيقى.

تلقى علم الموشحات والإيقاع على كبار الفنانين في الشام ومصر وبرع في  
الإيقاع على الرق، وله ألحان كثيرة. وكان فضلاً عن ذلك شاعراً.

### آثاره:

المجموعة الشعرية (وفقد هذا الديوان لسبب غير معروف ويعتبر تحفة فنية بلا  
ريب لكون صاحبه ذا خط جميل).

### المصادر:

- أعلام الأدب والفن 1 : 241 معجم المؤلفين 4 : 245.

### ● الحنفي، محمد أمين ( 1906 - )

محمد أمين بن محمد رشيد الناشف الحنفي.

## آثاره:

1- فضائل دمشق وجامعها الأكبر (مخطوط).

## المصادر:

- المؤرخون الدمشقيون في العهد العثماني : 98.

● الخاني، عبد المجيد (1847 - 1900).

عبد المجيد بن محمد بن عبد الله بن مصطفى الخاني  
فقيه شافعي. وفاته في الأستانة

## آثاره:

1- الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية 2- سبع مقامات (أسند روايتها  
إلى سعيد بن بشير) 3- وجه الحل من جهد المقل (مخطوط في مكتبة حفيده الشيخ  
عبد الرحمن الخاني).

## المصادر:

- الأعلام 4: 294 الموسوعة العربية الميسرة: 1184 - 1185 حلية البشر 1:  
241 - 243 2: 1037 - 1040 المنتخبات 2: 479 و 765 - 766 أعلام الأدب  
والفن 2: 116 - 117 أعيان دمشق: 401 - 403 الروضة الغناء: 159 معجم  
المؤلفين 6: 170.

● الخاني، محي الدين ( - 1931).

محي الدين بن أحمد بن محمد الخاني.  
من الفقهاء. عمل مدرساً في المدارس الابتدائية.

## آثاره:

1- حسن البيان في تفسير مفردات من القرآن 2- نور الجنان في آداب القرآن

## المصادر:

– الأعلام 8 : 68 المنتخبات 2 : 886 تراجم أعيان دمشق : 123 معجم المؤلفين 12 : 206.

### ● الخطيب، أبو الفتح (1834 – 1897).

أبو الفتح بن عبد القادر بن صالح بن عبد الرحيم الخطيب.

### آثاره:

- 1- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر (بعض أجزاء منه، مخطوط)
- 2- المعراج (مخطوط).

## المصادر:

– الأعلام 5 : 331 المنتخبات 2 : 709 حلية البشر 1 : 96 الأعلام الشرقية 2 : 67 معجم المؤلفين 8 : 48 ، 10 : 183.

### ● الخطيب، أبو الفرج (1828 – 1913)

أبو الفرج بن عبد القادر بن صالح بن عبد الرحيم الخطيب

فقيه شافعي وضليح في التفسير

### آثاره:

- 1- التنزيل وأسرار التأويل (30 مجلداً) 2- مختصر سند الإمام أحمد بن حنبل
- 3- مولد 4- 5- 6 ثلاثة دواوين خطب 7- الفيوضات الحسان بنصائح الولدان (4 مجلدات) 8- حاشية على القطر 9- شرحان على الأجرومية.

## المصادر:

– الأعلام 5 : 341 - المنتخبات : 2 : 703 معجم المؤلفين 8 : 58 ، 10 : 183.

● الخطيب، جمال الدين ( 1911 - ) .

جمال الدين بن أبو الخير بن عبد القادر الخطيب .  
تولى قضاء البصرة بعد أن خطب مدة بعد أبيه وتصدر للتدريس

آثاره:

له عدة رسائل في اللغتين العربية والتركية (قال صاحب المنتخب أنه سمع بها ولم يطلع عليها).

المصادر:

- المنتخب 2 : 709

● الخطيب، عبد القادر (1806 - 1871).

عبد القادر بن صالح بن عبد الرحيم الشهير بالخطيب .  
فقيه شافعي ، تصدر للوعظ والإرشاد في جامع بني أمية وفي مدرسة الخياطين .

آثاره:

1- حاشية على تحفة بن حجر (لم تتم ، مخطوط) 2- مناسك (مخطوط)  
3- ديوان خطب (مخطوط) 4- شرح على متن السحيمي في التوحيد (مخطوط).

المصادر:

- المنتخب 2 : 670 ، روض البشر : 158 - 159 معجم المؤلفين 5 : 289 .

● الخطيب، محمد أبو النصر. (1837 - 1906).

محمد أبو النصر بن عبد القادر بن صالح بن عبد الرحيم الخطيب .

آثاره:

1- ثبت "في أشياخه ومروياته" 2- مختصرة.



## المصادر:

– الأعلام 7 : 82 المنتخبات 2 : 710 حلية البشر 1 : 100 معجم المؤلفين  
10 : 183.

### ● خلقي، مصطفى (1850 – 1915)

مصطفى بن عثمان النوري خلقي

#### آثاره:

1- وظائف الإناث (رسالة معربة عن التركية) 2- ديوان شعر (مخطوط)

#### المصادر:

– الأعلام 1 : 133 أعلام الأدب والفن 1 : 225 – 227.

### ● الداوودي، محمد (1877 – 1927).

محمد بن محمد بن علي الداوودي.

#### آثاره:

1- الفرر البهية في العلوم الدينية 2- عدة الأدب. (بالاشتراك مع سليم الجندي) 3- المولد الأكبر في أصل وجود سيد البشر (مخطوط).

#### المصادر:

– الأعلام 7 : 304 المنتخبات 2 : 878 مكتب عنبر: 46 – 47 معجم المؤلفين  
11 : 207.

### ● دبانه، ميشيل ( 1895 – ).

عمل مترجماً وسكن مصر، وترأس فيها قلم الترجمة بنظارة المالية. وفاته في القاهرة.

## آثاره:

1- التقويم العام لخمسة آلاف عام (تصنيف)

## المصادر:

- الأعلام 8 : 298 - معجم المؤلفين 13 : 60.

## ● الدسوقي، صالح (1785 - 1831)

صالح بن محمد الدسوقي.

من العلماء

## آثاره:

1- ديوان خطب 2- مولد المنهل الأوفى في ميلاد المصطفى (مخطوط) 3- كشف الغمة في الرد على من حرم التهليل على الأمة (رسالة ناقش بها ابن عابدين، صاحب الحاشية، (مخطوط).

## المصادر:

- الأعلام 3 : 281 حلية البشر 2 : 724 - 727 المنتخبات 2 : 664 معجم المؤلفين 5 : 12.

## ● دهمان، أحمد (1844 - 1927).

اشترك في شبابه مع الشيخ عيد السفرجلاني بإنشاء مدرسة أهلية لتعليم العربية والرياضيات وكانت النموذج الأول لخروج التعليم الابتدائي من طريقة الكتابيب القديمة إلى الطريقة الحديثة بنسبة ذلك العصر. كان ينعت بشيخ القراء. وقد نخرج عليه عدد من المتعلمين الدمشقيين.

## آثاره:

1- شرح الميدانية (مخطوط) 2- كفاية المرید (مخطوط، طبع أكثر من عشرين مرة).

## المصادر:

- الأعلام 1 : 118 - 119.

● الرحبي، شرف الدين ( - )

شرف الدين ابن الرحبي الدمشقي  
كان بارعاً في الطب

آثاره:

له تعاليق وحواش على قانون الطب، ذكرها صاحب المتخبات في كتابه وقال إنه لم يرها ولعلها ذهبت إلى مخازن الكتب الغربية في أوروبا مثل ما ذهبت غيرها من نفائس كتب العرب وآثارهم.

المصادر:

- المتخبات 2 : 664.

● الرومي، خليل (1718 - 1805).

خليل بن مصطفى الدمشقي، الشهير بالرومي.

آثاره:

ديوان (مخطوط).

المصادر:

- الأعلام 2 : 330 مجلة المجمع العلمي 6 : 268 روض البشر : 94 - 96،

159 - 160 أعيان دمشق : 111 - 112 معجم المؤلفين 4 : 128.

● زكية، أحمد ( - 1868)

أحمد زكية

آثاره:

- ديوان شعر

## المصادر:

- معجم المؤلفين 1 : 226 المنتخبات 2 : 651 - 652.

### ● الزيات، حبيب (1871 - 1954)

حبيب بن نقولا بن الياس الزيات

أولع بدراسة الآداب العربية ولا سيما التاريخ. استوطن الإسكندرية منذ سنة 1906 للتجارة. جال في مكاتب الشرق والغرب، فجمع المخطوطات الثمينة النادرة. توفي في مدينة نيس بفرنسا.

## آثاره:

- 1- خزائن الكتب في دمشق وضواحيها (أربعة أجزاء في مجلد واحد) 2- المرأة في الجاهلية 3- سمات النصراني في الإسلام الصليب والزنار والعمامة والغيار
- 4- تذكارات ما بدمشق من الكنائس والأديار 5- خبايا الزوايا في تاريخ صيدنايا
- 6- الروم الملكية في الآثار الإسلامية.

## المصادر:

- معجم المطبوعات 2 : 994

### ● السادات، عبد الغني (1795 - 1849).

عبد الغني بن شاكر بن محمد السادات

## آثاره:

- 1- سناء النيرين في إعجاز الآية والآيتين (رسالة) 2- نشر الخزام في المحاماة عن تكفير أهل الإسلام (رسالة) 3- الدر اليتيم في حكم حال اليتيم (رسالة، مخطوط)
- 4- جمع اللآلي في الشبك في حكم الحائط المشترك (مخطوط بحوزة محمد جميل الشطي حتى وفاته).

## المصادر:

- الأعلام 4: 159 المنتخبات 2: 670 روض البشر: 15 - 153 حلية البشر  
2: 864 - 867 معجم المؤلفين 5: 274.

### ● سر كيس، أوسطاكيوس (1848 - 1918).

درس العلوم في كلية غزير للآباء اليسوعيين، وترأس عدة سنوات في مدرسة  
دير الشرفة بجبل لبنان. سمي أسقفاً على حمص وتوابعها للطائفة السريانية  
الكاثوليكية من سنة 1912 إلى حين وفاته فيها.

## آثاره:

تاريخ الكتاب المقدس، للعهدين القديم والحديث (عربه عن مؤلفه شوستر).

## المصادر:

- معجم المطبوعات: 2: 1019 - 1020

### ● سر كيس، يوسف (1856 - 1932).

يوسف بن اليان بن موسى سر كيس.

خرج من دمشق وهو ابن أربع سنين فلبجاً إلى بعلبك، قضى خمساً وثلاثين  
سنة من عمره موظفاً في البنك العثماني ما بين دمشق وبيروت وقبرص وأنقرة  
والآستانة. استوطن مصر سنة 1912 وأسس فيها مكتبة لتجارة الكتب. وعين عضو  
شرف في معهد الآثار الروسي بالقاهرة إلى حين وفته فيها.

## آثاره:

1- معجم المطبوعات العربية والمعربة (في ثلاثة مجلدات)

2- ملحق جامع التصانيف العربية، أو الحديثة (إضافة إلى المعجم الأنف  
الذكر) 3- نصائح أدبية للبنين 4- أنفس الآثار في أشهر الأمصار 5- مائة حكاية  
وحكاية (بالفرنسية والعربية) 6- مختصر التاريخ المقدس (بالفرنسية والعربية)

7- عاص وشجعان (معرب عن الفرنسية ، رواية) 8- الرحلة الجوية في المركبة الهوائية (معرب عن الفرنسية عن جول فيرن).

#### المصادر:

- معجم المطبوعات 2 : 1022 الأعلام 9 : 290 - 291 القصة في سورية : 62 (وفي مجلة المشرق سنة 1909 مقاله : "الجمعية المشرقية"). معجم المؤلفين 13 : 278.

#### ● السفرجلاني، أحمد (1818 - 1893)

أحمد عبد الله السفرجلاني.

#### آثاره:

ديوان شعر (أهمله ورثته فضاء)

#### المصادر:

- أعلام الأدب والفن 1 : 218 معجم المؤلفين 1 : 289

#### ● السفرجلاني، أمين ( - 1916)

أمين بن محمد بن خليل الشهير بالسفرجلاني.

#### آثاره:

1- القطوف الدانية في العلوم العثمانية 2- عقود الأسانيد 3- الكوكب الحثيث في المصطلح الحديث 4- العقد الوحيد في علم التوحيد.

#### المصادر:

- الأعلام 1 : 361 المنتخبات 2 : 311 الدر الفريد 19 و 113 الأعلام الشرقية 2 : 89 معجم المؤلفين 3 : 13 ، 9 : 79.

#### ● السكري، عبد الله (1812 - 1911)

عبد الله بن درويش الركابي السكري.

فقيه حنفي اشتغل بالحديث وكان خطيباً في الجامع الأموي.

## آثاره:

- 1- نعمة الباري في شرح صحيح البخاري 2- شرح عقيدة الباجوري 3- شرح السنوسية 4- التهنتة بالأعياد (رسالة)

## المصادر:

- الأعلام 4 : 216 المتخبات 2 : 759 معجم المؤلفين 6 : 53.

● شبيب، أمين ( 1905 - )

من العلماء.

## آثاره:

- 1- أسباب التوقي من الزلزلة والحريق 2- قصة المولد 3- شرح على الأدعية المأثورة 4- شرح البردة.

## المصادر:

- المتخبات 2 : 707 - 708.

● الشطي، أحمد (1835 - 1898).

أحمد بن حسن بن عمر بن معروف الشطي.

محدث وفقهيه فرضي. عالم بالحساب، درس في محراب الحنابلة في الجامع الأموي، كما درس في داره. تولى القضاء كما تولى إفتاء الحنابلة بدمشق سنة 1871.

## آثاره:

ليست له مؤلفات، وإنما له حواش مفيدة على عدد من كتب الفقه والفرائض.

## المصادر:

- معجم المؤلفين 1 : 196 حلية البشر 3 : 1625 - 1626

## ● الشطي، حسن (1790 – 1858)

حسين بن عمر بن معروف الشطي

فقيه فرضي. رحل إلى بغداد سنة 1912، وإلى الحجاز سنة 1817. تصدر للإقراء في داره، وكذلك في محراب الحنابلة بالجامع الأموي. علم الفرائض والحساب والمساحة وأخذ عنه العديد من علماء دمشق في زمانه. أشرف على المدرسة البازرائية بدمشق ودرس فيها.

### آثاره:

1- مختصر شرح عقيدة السفاريني 2- الفوز بالنجاح في مسألة فسح النكاح  
3- التقليد والتلفيق 4- منحة مولى الفتح في تجريد الغاية والشرح 5- الثار على الإظهار 6- بسط الراحة لتناول المساحة 7- ثبت 8- منسك 9- معراج (وله مختصر مطبوع) 10- شرح على الكافي في العروض والقوافي 11- شرح على حزب النووي (وله مختصر مطبوع) 12- شرح رسالة في أن المصدرية 13- في البسمة الشريفة (رسالة).

### المصادر:

– الأعلام 2: 226 معجم المطبوعات 2: 1125 المنتخبات 2: 647 حلية البشر 1: 478 – 480 روض البشر: 64 – 66 معجم المؤلفين 3: 267، 13 381.

## ● الشطي، عبد السلام (1840 – 1878)

عبد السلام بن عبد الرحمن بن مصطفى الشطي.

### آثاره:

1- مولد الإمام بحرق الحضرمي (نظم) 2- ديوان عبد السلام الشطي (طبعه له حفيده محمد جميل الشطي وفيه زهاء 400 بيت) 3- مختصر كتاب الفرج بعد الشدة (لابن أبي الدنيا) 4- تحفة أهل الإيمان بأدعية ليلة النصف من شعبان (رسالة).



## المصادر:

- الأعلام 4: 129 حلية البشر 2: 848 - 850 روض البشر 89، 146 معجم المطبوعات 2: 1125 المنتخبات 2: 542، 660، 667، 669، 673، 674، 693، 736، 748، 749، 771، 861 معجم المؤلفين 5: 226.

### ● الشطي، محمد جميل (1883 - 1959).

محمد جميل بن عمر بن حسن بن عمر بن معروف الشطي.

### آثاره:

1- روض البشر في أعيان دمشق في القرن الثالث عشر 2- البرهان على صحة رسم مصحف الحافظ عثمان 3- مختصر طبقات الحنابلة 4- السيف الرياني 5- (رسالة في) علم الفرائض 6- (رسالة في) علم الدروس الفرضية 7- المجموعة الأولى من منظوماته 8- المجموعة الثانية من منظوماته 9- الوسيط بين الإفراط والتفريط (رسالة) 10- الضياء الموفور في تراجم بني فرفور (رسالة مخطوطة) 11- ديوان شعر (مخطوط) 12- تنقيح السراجية في فرائض الحنفية (مخطوط) 13- قانون الصلح وقوانين تركية أخرى (تعريب). وطبع، كما يقول في ترجمته لنفسه، مؤلفات آل الشطي وغيرهم منها: "مختصر عقيدة السفاريني لجدي الأعلى، توفيق المواد النظامية لأحكام الشريعة المحمدية، أقوال الإمام داود الظاهري لجدي الأدنى، أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية لابن القيم، الرسائل الفاتحية للهبراوي.

### المصادر:

- روض البشر، 267- 269 حلية البشر 3: 1626 - 1628 معجم المؤلفين 9: 161.

### ● الشطي، محمد حسن (1832 - 1890).

محمد بن حسن بن عمر بن معروف الشطي.

فقيه حنفي.

## آثاره:

- 1- القواعد الحنبلية في التصرفات العقارية 2- تسهيل الأحكام فيما يحتاج إليه الحكماء 3- توفيق المواد النظامية لأحكام الشريعة المحمدية 4- تقسيم مياه دمشق وبيان أسهمها الترابية 5- بسط الراحة لتناول المساحة (مختصر لكتاب والده بهذا الاسم) 6- صحائف الفرائض 7- الفتح المبين في تلخيص كلام الفرضيين 8- المنظومات الجميلة الشطبية 9- المطالب الوفية فيما يحتاج إليه النواب الشرعية 10- مسائل الإمام داود الظاهري (رسالة) 11- (رسالة في) الفرائض.

## المصادر:

- الأعلام 6: 324 المنتخبات 2: 367 معجم المطبوعات 2: 1126 معجم المؤلفين 9: 206.

## ● الشطي، مراد (1872 – 1896)

مراد بن محمد بن حسن الشطي.

## آثاره:

- 1- مديجات عبد المنعم الأندلسي 2- كشف المغيب في العمل بالربع المجيب (رسالة) 3- تحفة النساك في فضائل السواك (رسالة) 4- الفضائل المتقابلة في الجبر والمقابلة (رسالة)

## المصادر:

- حلية البشر 3: 1516 – 1517 المنتخبات 2: 767 – 768 أعيان دمشق: 373 – 375 معجم المؤلفين 12: 214.

## ● الشمعة، رشدي (1865 – 1916)

رشدي بن أحمد بن سليم الشمعة.

تلقى دراسته في الآستانة وتخرج من معاهدها. تزوج في سنة 1886، وانتخب

عضواً في مجلس المبعوثان العثماني، نائباً عن دمشق، قاوم سياسة الاتحاديين بعد وصولهم إلى الحكم، فاتهم بالاشتراك في تشكيلات الجمعية اللامركزية، وصدر بحقه حكم الإعدام إبان محاكمته في عاليه، ونفذ فيه الحكم يوم 6 أيار 1916.

آثاره:

(له عدة روايات وطنية مثلت في دمشق(؟)<sup>(1)</sup>).

المصادر:

- الأعلام 3: 47 - 48 شهداء الحرب: 107 معجم المؤلفين 4: 157

● الشمعة، علي (1744 - 1804)

علي بن عثمان بن محمد بن رجب بن محمد بن علاء الدين الشهير بالشمعة

آثاره:

1- المنهل المورود في أحكام المولود 2- حاشية على أماكن من شرح البخاري للقسطلاني 3- رفع التعدي عن رفع الأيدي (رسالة في رفع اليدين بالصلاة) 4- (رسالة في) البسملة 5- انفتاح الزهر عن انغلاق البحر (رسالة، مخطوطة). ونظم مفردات الإعراب الهشامية.

المصادر:

- الأعلام 5: 170 المنتخبات 2: 671 روض البشر: 182 معجم المؤلفين 7: 213.

● الشهبندر، عبد الرحمن (1882 - 1940)

عبد الرحمن بن صالح شهبندر

تخرج من الجامعة الأمريكية ببيروت طبيباً في سنة 1904. انتظم في جمعية

---

<sup>(1)</sup> انظر الهامش في الصفحتين (83) و (183).

الاتحاد والترقي بعد إعلان دستور عام 1908 ثم ناوأها عندما اتجهت سياستها نحو تتركب العناصر العربية. توارى في العراق ومصر حتى سنة 1919. وفي السنة التالية عين وزيراً للخارجية في الحكومة السورية. وبعد الانتداب الفرنسي نفاه الفرنسيون إلى جزيرة أرواد. ولدى الإفراج عنه شارك في تأسيس حزب الشعب بدمشق. وعندما نشبت الثورة في سنة 1925 أسهم في إزكاء أوارها فطاردته سلطات الانتداب، ففر إلى الأردن ومنها إلى القاهرة في سنة 1927. وفي سنة 1938 عاد ليستقر في دمشق، وفي السادس من شهر تموز من سنة 1940 داهمه ثلاثة أشخاص، في عيادته، واغتالوه. نظم الشعر في صباه.

### آثاره:

- 1- القضايا العربية الكبرى (مجموعة مقالاته في مجلتي المقتطف والهلال)
- 2- مذكرات عبد الرحمن الشهبندر
- 3- السياسة الدولية (تعريب عن دليزل بورنس).

### المصادر:

- الأعلام 4: 80 أعلام الأدب والفن 2: 126 معجم المؤلفين 5: 141.

● الشيخ فضلي، عبد الغني ( 1871 - )

عبد الغني الشيخ فضلي  
طبيب دمشقي يلقب بطبيب دمشق

### آثاره:

له مؤلفات في الطب، منها ما طبع ولم نعثر عليه ومنها ما لم يطبع.

### المصادر:

- الأعلام 4: 160 المنتخبات 2: 675 معجم المؤلفين 5: 274

## ● الصاحب، أسعد (1855 – 1928)

أسعد بن محمود الصاحب

### آثاره:

- 1- بيان هام لعالم الإسلام 2- الجواهر المكنونة (رسالة) 3- نور الهداية والعرفان (رسالة) 4- الفيوضات الخالدية (رسالة) 5- رجال الطريقة النقشبندية (رسالة).

### المصادر:

- الأعلام 1: 294 - 295 معجم المطبوعات 2: 1180 روض البشر: 170  
معجم الأدباء 2: 244 القاموس العام 1: 21 وفيات الأعيان 1: 68 معجم  
المؤلفين 2: 248.

## ● صالححاني، الأب أنطون (1847 – 1941).

أنطون بن عبد الله الصالحاني.

تعلم في المدرسة الكاثوليكية بدمشق. وفي سنة 1860 التحق بمدرسة الآباء اليسوعيين في بيروت وكان قد نجا من الموت في دمشق إبان الفتنة الدينية. انتقل إلى مدرسة غزير وأتقن اللغات العربية واللاتينية والفرنسية وبعض مبادئ اللغة اليونانية. دخل سلك الرهبنة ونال درجتها في سنة 1880 من دير كليرمون بفرنسا. علم في مصر أربع سنوات ثم غادرها إلى إنكلترا في أعقاب ثورة أحمد عرابي في سنة 1882. عاد إلى حمص في سنة 1894 ودرس فيها اللغة الإنكليزية، ثم انتقل إلى بيروت فعلم الخطابة وأدار المدارس العربية في كلية القديس يوسف. عهدت إليه إدارة جريدة البشير البيروتية ورئاسة تحريرها مرتين، فأظهر جرأة وثباتاً في مقارعة الاستبداد العثماني.

### آثاره:

- 1- التوفيق بين السنين المسيحية والهجرية 2- طرائف وفكاهات في أربع  
حكايات 3- تاريخ مختصر الدول لابن العبري 4- ألف ليلة وليلة (نشرها في خمسة

أجزاء) 5- رنات الثالث والثاني في روايات الأغاني (نشرها في جزأين) 6- ديوان شعر الأخطل (نشر في خمسة أجزاء) 7- الطلاق عند المسيحيين (رسالة) 8- نقائص جرير والفرزدق (رسالة).

#### المصادر:

- أعلام الأدب والفن 2: 117 - 118 معجم المؤلفين 3: 22.

#### ● الصباغ، شحادة ( - بعد 1860)

شحادة بن جبرائيل بن مخائيل.

#### آثاره:

1- حوادث سورية

#### المصادر:

- المؤرخون الدمشقيون: 36

#### ● الصولة، سليمان (1814 - 1899).

سليمان بن إبراهيم الصولة

من الطائفة الكاثوليكية. هاجر مع والديه للقاهرة في غضاضة العمر وتعلم في مدارسها حتى الأزهر. سحب إبراهيم باشا في حملته على بلاد الشام واستقر في دمشق سنة 1883، حيث عاد إلى القاهرة وهناك تولى عدة مناصب حكومية. لزم الأمير عبد القادر الجزائري مدة ثلاثين سنة وكان للأمير فضل في إنقاذه من القتل في سنة 1860. وفاته في القاهرة.

#### آثاره:

1- ديوان الصولة 2- مجلى العبر في أطايب الحكايات والسمر 3- طبقات الدلال عند ربات الجمال 4- الاحتيال في تفضيل الرجال 5- حصن الوجود الواقى من خبث اليهود، أو: حصن الوجود في عقائد اليهود.

(والكتبان الثالث والرابع ذهباً في حرائق سنة 1860 ، وإن صح أنهما من القصص فهما ، كما يقول شاكر مصطفى ، أول المؤلفات القصصية في سورية دون منازع).

### المصادر:

- الإعلام 3: 181 معجم المطبوعات 1: 1218 القصة في سورية: 83-84  
المتنجات 2: 727 تاريخ آداب اللغة العربية 2: 163 و 4-586.

### ● صيدح، جورج (1893 - )

جورج بن ميخائيل بن موسى صيدح.

تلقى دراسته في مدرستي الآسية واللعازية بدمشق. انتقل إلى لبنان في سنة 1911 وتابع دراسته في كلية عينطورا. وفي سنة 1912 هاجر إلى القاهرة ثم إلى باريس في سنة 1925. وفي سنة 1927 هاجر إلى فنزويلا ، ثم إلى الأرجنتين في سنة 1947. أقام في باريس مع زوجته الفرنسية. نظم الشعر في اللغتين الفرنسية والإسبانية.

### آثاره:

1- أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية 2- النوافل (ديوان) 3- النبضات (ديوان) 4- السفارة الأدبية (مجموعة محاضرات له) 5- حكاية مغرب (مختارات من شعره). طبع ديوانه في أربعة أجزاء.

### المصادر:

- أعلام الأدب والفن 2: 134-135 الأدب العربي المعاصر في سورية: 268-279.

### ● الطباع، أبو الخير (1880 - 1911)

محمد خير، أبو الحسن ، المعروف بأبي الخير الطباع

أنشأ بدمشق المدرسة الوطنية ، وسميت بعد وفاته "الكلية العلمية الوطنية".

## آثاره:

- 1- ديوان أبي الحسن 2- فتح الكلام 3- المحاورات المدرسية 4- مقامة خيالية 5- أرجوزة في النحو 6- أرجوزة في الصرف 7- الانتصار للكمال بن الهمام (رسالة) 8- انتقاد شرح شعر أبي تمام (رسالة).

## المصادر:

- الأعلام 6: 354 المنتخبات 2: 713 - 714 معجم المؤلفين 9: 293.

## ● الطيبي، محمد (1830 - 1900).

محمد بن علي بن عبد الرحمن الطيبي

من العلماء ، عين مهندساً لولاية سورية مدة سنة. درس في دمشق ومصر. اشتغل بالفقه والأدب وعين مفتياً في حوران. كان يقول إنه يعلم كثيراً من العلوم سذهب معه إلى القبر ولا من يسأل عنها أو يهتم بها.

## آثاره:

- 1- الحساب 2- خلاصة الترجيح (رسالة في الرد على المبشرين) 3- البراهين الجلية (رسالة في الرد على المبشرين) 4- رسائل في الهندسة وأغلاط رسم المصحف المحمودي.

## المصادر:

- الأعلام 7: 194 المنتخبات 2: 789 - 790 معجم المطبوعات 2: 1254 معجم المؤلفين 11: 21.

## ● العاني، محيي الدين (1809 - 1873)

محيي الدين بن محمد عيد بن محمد بن أحمد بن هذيب العاني من علماء الصوفية.



## آثاره:

(قال صاحب روض البشر: يقال إن له مؤلفات ومنظومات لم نطلع على شيء منها).

## المصادر:

- روض البشر: 241

## ● العجلوني، أحمد (1756 – 1836)

أحمد بن محمود أبو الفتح بن محمد بن خليل بن عبد الغني العجلوني. من علماء الطريقة الشاذلية التي أخذها عن والده.  
آثاره: "ذكر البيطار أن له مؤلفات شهيرة، لكنه لم يسمها ولم نثر عليها بدورنا".

## المصادر:

- حلية البشر 1: 167.

## ● عجمي، ماري (1888 – 1965)

ماري عجمي.

## آثارها:

1- دوحة الذكرى 2- ديوان شعر 3- أمجد الغايات (رواية) 4- المجدلية الحسنة (رواية معربة عن الإنكليزية).

## المصادر:

- الأدب العربي المعاصر في سورية: 226 – 236 فنون الأدب المعاصر في سورية: 86 – 87، 370 كلمات وقصائد ألقيت في حفل تأبين ماري عجمي على مدرج جامعة دمشق يوم 25 / 4 / 1966. (نشرت في كراس).

● عربي كاتبي، محمد عز الدين ( 1912 – ) .

محمد عز الدين عربي كاتبي .

آثاره:

1- الروضة البهية في فضائل دمشق المحمية (رسالة)

المصادر:

- المؤرخون الدمشقيون : 98 .

● العسلي، شكري (1868 – 1916)

شكري بن علي بن محمد بن عبد الكريم بن طالب العسلي .

آثاره:

1- القضاة والنواب (رسالة) 2- الخراج في الإسلام (رسالة)

المصادر:

- الأعلام: 3: 250 القصة في سورية: 130 - 140 المنتخبات 2: 883 معجم

المؤلفين 4: 304 .

● العطار، إبراهيم (1816 – 1896) .

إبراهيم بن محمود بن أحمد الشهير بالعطار .

آثاره:

(ذكر صاحب المنتخبات أن له مؤلفات كثيرة ، كما أخبره أحد أئجاله ، لكنه لم

يطلعه على أسمائها) .

● العطار، عمر (1826 – 1890)

عمر بن طه بن أحمد بن عبيد الله بن عسكر بن أحمد الشهير بالعطار .

## آثاره:

1- شرح فصوص الحکم (لابن عربي) 2- شرح الإظهار في النحو 3- أين الإسلام؟ (رسالة) 4- الفتح المبين في رد الاعتراض على محيي الدين، أو: الفتح المبين في رد اعتراض المعترض على محيي الدين (رسالة) 5- ترتيب العوالم العلوية والسفلية (رسالة) 7- شرح الإيساغوجي (رسالة في المنطق) 8- تحقيق معنى الوجود، أو: تحقيقات بهية وتدقيقات سنينة في فيوضات من خزائن الجود في تحقيق معنى الوجود (رسالة).

## المصادر:

- الإعلام 5: 207 المنتخبات 2: 751 معجم المطبوعات 3: 1337 معجم المؤلفين 7: 16.

## ● العطار، محمد (1764 - 1828)

محمد بن حسين العطار.

باحث، رياضي، يقال له "المدرس". كان مفضلًا في فنون الفلك والحساب والرياضيات. رحل إلى مصر وأخذ عن علماء الأزهر. ومات بمرض الطاعون.

## آثاره:

1- حساب المياه (رسالة مخطوطة) 2- الرمي بالقنبرة والطوب (رسالة) 3- المزولة (رسالة مخطوطة) 4- فن القبان (مخطوط) 5- شرح على منظومة (للشيخ حسن العطار، مخطوط).

## المصادر:

- الإعلام 6: 337 روض البشر 223 معجم المؤلفين 9: 245.

## ● العظم، جميل (1873 - 1933)

جميل بن مصطفى بن محمد حافظ بن عبد الله بن محمد بن فارس بن إبراهيم العظيم.

## آثاره:

- 1- عقود الجواهر في تراجم من لهم خمسون مصنفاً فمائة فأكثر (الجزء الأول منه) 2- ترجمة عثمان باشا الغازي 3- تفريج الشدة في تشطير الردة 4- الماضي والحال 5- ديوان شعر (عبثت فيه الأيدي فضاعت آثاره) 6- التعرف للأمة محدثاً بالنعمة (مخطوط) 7- ذيل كشف الظنون (أو: السر المصون على كشف الظنون)، (مخطوط) 8- رحلة أفريقية (تعريب عن التركية لصديق باشا المؤيد العظم).

## المصادر:

- الأعلام 2: 134 معجم المطبوعات 3: 1341 - 1342 أعلام الأدب والفن 2: 123 - 125 معجم المؤلفين 3: 161.

## ● العظم، حقي (1864 - 1955)

حقي بن عبد القادر العظم.

## آثاره:

- 1- حرب الدولة العثمانية مع اليونان 2- دفاع بالفنا 3- ألغيب المراقبة والمالية العثمانية ومحاضر اجتماعات مجلس 1877 (باللغة التركية) 4- رحلة الحبشة (معربة عن التركية بالاشتراك مع رفيق العظم، من تأليف صادق باشا المؤيد العظم) 5- كتاب مفتوح إلى الشاعر خير الدين الزركلي 6- حقائق عن الانتخابات النيابية في العراق وفلسطين وسورية.

## المصادر:

- شهداء الحرب العالمية الأولى: 158 - 159 معجم المؤلفين 4: 70.

## ● العظم، رفيق (1865 - 1925)

رفيق بن محمود بن خليل العظم.

وفاته في القاهرة

## آثاره:

- 1- أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة (صنفه في أربعة أجزاء) 2-
- البيان في كيفية انتشار الأديان وكون الدين الإسلامي قام بالدعوة لا بالسيف 3-
- الجامعة الإسلامية وأوروبا، أو: السوانح الفكرية في المباحث العلية والجامعية الإسلامية 4- البيان في التمدن وأسباب العمران. 5- تنبيه الأفهام إلى مطالب الحياة الاجتماعية في الإسلام 6- الدروس الحكمية للناشئة الإسلامية 7- مجموعة آثار رفيق بك العظم (جمع شقيقه عثمان) 8- رحلة الحبشة (عزبها بالاشتراك مع حفي العظم عن صادق باشا المؤيد العظم) 9- ديوان (مخطوط) 10- تاريخ السياسة الإسلامية (مخطوط) 11- الجامعة الإسلامية أو التأليف بين الترك والعرب والعصية التركية، أو: الخلاف بين الترك والعرب (رسالة مخطوطة).

## المصادر:

- الأعلام 3: 56 - 57 الأدب العربي المعاصر في سورية: 148 - 151 معجم المطبوعات 3: 1342 - 1343 المنتخبات 2: 694 الفكر العربي في العصر الحديث: 103 - 105 حلية البشر 2: 630 - 634 القصة في سورية: 38 شهداء الحرب العالمية الأولى: 156 - 157 مجلة المجمع العلمي 5: 561 معجم المؤلفين 4: 170.

● العظم، عبد القادر (1848 - 1919).

عبد القادر المؤيد العظم.

## آثاره:

(ذكر صاحب المنتخبات أن له كتابات كثيرة تاريخية عصرية لم يظهر للطبع منها شيء).

## المصادر:

- المنتخبات 2: 755.

● العظم، فوزي (1880 – 1934)

فوزي بن محمد حافظ العظم.

آثاره:

- 1- علم الأشياء 2- قواعد العربية 3- العلوم الدينية 4- دروس الجغرافيا،  
القسم الأول.

المصادر:

- الأعلام 5 : 370 معجم المؤلفين 8 : 84

● العظم، محمود (1836 – 1875)

محمود بن خليل بن أحمد بن عبد الله العظم.

آثاره:

- 1- ديوان شعر 2- رسائل الأشواق في وسائل العشاق (ثلاثة أجزاء)  
3- الروض الزاهر والبحر الزاخر (مخطوط في التصوف).

المصادر:

- الأعلام 3 : 45 روض البشر : 238 - 239 حلية البشر 3 : 1477 المنتخبات  
2 : 694 أعيان القرن الثالث عشر : 211 معجم المؤلفين 12 : 162.

● العظم، مختار المؤيد ( 1921 – )

مختار بن أحمد المؤيد بن نصوح الشهير بالعظمي.

تخرج من المدارس الأهلية العالية ، وزار مصر والمدينة المنورة.

آثاره:

- 1- فصل الخطاب أو تفليس إبليس وتحرير المرأة ورفع الحجاب

- 2- جلاء الأوهام عن مذاهب الأئمة العظام والتوسل بجاء خير الأنام  
3- رد الفضول في مسألة الخمر والكحول.

#### المصادر:

- الأعلام 8 : 98 المنتخبات : 2 : 395 معجم المطبوعات 3 : 1715

#### ● العمري، حسين (1748 – 1801).

حسين بن عبد اللطيف الشهير بالعمري.

#### آثاره:

- 1- المواهب الإحسانية في تراجم العمرية ، أو: المواهب الإحسانية في ترجمة  
الفاروق وذريته. (في تراجم أسلافه العلويين).

#### المصادر:

- حلية البشر 1 : 556 روض البشر : 76 – 77 المنتخبات 2 : 651 معجم  
المؤلفين 4 : 18.

#### ● العمري، محمد شاکر (1744 – 1807)

محمد شاکر بن علي بن سعد بن علي بن سالم الشهير والده بالعقاد ويا بن  
مقدم سعد.

#### آثاره:

- 1- عقود اللاكي في الأسانيد العوالي المتصلة بشيخ الشيوخ على الإطلاق  
ومحقق زمنه بالاتفاق مع الشيخ محمد شاکر مقدم سعد العمري (هكذا صنف  
تلميذه ابن عابدين كتابه).

#### المصادر:

- الأعلام 7 : 27 حلية البشر 2 : 697 – 699 روض البشر 123 أعيان  
دمشق : 140.

● عنحوري، حنا (1863 – 1890)

حنا بن روفائيل عنحوري.

آثاره:

- 1- معجم طبي فرنسي - عربي (حال الموت دون إتمامه) 2- الأسرة المفتونة (بدأ بتعريبها عن الفرنسية ولم تتم بسبب الموت) 3- شقاء المحبين (عربها في جزأين)
- 4- إنجلترا، أو: الهوى شرك الهوان (عربها عن الفرنسية).

المصادر:

- معجم المطبوعات 3: 1388 القصة في سورية: 56 تاريخ الصحافة العربية: 3.

● عنحوري، سليم (1856 – 1933)

سليم بن روفائيل بن جرجس عنحوري.

آثاره:

- 1- آشيل (رواية) 2- هند وعصام (مسرحية شعرية) 3- سحر هاروت (ديوان)
- 4- بدائع ماروت أو شهر في بيروت (ديوان) 5- آية العصر، أو: غادة العصر (ديوان) 6- حديقة السوسن 7- الانتقام العادل (رواية) 8- الجن عند العرب 9- الجواهر الفرد، أو: الشعر العصري 10- كنز الناظم مصباح الهائم (الجزء الأول)
- 11- النبكيات (مجموع ما كتبه في تابين حنا عنحوري).

المصادر:

- الأعلام 3: 187 – 188 القصة في سورية 68 – 69 و 210 – 211 زعماء الإصلاح في العصر الحديث: 72 رواد النهضة الحديثة: 162 – 163 معجم المطبوعات 3: 1388 – 1389 الأدب العربي المعاصر في سورية: 133 – 136 المنجد: 480 وفيه تاريخ ولادته 1865 مصادر الدراسة الأدبية 2: 613 – 615 معجم المؤلفين 4: 246.



● عنحوري، يوحنا ( 1845 - )

يوحنا عنحوري (ويقال له حنين).

اشتهر بمصر في عهد محمد علي. كان يجيد اللغة الإيطالية فتنقل له الكتب الفرنسية إليها لينقلها بدوره إلى العربية.

آثاره:

- 1- الجراحة البشرية (رسالة) 2- القول الصريح في علم التشريح (عربها عن الإيطالية بعد نقلها إليها من اللغة الفرنسية لكلوت بك) 3- منتهى الأغراض في علم شفاء الأمراض (عربها عن بروسية وسانسون في جزأين) 4- مبلغ البراح في علم الجراح (عربها عن كلوت بك) 5- الأزهار البديعة في علم الطبيعة (عربها عن مسيو برون) 6- الجواهر السنية في الأعمال الكيماوية (تعريب).

المصادر:

- الأعلام 9: 278 - 279 معجم المطبوعات 3: 1389 تاريخ آداب اللغة العربية 4: 533 - 534 المنجد: 480.

● عودة، حسين (1836 - 1914)

حسين بن مصطفى أبي عودة.

آثاره:

- 1- الراشد الأمين في النصيحة في الدين 2- الدرر البهية في مآثر محمد أفندي رضوان 3- فهرست المادة الطبية (جزءان. وهو فهرست لكتاب عمدة المحتاج في علمي الأدوية والعلاج لأحمد أفندي الرشيدى) 4- المرشدة العودية في إثبات الكيمياء الطبية (رسالة) 5- نبذة من الرحلة العودية إلى الديار المصرية (وفيه ذكر لأيام دراسته في مصر).

المصادر:

- الأعلام 2: 248 معجم المطبوعات 3: 1391 معجم المؤلفين 4: 63.

● غازي، رشيد ( - ) .

غازي بن أبي عبيد أحمد آغا بن سليمان آغا الصيرفي الدمشقي .

آثاره:

1- منتهى المنافع في أنواع الصنائع (جمع وتنسيق).

المصادر:

- من غلاف الكتاب نفسه .

● الغزي، عمر (1786 - 1861).

عمر بن عبد الغني بن محمد شريف الغزي بن محمد العامري الشهير بالغزي .  
مفتي الشافعية بدمشق سنة 1811 درس في المدرسة الشامية مكان أسلافه . نفي إلى  
قبرص في عام الفتنة سنة 1860 مع من نفي من أهل دمشق وقضى نحبه في قلعتها .

آثاره:

1- ديوان 2- الكواكب الدرية ، شرح الدرّة المضية (شرح منظومة لجدّه بدر  
الدين) 3- شرح على الأجرومية 4- التكرير الواقع في القرآن (رسالة) 5- (رسالة)  
في المناسك 6- هداية الأنام إلى خلاصة أحكام الإسلام (تصنيف) .

المصادر:

- الأعلام 5 : 210 المنتخبات 2 : 671 حلية البشر 2 : 1133 - 1135 روض  
البشر : 189 معجم المؤلفين 7 : 292 .

● الغزي، فوزي (1891 - 1929).

فوزي بن إسماعيل بن رضا بن إسماعيل بن عبد الغني الغزي .  
من رجال الحقوق والسياسة

## آثاره:

1- حقوق الدول العامة (في جزأين) 2- الفقيه العظيم فوزي الغزي (أقواله في مناسبات مختلفة جمعها تلميذه لطفي اليافي).

## المصادر:

- الأعلام 5 : 370 المنتخبات : 2 : 660 معجم المؤلفين 8 : 82

## ● القاري، رسلان ( 1838 - )

رسلان بن يحيى القاري

نسبه إلى محلة شهيرة بدمشق اسمها الشاغور.

## آثاره:

1- أسماء الوزراء الذين حكموا في دمشق الشام (من 1516 - 1701م)  
(مخطوط)

## المصادر:

- المؤرخون الدمشقيون : 35 ولاية دمشق في العهد العثماني : 9 معجم المؤلفين  
4 : 156.

## ● القاسمي، صلاح الدين (1887 - 1916)

صلاح الدين القاسمي.

## آثاره:

1- الدكتور صلاح الدين القاسمي ، صفحات من تاريخ النهضة العربية في أوائل القرن العشرين (جمعها ابن أخيه الدكتور مسلم القاسمي قدم الكتاب وحققه صديقه محب الدين الخطيب).

## المصادر:

– الفكر العربي في العصر الحديث: 198 و 245 – 255 مقدمة كتاب صفحات من تاريخ النهضة: ط - به.

### ● القاسمي، قاسم (1806 – 1867).

قاسم بن صالح بن إسماعيل الشهير بالخلّاق، القاسمي.

## آثاره:

- 1- الثغر الباسم (جمعه ولده محمد سعيد) 2- إعانة الناسك على أداء المناسك
- 3- التوسلات الحسناء بنظم أسماء الله الحسنی 4- مورد الناهل بمولد النبي الكامل
- 5- مسائل الرضاع 6- فيمن حج البيت الحرام ومات وعليه ذنوب صفائر وكبائر وتبعات (رسالة) 7- محرمات النكاح برضاع أو نسب وتصوير مسائلها (رسالة) 8-
- في عقيدة أهل السنة (رسالة).

## المصادر:

- الأعلام 6: 11 المنتخبات 2: 674 روض البشر: 195 - 197.

### ● القاسمي، محمد جمال الدين (1866 – 1914).

محمد جمال الدين أبو الفرج بن محمد سعيد بن قاسم بن صالح بن إسماعيل بن أبي بكر المعروف بالقاسمي.

## آثاره:

- 1 الكوكب المنير في مولد البشير النذير 2- المنتزه الأرفع في الفصول الأربع
- 3- الكواكب السيارة في مدائح الفوارة 4- بذل الهمم في موعظة أهل وادي العجم
- 5- وفاء الحبيب وعده بإيضاح جهة الوحدة 6- إيضاح الفطرة في أهل الفترة
- 7- الأنوار القدسية على متن الشمسية 8- ثمرة التسارع إلى الحب في الله تعالى وترك
- التقاطع 9- رفع المناقضات بين ما نريد في العمر وبين المقدرات 10- المسند الأحمد
- على مسند الإمام أحمد 11- بديع المكنون في مسائل أهل الفنون "جزءان" 12-

ينابيع العرفان في مسائل الأرواح بعد مفارقة الأبدان 13- طراز الخلعة في حل قول  
 الرملي وأقسام الاسم تسعة 14- الجواب السني على سؤال السيد أحمد الحسيني  
 15- الاتفاق بمسائل الطلاق 16- إفادة من صحاح في تفسير سورة والضحي  
 17- تنوير اللب في معرفة القلب 18- جواب المسألة الحورانية 19- منتخب  
 التوسلات 20- الطالع المسعود على تفسير أبي السعود 21- شمس الجمال على  
 منتخب كنز العمال 22- آداب العالم والمتعلم والمفتي والمستفتي 23- بيت القصيد  
 في ترجمة الإمام الوالد السعيد 24- الأوراد الماثورة 25- زوال الغشاء عن وقت  
 العشاء 26- تعطير الشام في مآثر دمشق الشام 27- تعليقات على أوائل سنن أبي  
 داود 28- قواعد أصولية 29- قواعد تفسيرية 30- الاحتياط للخروج من الخلاف  
 31- ما قاله الأطباء المشاهير في علاج البواسير 32- قواعد التحديث من فنون  
 مصطلح الحديث 33- الفضل المبين على عقد الجواهر الثمين 34- غنيمة الهمة على  
 كشف الغمة 35- مجموعة لطيفة في نصوص إجازات منيفة 36- شذرة من السيرة  
 الحممدية 37- الشذرة البهية في ألغاز نحوية وأدبية 38- محاورة في الفونوغراف  
 39- إقامة الحجّة على المصلي جماعة قبل الإمام الراتب 40- الآراء الفلسفية في  
 الموت وفي علاج الخوف منه وفي رفع الأوهام منه وفي رحمة وجوده وفي أن الحياة  
 الحقيقية بعد الموت 41- إصلاح المساجد من البدع والعوائد 42- رد على مسيحي  
 يزعم أن نعيم الجنة روحاني لا جسماني 43- الأجوبة المرضية على ما أورده كمال  
 الدين بن الهمام على المستدلين بثبوت سنة المغرب القبلية 44- النفحة الرحمانية  
 شرح متن الميدانية في علم التجويد 45- كتاب الأولياء 46- موعظة المؤمنين من  
 إحياء علوم الدين 47- شرح أربع رسائل في الأصول 48- سؤال مستشرق وجواب  
 حكيم 49- تفسير آية إنا عرضنا الأمانة على السماوات 50- جواب الشيخ السناني  
 في مسألة العقل والنقل 51- مجموعة خطب 52- قاموس الصناعات الشامية "الجزء  
 الثاني" 53- دلائل التوحيد 54- نقد النصائح الكافية لمن يتولى معاونة 55- شرح  
 لباب المحصول في علم الأصول لابن رشيقي 56- مذاهب الأعراب وفلاسفة  
 الإسلام في الجن 57- الإسراء والمعراج 58- إرشاد الخلق إلى العمل بخبر البرق  
 59- أجوبة المسائل 60- العقود التنظيمية في ذكرى مولد النبي وأخلاقه العظيمة  
 ومحاسن شريعته القويمية 61- ميزان الجرح والتعديل 62- حياة البخاري 63- شرح  
 العقائد 64- نسب السادة القاسمية 65- الوعظ المطلوب من قوت القلوب

66- شرف الأسباط 67- جوامع الآداب في أخلاق الإنجاب 68- الاستتناس  
لتصحيح أنكحة الناس 69- المسح على الجوربين 70- محاسن التأويل 71- شرح  
لقطة العجلان للزرکشي 72- تنبيه الطالب إلى معرفة الفرض والواجب  
73- الفتوى في الإسلام 74- تاريخ الجهمية والمعتزلة 75- كتاب بدون عنوان ولا  
تاريخ " وفيه معالجة لبعض قضايا الإسلام " 76- الطائر الميمون في حل لغز الكنز  
المدفون (رسالة) 77- هداية الألباب لتفسير آية وطعام الذين أوتوا الكتاب (رسالة)  
78- فصل الكلام في حقيقة عود الروح للميت حين السلام (رسالة) 79- زبدة  
الأخبار في ولدان الكفار (رسالة) 80- أعلام الجاحد على قتل الجماعة المتمالئة  
بالواحد (رسالة) 81- درء الموهوم من دعوى جواز المرور بين يدي المأموم (رسالة)  
82- مجموعة رسائل في أصول التفسير وأصول الفقه (رسالة) 83- في الشاي  
والقهوة والدخان (رسالة) 84- في علم الأصول (رسالة) 85- السفينة (مخطوط)  
86- كناشة (مخطوط) 87- حواشي على الروضة الندية شرح الدرر البهية لصديق  
حسن خان.

### المصادر:

- الأعلام 2: 131 المؤرخون الدمشقيون: 42 أعلام الأدب والفن 2: 119 -  
120 قاموس الصناعات الشامية 2: 191 - 206 المنتخبات 2: 717 حلية البشر  
1: 437 - 439 الأدب العربي انعاصر في سورية: 154 - 157 الفكر العربي في  
العصر الحديث: 213 - 218 معجم المؤلفين 3: 157 ، 11: 220 ، 13: 420  
جمال الدين القاسمي: 632 - 688.

### ● القاسمي، محمد سعيد (1842 - 1900).

محمد سعيد بن قاسم بن صالح الحلاق الشهير بالقاسمي.

### آثاره:

1- قاموس الصناعات الشامية (الجزء الأول) 2- سفينة الفرج فيما هب ودب  
ودرج 3- ديوان (سماء جمال الدين القاسمي: الطالع السعيد في ديوان الإمام  
الوالد السعيد) 4- تنقيح الحوادث اليومية (في تهذيب يوميات ابن بدير الحلاق)  
5- الثغر الباسم (جمعه لأبيه قاسم القاسمي).

## المصادر:

الأعلام 7: 13 حلية البشر 2: 654 - 611 المنتخبات 2: 722 جمال الدين القاسمي: 18 قاموس الصناعات الشامية 1: 8 - 10 المؤرخون الدمشقيون: 39 معجم المؤلفين 10 - 34.

## ● القباني، أبو خليل (1833 - 1902).

أحمد أبو خليل بن محمد بن حسن أقيق الشهير بالقباني.

## آثاره:

- 1- ناكر الجميل 2- أسد الشرى 3- هارون الرشيد وأنس الجليس<sup>(1)</sup> 4- الأمير محمود وزهر الرياض 5- حيل النساء (أو: لوسيا) 6- الأمير علي 7- الأمير يحيى 8- عاقبة الصيانة وغائلة الخيانة<sup>(2)</sup> 9- عبد السلام الحمصي (أو: ديك الجن) 10- هارون الرشيد والأمير غانم بن أيوب وقوت القلوب 11- مجنون ليلي 12- نفع الربي 13- حمزة المحتال 14- جميل وجميلة 15- الشيخ دحداح 16- الشيخ وضاح ومصباح وقوت الأرواح<sup>(3)</sup> 17- السلطان حسن 18- عائدة<sup>(4)</sup> 19- عنتره بن شداد 20- ولادة (أو: عفة المحبين) 21- لباب الغرام (أو: مشردات) 22- الأمير محمود نجل شاه العجم 23- الحاكم بأمر الله 24- الشاه محمود 25- مذكرات.

## المصادر:

- الأعلام: 236 القصة في سورية 189، 195 - 196 الترية الموسيقية: 241  
أعلام الأدب والفن 1: 249 - 256 المسرحية في الأدب العربي الحديث 61 - 68،  
115 الموسوعة العربية الميسرة: 32 معجم المطبوعات 3: 1493 جريدة الأهرام  
القاهرة: 1974 (23 / 6 / 1884) معجم المؤلفين 2: 94، 13: 367.

(1) وتعرف باسم هارون الرشيد مع أنس الجليس.

(2) وتعرف باسم عفيفة، أو: عفيفة والأمير علي.

(3) وتعرف باسم الملك وضاح ومصباح وقوت القلوب.

(4) وتعرف باسم عائدة.

● القدسي، الياس (1850 – 1926).

الياس بن عبده القدسي.

آثاره:

1- نبذة تاريخية في الحرف الدمشقية 2- (رسالة) في مسك الدفاتر 3- نوادر وفكاهات من أحاديث الحيوانات (عربها عن لافونتين باللهجة الشامية شعراً وفيه وردت قصته الشعريتان البرغوت والبقة، والواوية والكلاب). له نحو عشرين مسرحية تمثيلية وقصة عادية لم يطبع إلا بعضها، وهذا القليل المطبوع فقد.

المصادر:

- الأعلام 1: 349 معجم المطبوعات 3: 1497 القصة في سورية: 182 -  
183 مجلة المجمع العلمي العربي، مجلد 6: 370 - 372 معجم المؤلفين 2: 315.

● القزاز، صالح ( 1824 - ).

صالح بن محمد بن خليل بن صالح بن خليل الشهير بالقزاز.  
امتاز بعلمه وبخطه الجميل وسرعته في الكتابة.

آثاره:

1- ديوان خطب.

المصادر:

- حلية البشر 2: 717 - 718 معجم المؤلفين 5: 10.

● القساطلي، سلمى (1870 – 1917).

سلمى بنت عبده يوسف بن نقولا القساطلي.

تلقت مبادئ الطب في بيروت، وانتقلت إلى مصر فنالت شهادة في أمراض النساء والتوليد من مدرسة القصر العيني سنة 1903. تنقلت مراراً بين دمشق والقاهرة حيث توفيت.



## آثارها:

1- نصيحة والده (عن الفرنسية).

## المصادر:

- الأعلام، 3: 174 مجلة فتاة الشرق 14: 241-244.

● القساطلي، نعمان (1856 - 1920).

نعمان بن عبده بن يوسف بن نقولا القساطلي.

## آثاره:

1- الروضة الغناء في دمشق الفيحاء 2- مرآة سورية وفلسطين (مخطوط)<sup>(1)</sup>

3- حسر اللثام عن نكبات الشام (وقد عزاه إليه عبد الكريم غرايه في كتابه سورية في القرن التاسع عشر)<sup>(2)</sup>.

## المصادر:

- الأعلام 9: 6-7 معجم المطبوعات 3: 1510 القصة في سورية: 77، 96

130 المؤرخون الدمشقيون: 99 مجلة الجنان، 12: 382 (سنة 1882) الروضة الغناء: 90 معجم المؤلفين 13: 106.

● القصاب، محمد كامل. (1873 - 1954).

محمد كامل بن أحمد بن عبد القادر القصاب.

اعتكف أعواماً في جامع العقبة وانقطع إلى العلم. برع في علوم العربية والقراءات. أنشأ "المدرسة الكاملة" وكان لها دورها في بعث الروح القومية العربية بدمشق. من أعضاء جمعية "العربية الفتاة". رحل إلى مصر والحجاز، وعاد إلى

(1) انظر هامش الصفحة (172).

(2) انظر أيضاً باب أدب القصة.

دمشق بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى في سنة 1914. ثم رحل إلى الحجاز ثانية ثم إلى فلسطين. ولدى عودته إلى دمشق، عين رئيساً "للجنة العلماء" مدة، استقال في أواخر أيامه وانزوى في بيته إلى أن وافاه أجله.

#### آثاره:

1- النقد والبيان (بالاشتراك مع عز الدين القسام).

#### المصادر:

- الأعلام 7: 235 - 236 المنتخبات 1: 913 معجم المؤلفين 11: 157.

● قصاب حسن، أنيس (1823 - 1890).

أنيس بن سليم بن محمود بن سعيد بن حسين الشهير بقصاب حسن.

#### آثاره:

1- ديوان شعر.

#### المصادر:

- حلية البشر 1: 365 - 366 معجم المؤلفين 3: 25.

● قصاب حسن، محمد سليم. (1853 - 1913).

محمد سليم بن أنيس بن سليم بن محمود بن سعيد بن حسين الشهير بقصاب حسن.

#### آثاره:

1- نشأة الصبأ ونسمة الصبا 2- ديوان شعر 3- سحر البيان 4- ديوان شعر 5- جهد المستطيع في أنواع البديع 6- البديعية في مدح خير البرية.

#### المصادر:

- الأعلام 7: 19 أعلام الأدب والفن 2: 114 - 115 المنتخبات 2: 724 - 725 و3: 1037 حلية البشر 2: 685 - 696 القصة في سورية: 38 معجم المؤلفين 4: 243، 10: 45.

● القصار، عبد الرحمن (1868 – 1929).

عبد الرحمن بن عبد الحميد القصار.

آثاره:

1- تغريد الهزار (مخطوط)

المصادر:

- المنتخبات 3: 1037 أعلام الأدب والفن 1: 233-235 معجم المؤلفين 5: 143

● كرد علي، محمد (1876 – 1953).

محمد بن عبد الرزاق بن محمد كرد علي.

آثاره:

- 1- خطط الشام (في ستة أجزاء) 2- دمشق مدينة السحر والشعر 3- الرحلة الأنورية إلى الأصقاع الحجازية والشامية 4- رسائل البلغاء 5- غرائب الغرب
- 6- كنوز الأجداد 7- غوطة دمشق 8- الإسلام والحضارة الغربية 9- أمراء البيان
- 10- أقوالنا وأفعالنا 11- تاريخ الحضارة القديم والحديث (تعريب عن شارل سينويوس) 12- المذكرات (بين 1948 – 1951) 13- غابر الأندلس وحاضرها
- 14- يتيمة الزمان 15- سيرة أحمد بن طولون للبلوى (تحقيق) 16- المستجاد من
- فعلات الأجواد لأبي علي المحسن التنوخي (تحقيق) 17- تاريخ حكماء الإسلام
- لظهير الدين البيهقي (تحقيق) 18- كتاب الأشربة لابن قتيبة (تحقيق) 19- كتاب
- البيزرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي (تحقيق).

المصادر:

- الأعلام 7: 33 – 35 فنون الأدب المعاصر في سورية 84 – 85 كنوز الأجداد: المقدمة أعلام الأدب والفن 1: 236 – 237 القصة في سورية: 59 – 60 مجلة العربي الكويتية، 60: 25 – 27 (لسنة 1963) معجم المؤلفين 10: 162 الأدب العربي المعاصر في سورية: 194.

● الكردي، أبو بكر ( 1852 - )

أبو بكر الكردي.

أخذ علومه العقلية والنقلية عن الشيخ خالد النقشبندي وغيره من أعلام عصره.

آثاره:

1- تفسير القرآن (لم يكتمل بسبب الوفاة).

(وذكر صاحب حلية البشر أن له مؤلفات كثيرة ورسائل شهيرة إلا أنه لم يعدد هذه المؤلفات والرسائل بأسمائها ولم نعر عليها).

المصادر:

- حلية البشر 1 : 103 .

● الكزبري، عبد الرحمن ( 1771 - 1846 ).

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد الكزبري.

من فقهاء الشافعية. تولى وظيفة تدريس البخاري بجامع بني أمية بعد موت والده في سنة 1806 ، وكانت مدة تدريسه اثنتين وأربعين سنة. أخذ عنه علماء الشام الكثير، كما أفاد منه علماء عصره خارج البلاد الشامية. توفي في مكة المكرمة.

آثاره:

1- ثبت الكزبري.

المصادر:

- الأعلام 4 : 110 حلية البشر 1 : 165 - 166 و 2 : 823 - 836 المنتخبات  
2 : 666 روض البشر : 140 معجم المؤلفين 5 : 177 .

● الكزبري، محمد ( 1727 - 1806 )

محمد بن عبد الرحمن بن محمد الكزبري.

## آثاره:

1- ثبت (في أسماء شيوخه).

## المصادر:

- الأعلام 7 : 70 المنتخبات 2 : 679 معجم المؤلفين 10 : 152.

● كساب، سليم (1841 - 1907).

سليم بن الياس كساب.

## آثاره:

1- الدررة الفريدة في الدروس المفيدة (3 أجزاء) 2- فلاة النحو في غرائب البر والبحر (جزآن) 3- منهج الطلاب في مبادئ الآداب 4- الغنائم بالعزائم (معرب وفيه تراجم أشهر المكتشفين).

## المصادر:

- معجم المطبوعات 3 : 1560 معجم المؤلفين 4 : 242.

● الكنجي، محمد (1791 - 1866).

محمد بن أحمد الحنفي الشهير بالكنجي.

## آثاره:

1- بلوغ المنى في تراجم أهل الغنا.

## المصادر:

- أعلام الأدب والفن 1 : 216 المنتخبات 2 : 686 روض البشر: 236 فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية، التاريخ وملحقاته: 303.

● الكيلاني، محمد (1760 - 1828)

محمد بن صالح بن عبد القادر بن إبراهيم الكيلاني.

## آثاره:

1- نسمات الأسحار ونجمات الأزهار في فضائل العشرة الأبرار أصحاب النبي المختار (مخطوط)

## المصادر:

- الأعلام 7 : 34 روض البشر: 229 معجم المؤلفين 10 : 83

## ● الكيواني، أحمد (1759 - )

أحمد بن حسين بن مصطفى بن حسين بن كيوان الشهير بالكيواني. كان يقضي معظم أوقاته في حانوت بسوق الدرويشية في دمشق، ويلتقي هناك بأصدقائه من أدباء المدينة. وكان يحسن لعبة الشطرنج.

## آثاره:

1- حانات الطرب 2- ديوان الكيواني.

## المصادر:

- المنتخبات 3 : 1155 معجم المؤلفين 1 : 208.

## ● اللبايدي، أحمد ( 1900 - )

أحمد بن محمد مصطفى الشهير باللبايدي. لازم مسلك القضاء الشرعي. زار الآستانة في أوقات متعددة، كما تولى بعض الأفضية في بيروت ودمشق.

## آثاره:

1- لطائف اللغة 2- شرح المجلة (جزآن).

## المصادر:

- الأعلام 1 : 242 المنتخبات 2 : 706 معجم المطبوعات 3 : 1586 معجم المؤلفين 2 : 146.

● اللحام، حسن ( 1913 - ) .

حسن بهاء الدين بن محمد العطار الشهير باللحام (والشامي في الهند). وعظ ودرس في دمشق. رحل إلى الهند وطاف أهم مدنها، وأسهم هناك، في نشر الطريقة النقشبندية.

آثاره:

(ذكر صاحب المتخبات أن له كثيراً من الكتب، بيد أنه لم يعددها ولم نعثر عليها).

المصادر:

- المتخبات 2 : 718 .

● اللوجي، عبد الحلیم (1748 - 1808).

عبد الحلیم بن أحمد بن عبد الرحيم الشهير باللوجي.

آثاره:

1- تاريخ (في ذكر الحوادث المشهورة في زمانه)، (مخطوط).

2- كتب تاريخ المرادي وأكملة بعد فواته، كما ذكر في خاتمته.

المصادر:

- المتخبات 2 : 675 - 676 روض البشر : 136 - 139 المؤرخون الدمشقيون

في العهد العثماني : 34 معجم المؤلفين 5 : 95 .

● المالكي، عمر (1813 - 1880).

عمر بن إبراهيم الشهير بالمالكي.

من فقهاء الحنفية.

## آثاره:

(روى صاحب روض البشر أن له رسائل في الفرائض والحساب وكتب تعاليق في النحو، إلا أنه لم يعددها ولم نعر عليها).

## المصادر:

- روض البشر: 191 معجم المؤلفين 7: 270.

● المبارك، عبد القادر (1887 - 1945).

عبد القادر بن محمد المبارك.

عرف عنه حفظه اللغة والألفاظ الكتابية والقاموس المحيط عن ظهر قلب. وهذا ما شجع خصومه على القول بأنه نسخة حية من القاموس. كما أخذوا عليه أن قال الشعر وهو ليس من أهله. عرف مكتب عنبر بدمشق الشيخ عبد القادر سنين طويلة، اتصلت من أيام الترك إلى العهد الفيصلي إلى أيام الانتداب. اختير عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق.

## آثاره:

1- فرائد الأدبيات العربية 2- شرح القصيدة الديرية 3- المعلومات المدنية (كتاب مدرسي ترجمه عن التركية).

## المصادر:

- الأعلام 4: 170 مكتب عنبر: 48 - 50 معجم المؤلفين 5: 301.

● المخلع، جبرائيل ( - 1851).

جبرائيل بن يوسف المخلع.

درس التركية والفارسية في الإسكندرية. وتولى فيها، مدة، وظيفة كاتب في الديوان الخديوي. ولدى عودته إلى دمشق أعتنق الأرثوذكسية بعد أن شماساً كاثوليكياً، وذلك قبل سفره إلى مصر.



## آثاره:

1- الكلستان (ديوان شعر ترجمه عن الفارسية للشاعر صلاح الدين السعدي، في عام 1842 في أربعين يوماً).

## المصادر:

- معجم المطبوعات 3: 1719 القصة في سورية: 50 - 51 تاريخ آداب اللغة العربية 4: 576.

## ● المرادي، حكمة (1888 - 1928).

حكمة بن محمد المرادي.

تخرج من معهد دمشق الطبي، وكان واحداً من طلائع اليقظة العربية في سورية.

توفي في مضايا القريبة من دمشق.

## آثاره:

1- القاموس الفلسفي (ترجمه عن الفرنسية لفولتير).

(وفي قاموس الأعلام أنه وضع وترجم إلى العربية عدة روايات مسرحية وقصصية طبع بعضها).

## المصادر:

- الأعلام 2: 297 معجم المؤلفين 4: 71.

## ● المرادي، علي (1749 - 1814).

علي بن حسين المرادي.

مفتي دمشق.

## آثاره:

1- أقوال الأئمة العالنة في أحكام الدروز والتيامنة (رسالة).

## المصادر:

- المنتخبات 2: 665 أعيان دمشق: 199 - 200 معجم المؤلفين 7: 232.

### ● المرتضى، رضا آل (1868 - 1903).

رضا بن سليم آل المرتضى.

#### آثاره:

1- ديوان المرتضى (رتب قصائده على حروف الهجاء).

## المصادر:

- أعلام الأدب والفن 2: 121 - 123 معجم المؤلفين 13: 287

### ● مردم بك، خليل (1895 - 1959).

خليل بن أحمد مختار مردم بك.

#### آثاره:

1- شعراء الشام في القرن الثالث 2- الجاحظ 3- ابن المقفع 4- ابن العميد 5- الفرزدق 6- الصاحب (ابن عباد) 7- جمهرة المغنين 8- الأعرابيات 9- ديوان خليل مردم بك 10- أعيان القرن الثالث عشر في الفكر والسياسة والاجتماع. وحقق أربعة دواوين شعرية هي:

1- ديوان ابن عنين الدمشقي 2- علي بن الجهم 3- ابن حيوس 4- ابن الخياط. كما حقق، بمشاركة زملاء له في الرابطة الأدبية بإصدار كتاب "معاني الشعر" للأشناداني.

## المصادر:

- أعيان القرن الثالث عشر: 19 - 20 ديوان خليل مردم بك: 21 - 32 شخصيات: 37 - 66 الأدب العربي المعاصر في سورية: 280 - 284 فنون الأدب المعاصر في سورية: 402 - 404 معجم المؤلفين 13: 384.

● مرشاق، أمين (1879 - ) .

أمين مرشاق.

قصد بيروت للدراسة وتلقى علومه في الكلية الأمريكية، وحاز فيها على لقب B.A ثم انتقل منها إلى القاهرة وشغل أعمالاً وظيفية.

آثاره:

1- سمة الإخلاص (وهو ترجمة لحياة إسماعيل سري باشا مفتش مشروعات الري ثم ناظر الأشغال العمومية في مصر).

المصادر:

- معجم المطبوعات 3: 1733 .

● مرقس، جرجي (1844 - 1911).

جرجي بن إبراهيم بن جرجس مرقس.

آثاره:

1- رحلة البطريرك مكاريوس 2- ترجم إلى الروسية قسم الديوان المنسوب إلى علي بن أبي طالب وخطاباته 3- ترجم إلى الروسية معلقة امرئ القيس مع مقدمة وتفسيرات عديدة (يقول صاحب أعلام الأدب والفن أن له ستة عشر مؤلفاً بينها مؤلفات عن الدروز وأصلهم ومعتقداتهم الدينية، إلا أنه لم يعددها).

المصادر:

- أعلام الأدب والفن 1: 222 - 223 معجم المؤلفين 3: 124 .

● معقد، جرمانوس (1853 - 1912).

جرمانوس معقد.

اشتهر بإنشاء جمعية المرسلين البوليسيين وبنى لهم ديراً في حريصا وسلك في الكهنوت حتى سيم مطرانا على طائفة الروم الملكيين.

## آثاره:

- 1- حسناء بيروت (رواية) 2- ذخيرة الأصغرین 3- رفيق العابد 4- السواعية 5
- الميناون 6- تفسير القداس 7- خدمة الفصح. (ومؤلفات دينية وطقسية أخرى لم يرد ذكر أسمائها في المصادر التي تحدثت عنه).

## المصادر:

- معجم المطبوعات 3: 1765 القصة في سوربة: 85 معجم المؤلفين 3: 128.

## ● المنير، محمد صالح ( - 1903).

محمد صالح بن أحمد بن سعيد الحسيني الشهير بالمنير.

تأهل للتدريس في سنة 1870 في الجامع الأموي. كما درس في المدرسة الإخائية. وكان له يد في تأسيس المكتبة الظاهرية. عين عضواً في مجلس المعارف بدمشق مرات. وعني بمناظرة أهل الملل غير الإسلامية، حتى أنه عين حكماً في الخلاف الذي نشب بين البروتستانت واليسوعيين عبر صحيفتيهما "النشرة الأسبوعية" و"البشير". وفاته في الآستانة.

## آثاره:

- 1- الظل في المجاز المرسل 2- العقود الغالية 3- ديوان (في المديح والغزل)
- 4- الحكم بين بعض البروتستانت واليسوعيين (رسالة).

## المصادر:

- الأعلام 7: 35 حلية البشر 2: 729 - 730 الروضة الغناء في دمشق  
الفيحاء: 161 معجم المؤلفين 10: 80.

## ● المنير، محمد عارف (1848 - 1923).

محمد عارف بن أحمد بن سعيد الحسيني الشهير بالمنير.

شغل منصب الرئيس الثاني لمجلس المعارف بدمشق. من فقهاء الشافعية

## آثاره:

1- أسمى الرتب في العقل والعلم والأدب (رسالة) 2- حسن الابتهاج بالإسراء والمعراج (رسالة) 3- الاعتماد في الاجتهاد (رسالة) 4- أقرب القرب في تفريج الكرب (رسالة) 5- الامتنان بتكذيب المفترى على القرآن (رسالة) 6- رفع الأعراب عن كنية الأعراب (رسالة) 7- الحصون المنيعه في براءة عائشة الصديقه باتفاق أهل السنة والشيعة (رسالة مخطوطة) 8- حميدية الزمان بأفضلية الرسول الأعظم (مخطوط).

## المصادر:

- الأعلام 7 : 49 معجم المطبوعات 2 : 1258 المنتخبات : 2 : 713 معجم المؤلفين 10 : 114.

## ● الموقع، محمود (1841 - 1904).

محمود بن عبد المحسن أسعد بن عبد القادر الموقع.

## آثاره:

1- الانكسار (ديوان) 2- الأسُّ الجميل باختصار الأونس الجليل في تاريخ القدس وبلد الخليل 3- عمدة الناسك (في المناسك) 4- مولد 5- تنبيه الأبناء 6- الفوائح العرفانية في المدائح المرغنية (مخطوط) 7- شرح الشمائل الترمزية (مخطوط).

## المصادر:

- الأعلام 8 : 54 المنتخبات 2 : 732 و 792 معجم المؤلفين 12 : 178.

## ● الميداني، عبد الغني (1807 - 1880).

عبد الغني بن طالب بن حمادة بن إبراهيم بن سلمان الشهير بالميداني من العلماء.

## آثاره:

- 1- سل الحسام على شاتم دين الإسلام 2- إسعاف المريدين في إقامة فرائض الدين 3- شرح القدوري ، أو: الشرح المسمى باللباب على متن القدوري 4- شرح عقيدة الطحاوي 5- شرح المراح في علم التصوف 6- في صحة وقف المشاع (رسالة)
- 7- في مشد المسكة (رسالة) 8- في رد شبهة عرضت لبعض الأفاضل (رسالة) 9- في كشف الالتباس فيما أورده البخاري على بعض الناس (رسالة).

## المصادر:

- حلية البشر 2 : 867 - 872 المنتخبات 2 : 670 معجم المؤلفين 5 : 274

● اليافي، سعد الدين (1824 - 1894).

سعد الدين بن محيي الدين بن عبد اللطيف لطفي الشهير باليافي.  
تولى القضاء الشرعي في أكثر أقضية سورية.

## آثاره:

- 1- تنوير الألباب في الأحكام والآداب 2- الرياض المكية 3- مرجع الرئاسة في أحكام السياسة 4- فتوحات الإرشاد لمن أراد الحكومة بين العباد 5- نتائج الأحكام للقضاء والأحكام 6- إغاثة الملهوف باصطناع المعروف 7- غاية الضبط في معرفة رسم الخط 8- الروضة الزاهرة في السلالة الطاهرة 9- نيل الأجور في إدخال السرور.

## المصادر:

- المنتخبات 2 : 726 - 727.

● اليافي، صالح ( - 1834).

صالح اليافي.

من فقهاء الشافعية. كان إماماً ومرشداً في المدرسة البازرائية، ومن علماء الصوفية.

## آثاره:

1- مختصر اليافي 2- الحكم في كلام القوم.

## المصادر:

- حلية البشر 2: 716.

● اليافي، محيي الدين (1803 – 1886).

## محيي الدين اليافي

تلقى العلم على مشايخ دمشق وعلمائها، وتوسع في الفقه الحنفي. نزل بيروت في سنة 1843 وتوطنها، وتولى التعليم فيها، كما تولى منصب الإفتاء وكان ثقة.

## آثاره:

(ذكر جرجي زيدان أن له مؤلفات، ولكنها لم تطبع).

## المصادر:

- تاريخ آداب اللغة العربية 4: 637.

ملحق رقم (8)  
المؤلفات المطبوعة في دمشق  
(1856 - 1915)<sup>(1)</sup>

السنة	المطبعة	المؤلف	الكتاب <sup>(2)</sup>
1856			عشية الأحد "كراسة دينية"
1865			المزامير "كراسة دينية"
1866	الدومانية	ابن حجر المكي الهيمشي	تحفة الأخبار في مولد المختار
1866		عبد بن إسماعيل الشهير بالنابلسي	كفاية الغلام في جملة أركان الإسلام
1867	ولاية سورية	الشيخ قاسم	الدرة الزاهرة بتضمن البراءة الفاخرة
1870		عمر العطار	"رسالة" في موضوع المنطق. (طبعة أولى)
1871	ولاية سورية	محمود حمزة	"رسالة" في قواعد الأوقاف
1874	السليمية <sup>(3)</sup>	أحمد بن أبي القاسم الخلوف الأندلسي	ديوان الخلوف
1874	ولاية سورية	عبد بن إسماعيل الشهير بالنابلسي	علم الملاحة في علم الفلاحة

(1) اعتمدت في استقصاء أسماء هذه المؤلفات على مصادر عديدة أهمها: معجم المطبوعات العربية والعربية (3 مجلدات). معجم المؤلفين (12 جزءاً). قاموس الأعلام (11 جزءاً). حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (3 أجزاء). رموز البشر في أعيان دمشق في القرن الثالث عشر. منتخبات التواريخ لدمشق (3 أجزاء)، فضلاً عن فهارس دار الكتب الظاهرية وجامعة دمشق، ودار الكتب الوطنية والمكتبة الأحمدية في حلب.

(2) الكتب المسبوقه بدائرة سوداء في هذا الملحق والملحق الذي يليه، اطلعنا عليها في دار الكتب الظاهرية في دمشق.

(3) نسبة إلى سليم المدور الذي انتقلت إليه ملكية المطبعة الدومانية.



السنة	المطبعة	المؤلف	الكتاب
1875		محمد الإسكندارني	الأزهار المجتبية في مداواة الهبضة الهندية
1878	ولاية سورية	طاهر الجزائري	بديع التلخيص وتلخيص البديع (طبعة أولى)
1878	ولاية سورية	محمد المبارك الجزائري	أبهى مقامة في المفاخرة بين الغربية والمقامة
1879		صفي الدين الحلبي	ديوان صفي الدين الحلبي
1880		محمد توفيق الأنصاري	الأحكام العدلية "فقه حنفي"
1880		مصطفى خلقي	وظائف الإناث "معرب عن التركية" (1)
1880	حبيب أبو خالد	عمود حمزة	الفرائد البهية في القواعد الفقهية "فقه حنفي"
1880	الخيرية	محمد سليم قصاب حسن	نشأة الصبا ونسمة الصبا (2)
1881	الحفنية	عمود حمزة	مسائل الأوقاف : طبعة أولى
1881	معارف سورية		الهدية العلائقية لتلامذة المكاتب الابتدائية
1881	حبيب أبو خالد	عبد العزيز الحلبي التنيسي	ديوان الشيخ صفي الدين أبو المحاسن
1881	ولاية سورية	طاهر الجزائري	بديع التلخيص وتلخيص البديع (طبعة ثانية)
1881	ولاية سورية	طاهر الجزائري	● حدائق الأفكار في رقائق الأشعار
1881		طاهر الجزائري	● منية الأذكياء في قصص الأنبياء "ترجمة عن التركية"
1881	ولاية سورية	محمد سليم (3)	تعليمات مجالس المعارف "معرب عن التركية"
1881		عبد بن إسماعيل الشهير بالنابلسي	نفحات الأزهار على نسيمات الأسحار في مدح النبي المختار

(1) ورد ذكره تحت اسم "وظائف الأطفال" في مخطوط للمؤلف. انظر الصفحة (175).

(2) ذكره يوسف سرقيس في "معجم المطبوعات" بين الكتب الصادرة في سنة 1881.

(3) نرجح أنه محمد سليم قصاب حسن.

السنة	المطبعة	المؤلف	الكتاب
1881			فهرس المكتبة العمومية (دار الكتب الظاهرية)
1882	معارف سورية	طاهر الجزائري	● الفوائد الجسام في معرفة خواص الأجسام "طبيعات"
1882	نهج الصواب	محمود حمزة	الطريقة الواضحة على البنية الراجحة "فقه حنفي"
1882	الحفنية	محمود حمزة	مسائل الأوقاف (طبعة ثانية)
1882		محمد الإسكندراني	تبيان الأسرار السريانية في النباتات والمعادن والخواص الريانية
1882		أحمد البربر	مقامة في المفارقة بين الماء والهواء
1882		محمد المبارك الجزائري	● المقامة للغة
1883	ولاية سورية	محمود حمزة	تحفة الإسماع لمولد حسن الأخلاق والطباع
1883	الحفنية	عمر العطار	● تحقيقات بهية وتدقيقات سنية في فيوضات من خزائن الجود في تحقيق معنى الوجود
1883	الحفنية	القاقوجي الحسيني	الطور الأعلى شرح الدور الأعلى لابن عربي "تصوف"
1883	الحفنية	أحمد الكيواني	ديوان أحمد بك الكيواني
1883	الحفنية	الأمير منجك اليوسفي الدمشقي	ديوان منجك باشا الدمشقي
1883	الحفنية	محمود حمزة	● تحبير المقالة في الحيلولة والكفالة
1883	الحفنية	عائشة الباعونية	مولد النبي "منظومة شعرية"
1883		أبو منصور الثعالبي	الضرائد والقلائد (طبع بهامش نشر النظم وحل العقد للمؤلف)
1883		عارف الحسيني	أسمى الرتب في العقل والعلم والأدب
1883		عمر العطار	"رسالة" في ترتيب العوالم العلوية والسفلية أعربت عن مكنون الحروف والأسماء
1883		عمر العطار	● قرائد فوائد وجواهر قلائد في مسألة جهة الواحد "منطق"

السنة	المطبعة	المؤلف	الكتاب
1884		ابن ركيح "أبو محمد التنيسي"	مزدوجة "يتضمن ذكر الفصول الأربعة"
1884		أبو شعر داؤود	تحفة الأخوان في حفظ صحة الأبدان
1884		الأمير الكبير "محمد الأزهري"	أنحاف الأنس في العلمية واسم الجنس
1884		الأمير الكبير "محمد الأزهري"	الوظيفة الشاذلية وأوراد الطريقة المذكورة
1884	الحفنية	محمد المبارك الجزائري	غرب الأنبا في مناظرة الأرض والسما
1884	معارف سورية	الخورانسي الدمشقي "عثمان أبو سويح"	الإشارات إلى أماكن الزيارات بدمشق الشام وما حولها
1884	الحفنية	عبد بن إسماعيل الشهير بالنابلسي	إيضاح الدلالات في جواز سماع الآلات
1884		أبو القاسم الواساني	القصيدة النونية الهزلية "تقد لتقاليد الضيافة"
1884		عمر العطار	"رسالة" في موضوع المنطق (طبعة ثانية)
1884		محمد أمين بن عابدين	الرحيق المختوم شرح قلائد المنظوم
1885		أحمد الأسلامبولي	● تحفة الناسك في بيان المناسك
1885	الحفنية	أبو منصور الثعالبي	يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر. (الجزء الرابع منه)
1885	ولاية سورية	طاهر الجزائري	تسهيل المجاز إلى فن المعنى والألغاز
1885	الحفنية	سليم عنحوري	● سحر هاروت "ديوان شعر"
1885		أبو حفص عمر الهرندي	الأصداف والندر
1885		محمود حمزة	التفاوض في التناقض "فقه حنفي"
1885		محمود حمزة	تنبيه الخواص على أن الإمضاء في الحدود لا في القصاص "فقه حنفي"
1885		محمود حمزة	رسالة في خلل المحاضر والسجلات
1885	ولاية سورية	محمود حمزة	رفع الفشاوة عن أخذ الأجرة على التلاوة "فقه حنفي"
1885		محمود حمزة	فتوى الخواص في حل ما صيد بالرصاص

السنة	المطبعة	المؤلف	الكتاب
1885		محمود حمزة	كشف الستور عن صحة المهابيا في الأجر
1885		محمود حمزة	● مجموعة (فيها عشر رسائل)
1886	ولاية سورية	طاهر الجزائري	تمهيد العروض إلى فن العروض
1886	ولاية سورية	طاهر الجزائري	السوانح الكمالية على الحكم الشاذلية
1886		محمود حمزة	تصحيح النقول في استماع دعوى المرأة بكل المعجل بعد الدخول "فقه حنفي"
1886		حنا عنحوري	شقاء المحبين : (رواية مترجمة عن الفرنسية طبع منها في دمشق الجزء الأول فقط).
1887	ولاية سورية	البهوتي الحنبلي	الروض المربع بشرح زاد المستنقع مختصر المقنع "فقه ابن حنبل"
1887	ولاية سورية	حسين الطرابلسي	الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الإسلامية وحقيقة الشريعة الإسلامية
1889	ولاية سورية	محمد عارف الحسيني المنير	● حسن الابتهاج بالإسراء والمعراج
1890	ولاية سورية		أورد سيدنا إبراهيم الرشيد
1890		أحمد السفرجلاني	السفينة الأدبية في الموسيقى العربية
1890		صالح محمد بن طه	الدراري واللال لمدح محمد والآل
1891	ولاية سورية	التونسي الشاذلي "أبو المواهب"	قوانين حكم الإشراق إلى كل الصوفية بجميع الرفاق
1891		محمود حمزة	تفسير الكلام المسبجل المسمى دار الأسرار: جزء واحد منه تفسير القرآن بالحرف المهمل
1892	الترقي	الأشهب الترساوي الفيومي	غاية المرام في عقائد الإسلام
1892	ولاية سورية	طاهر الجزائري	● مد الراحة لأخذ المساحة
1892		الشيخ نشابه	الدر الثمين في تجويد الكتاب المين
1893	ولاية سورية	صالح البغدادى	مختصر كفاية المريد في علم التجويد
1893	روضة الشام	محمد علي المرعشي	أتحاف الطلبة بالأسئلة المنطقية والأجوبة.

السنة	المطبعة	المؤلف	الكتاب
1895	الترقي	أبو الفرج "علي بن هندو"	الكلم الروحانية في الحكم اليونانية
1895		طاهر الجزائري	● الجواهر الكلامية في العقائد الإسلامية "في التوحيد"
1895		محمد حسن الشطي	● الفتح المبين في تلخيص كلام الفرضيين "فرائض المذاهب الأربعة"
1895		محمود حمدي داود آغا	بلغة المرید في الفقه والتوحيد "فقه حنفي"
1895	روضة الشام	محمد علي المرعشي	أتحاف الطلبة بالأسئلة المنطقية (الطبعة الثانية)
1895		محمود حمزة	ترجمة تعلم الحال المختصر "فقه حنفي"
1896		راغب بن السادات الدمشقي	القول المؤيد المنصور في سماع دعوى النساء بعد الدخول بكل المعجل أو بعض من المهور
1898	الترقي	أبو منصور الثعالبي	مرآة المروآت وأعمال الحسنات
1898	روضة الشام	محمد السفرجلاني	الكوكب الخيٲ شرح درة الحديث : "في مصطلح الحديث"
1898	الترقي	جمع : محمد علي كاميل (الفاضل المصري)	أسباب ونتائج وأخلاق ومواعظ
1899	الترقي	محمد البارودي	دليل العمدة
1899		أبو منصور الثعالبي	نثر السنظم وحل العقد "في صناعة الإنشاء"
1899	الترقي	حسن العدل	أصول الكلمات العامة
1899	الترقي	حسن رياض <sup>(1)</sup>	ثمره الحياة "معرب عن جون ليبوك"
1899	الترقي	السيد حلمي	فرائد الفوائد
1899	الترقي	مصطفى الديماطي	التاريخ الأثري من القرآن الشريف

(1) في بعض المراجع : حسين رياض.

السنة	المطبعة	المؤلف	الكتاب
1899		محمد السفرجلاني	القطوف الدانية في العلوم الثمانية : جزءان
1899	الترقي	محمد طلعت حرب	تربية المرأة والحجاب "حول مسألة تحرير المرأة"
1899	الترقي	محمد توفيق بسيم	البيعة الدينية لصاحب الخلافة الشرعية
1899	الترقي	عمود خيرت	تنوير الفهم في شرح وتشطير قصيدة ابن الجهم
1899	الترقي	محمد دياب	تاريخ آداب اللغة العربية. (الجزء الثاني فقط)
1900	الترقي	أحمد صالح	علموا الأطفال ما يفعلونه وهم رجال
1900	الترقي	إخوان الصفا	الحيوان والإنسان
1900	الترقي	عبد اللطيف الإسكندري	دليل المنوفية
1900	الترقي	صالح بك الملقب بأصمعي	الاحتجاج "رد على تحرير المرأة بقلم عبد الله جمال الدين. "معرب عن التركية"
1900	الترقي	عبد الله جمال الدين	السياسة الشرعية وحقوق الراعي وسعادة الرعية "معرب عن التركية"
1900	الترقي	حقي العظم	● دفاع بالفننا. "في حرب الروس مع الدولة سنة 1878"
1900	الترقي	علي بن أبي طالب	الخطبة الأمامية الخالية من حرف الألف
1900	الترقي	فريد وجدي	الحديقة الفكرية في إثبات وجود الله بالبراهين الطبيعية
1900	الترقي	محمد زكي العريشي	القوة الكهربائية
1901	الترقي	حسن رياض	كلمة عن النساء "معرب عن شونهور"
1901	الترقي	حين الدجوري	التربية الحديثة "معرب عن آدمون (ديمولين)
1901		محمد السفرجلاني	عقود الأسانيد "في مصطلح الحديث"
1901	الترقي	محمد طلعت حرب	فصل الخطاب في المرأة والحجاب "رد على كتاب المرأة الجديدة لقاسم أمين"

السنة	المطبعة	المؤلف	الكتاب
1901	الترقي	الطنطاوي الجوهري <sup>(1)</sup>	جواهر العلوم (النظر في الكون. بهجة الحكماء. عبادة الأذكىاء)
1901	الترقي	حقي العظم	● تاريخ حرب الدولة العلية واليونان
1901	الترقي	فريد وجدي	المرأة المسلمة
1901	الترقي	محمد العناني "أبو الليل"	الفرائد الجمالية في شرح القصيدة الطنطراوية
1901	الترقي	محمود خاطر	ترجمة قليني باشا فهمي
1901	الترقي	مراد سعيد زاده	المأمون وشمبوليون "حول اكتشاف المأمون للكتابة القديمة في الهرم"
1902	الترقي	عبد القادر الجرجاني	أسرار البلاغة في علم البيان
1902	الترقي	علي لبيب	"رسالة" في البلهارسيا
1902	الترقي	محمد خيرى	الوقاية الصحية من الأمراض المعدية
1904	روضة الشام	جمال الدين القاسمي	● الطائر السيمون في حل لغز الكنز المدفون. (الطبعة الثانية)
1905		أبو بكر الخوارزمي	مفيد العلوم ومبيد الهموم
1905		جمال الدين القاسمي	النفحة الرحمانية شرح متن الميدانية في التجويد
1906	العلمية	ابن حزم	مداواة النفوس في تهذب الأخلاق والزهد في الرذائل
1906		باعثناء : محمد جميل الشطي	ديوان عبد السلام الشطي
1906		محمد حسن الشطي	● المنظومات الجميلة الشطية
1906	العلمية	عبد الواحد المراكشي	المعجب في تلخيص أخبار المغرب
1907		جمال الدين القاسمي	خطب
1907		محمد أمين عز الدين	الفتح المبين
1908	منشورات مجلة المقتبس	جمال الدين القاسمي	الأجوبة المرضية
1908	روضة الشام	محمود حمزة	الفتاوى النظم

(1) في بعض المراجع : الجوهري الطنطاوي.

السنة	المطبعة	المؤلف	الكتاب
1909	الإصلاح	خليل الله	خلع السلطان عبد الحميد
1909		شكري العسلي	القضاة والنواب
1909	الإصلاح	محسن العاملي	الحصون المنيعه في رد ما أورده صاحب
		الشقرائي	المنار في حق الشيعة
1909	الإصلاح	محمد رضا	المباحث الأخلاقية
1909		نسيم العازار	أرواح الأحرار
1910		الأمير عبد القادر	شعر "بعض أشعار المؤلف والقوانين
		الجزائري	العسكرية التي بنها"
1910	الحرية	أحمد فؤاد الساعاتي	مشكاة العلوم والبراهين في أبطال أدلة
			الماديين
1910	روضة دمشق	محمد حسن الشطي	● التقليد والتلفيق "فقه ابن حنبل"
1910	المقتبس	جمال الدين القاسمي	مذاهب الأعراب وفلاسفة الإسلام في
			الجن
1910	الفيحاء	جمال الدين القاسمي	● نقد النصائح الكافية على تعديل
			معاوية
1910	المقتبس	محمد كرد علي	غرائب الغرب (سياحة لأوروبا سنة
			(1909)
1911	المقتبس	ابن شرف القيرواني	رسائل الانتقاد الأدبي
		"أبو عبد الله محمد"	
1911	روضة دمشق	باعثناء: عبد القادر	تهذيب تاريخ ابن عساكر (خمسة
	روضة الشام	بدران	أجزاء منه بين الأعوام 1911 - 1913)
1911	روضة الشام	محمد حسن الشطي	الفوز بالنجاح في مسألة فسخ النكاح
1911	المقتبس	جمال الدين القاسمي	إرشاد الخلق إلى العمل بخير البرق
1911		جمال الدين القاسمي	دلائل التوحيد
1911		جمال الدين القاسمي	الفتوى في الإسلام
1911		محمد الخضر حسين	مدارك الشريعة الإسلامية وسياستها
1911	الفيحاء	محمد خير الطباع	ديوان أبي الحسن
1911	المقتبس	محمد عز الدين عريبي	● الروضة البهية في فضائل دمشق
		كاتبي	المحمية
1911		مختار مؤيد العظم	جلاء الأوهام عن مذاهب الأئمة
			العظام والتوسل بجاه خير الأنام



السنة	المطبعة	المؤلف	الكتاب
1911		عبد بن إسماعيل الشهير بالنابلسي	العقود اللؤلؤية في طريق السعادة المولوية
1911		جميل الشطي	مختصر طبقات الحنابلة
1912		ابن تيمية	التوسل والوسيلة. أو: قاعدة جلية في التوسع والوسيلة. (طبعة ثانية)
1912	المقتبس	أبو العلاء المعري	ملقى السبيل "رسالة في الفلسفة"
1912	ألف باء	مصطفى الأسير	من ألفاظ القرآن
1912	الترقي	شاكر الحنبلي	تلخيص التاريخ العثماني المصور
1912	روضة الشام	محمد حسن الشطي	"رسالة" في مسائل الإمام داود الظاهر
1912	العثمانية	محمد جواد العاملي	مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة: "الجزء السادس منه" فقه الشيعة
1912		جمال الدين القاسمي	الإسراء والمعراج
1912		جمال الدين القاسمي	شرف الأسباب
1912	البطريكية الأرثوذكسية	الياس القدسي	نوادير وفكاهات من أحاديث الحيوانات "معرب عن لافونتين"
1912	الترقي	محمد الخضر بن حسين	مناهج الشرف "في الأخلاق"
1912	الترقي	جمال الدين القاسمي	● المسح على الجورين
1913	المنار	شمس الدين الذهبي الدمشقي	كتاب العلو للعللي الغفار في صحيح الأخبار وسقيمها
1913	الترقي	جمال الدين القاسمي	المسح على الجورين (وبذيله كتاب الاستئناس لتصحيح أنكحة الناس)
1913	الترقي	عبد القادر المبارك الجزائري	● فوائد الأدبيات العربية "كتاب مدرسي"
1913	الفيحاء	عبد بن إسماعيل الشهير بالنابلسي	تحفة ذوي العرفان في مولد سيد ولد عدنان
1913		أمين ظاهر خير الله	البيان الصراح عن نذر يفتاح "تمثيلية"
1914	الفيحاء	ابن تيمية	المسائل المردانيات
1914	المنار	بتصحيح طاهر الجزائري	الحنين إلى الأوطان (للجاحظ)

السنة	المطبعة	المؤلف	الكتاب
1914	الترقي	أسعد صاحب زاده	بيان هام لعالم الإسلام
1914		محمود حمدي داود آغا	درة الاجتهاد في فضل الجهاد
1914	الترقي	محمد بهجت	نقد عين الميزان
1915	الترقي	علي الراضي	هذه الصحيفة
1915	الفيحاء	عبد الواسع الواسعي	إيقاظ ذوي الألقاب في ذم التبرع وكشف النقاب
1915	الترقي	محمد جميل دهمان	● كتاب أصول التدريس

## ملحق (9)

### المؤلفات المخطوطة للأدباء الدمشقيين<sup>(1)</sup>

1805 - 1718	خليل الرومي	ديوان
1804 - 1744	علي الشمعة	انفتاح الزهر عن انغلاق البحر
1808 - 1748	عبد الحلیم اللوجي	● تاريخ "فيه ذكر للحوادث المشهورة في زمان المؤلف"
(8763) <sup>(2)</sup> 1828 - 1760	محمد الكيلاني	● نسمات الأسحار ونفحات الأزهار في فضائل العشرة الأبرار أصحاب النبي المختار
1828 - 1764	محمد العطار	المزولة (رسالة)
	محمد العطار	فن القبان
	محمد العطار	(شرح) على منظومة للشيخ حسن العطار
(11402) 1831 - 1785	صالح الدسوقي	● كشف الغمة في الرد على من حرم التهايل على الأمة "رسالة ناقش بها المؤلف ابن عابدين، صاحب الحاشية"
	صالح الدسوقي	المنهل الأوفى في ميلاد المصطفى
1849 - 1795	عبد الغني السادات	● الدر اليتيم في حكم حال اليتيم
	عبد الغني السادات	جمع اللالي في الشبك في حكم الحافظ المشترك
1864 - 1805	أحمد الإسلامبولي	مناسك في الحج "مختصرة ومطولة"

(1) بعض هذه المؤلفات تم استقصاؤها من المصادر المشار إليها في الحاشية رقم (1) الخاص بملحق الكتب المطبوعة بدمشق، وبعضها الآخر أخذ من فهراس المخطوطات بدار الكتب الظاهرية بدمشق.

(2) الأرقام الواردة بين هلالين ( ) هي أرقام حفظ المخطوطات في دار الكتب الظاهرية بدمشق.

	1871 - 1806	عبد القادر الخطيب	ديوان خطب
		عبد القادر الخطيب	مناسك
		عبد القادر الخطيب	شرح على متن السحيمي "في التوحيد"
		عبد القادر الخطيب	حاشية على تحفة ابن حجر "لم تتم"
	1887 - 1821	محمود حمزة	ثبت
(9208)	1889 - 1823	أحمد بن عابدين	● نثر الدرر على مولد ابن حجر
	1888 - 1828	محمد علاء الدين بن عابدين	معراج النجاج على متن نور الإيضاح
		محمد علاء الدين بن عابدين	مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: بعض أجزائه
(سيرة 75)	1897 - 1834	أبو الفتح الخطيب	● المعراج
	1904 - 1841	محمود الموقع	النوائح العرفانية في المدائح المرغية
		محمود الموقع	شرح الشمائل الترمزية
	1927 - 1844	أحمد دهمان	● شرح الميدانية
		أحمد دهمان	● كفاية المرید (طبع مختصره فقط مرات عديدة)
(8614)	1923 - 1848	محمد عارف المنير	● حميدة الزمان بأفضلية الرسول الأعظم
(8623)		محمد عارف المنير	● الحصون المنيعه في براءة عائشة الصديقة باتفاق أهل السنة والشيعة (رسالة)
	1915 - 1850	مصطفى خلقي	● ديوان شعر
	1928 - 1851	سليم البخاري	حل الرموز في عقائد الدروز
	1920 - 1852	طاهر الجزائري	● التذكرة الطاهرية
		طاهر الجزائري	تفسير "في أربعة مجلدات"
		طاهر الجزائري	الإمام بأصول سيرة النبي عليه الصلاة والسلام
		طاهر الجزائري	مقاصد الشرح
		طاهر الجزائري	المنتقى من الذخيرة لابن بسام
		طاهر الجزائري	كتاشات فيها خلاصات مما طالعها المؤلف من كتب وأفكار
	1920 - 1856	نعمان قساطلي	مرآة سورية وفلسطين

	1904 - 1860	عبد العزيز الجزائري	ديوان شعر
	1925 - 1865	رفيق العظم	ديوان
		رفيق العظم	تاريخ السياسة الإسلامية
		رفيق العظم	● الجامعة الإسلامية أو التأليف بين الترك والعرب والعصية التركية (أو: الخلاف بين الترك والعرب)
	1929 - 1868	عبد الرحمن القصار	تفريد الهزار
	1933 - 1872	جميل العظم	التعرّف للأمة مُحدّثاً بالنعمة
(عام 4754)		جميل العظم	● السر المصون على كشف الظنون (أو: ذيل كشف الظنون) الجزء الأول منه فقط
(8214)	1927 - 1877	محمد الداودي	● المولد الأكبر في أصل وجود سيد البشر
	1959 - 188	محمد جميل الشطي	الضياء الموفور في تراجم بني فرفور (رسالة)
		محمد جميل الشطي	ديوان شعر
		محمد جميل الشطي	تنقيح السراجية في فرائض الحنفية
	1955 - 1887	محمد البزم	الجحيم لم يتم
	1898	شفيق جبري	ديوان شعر
(4772)	1838 -	رسلان القاري	● أسماء الوزراء الذين حكموا دمشق من 1701 - 1516
	1906 -	محمد أمين الحنفي	فضائل دمشق وجامعها الكبير
	1916 -	محمد الحكيم	رحلة إلى عين الفيحة
		محمد الحكيم	رحلة إلى الزيداني
(8522)	1945 -	محمد رشيد العطار	ترجمة الشيخ بدر الدين الحسيني المغربي، محدث الشام
	1897 - بعد	أبر السعود الحسيني	حادثة دمشق لسنة 1844

## ملحق (10)

### أدباء دمشق

بحسب سني الميلاد (1718 – 1898)

1836- 1783	محمد أمين بن عابدين	1805- 1718	خليل الرومي
1831- 1785	صالح الدسوقي	1803- 1725	أحمد العطار
1850- 1785	حسين المرادي	1806- 1727	محمد الكزبري
1849- 1786	محمد نسيب حمزة	1809- 1738	هبة الله تاجي
1861- 1786	عمر الغزي	1826- 1742	علي الحسيني
1858- 1790	حسن الشطي	1804- 1744	علي الشمعة
1855- 1791	حسن البيطار	1807- 1744	محمد شاكر العمري
1866- 1791	محمد أحمد الكتنجي	1801-1748	حسين العمري
1876- 1791	أحمد الحسيني	1814- 1749	علي المرادي
1849- 1795	عبد الغني السادات	1836- 1756	أحمد العجلوني
1839- 1801	علي الطيبي	- 1759	أحمد الكيواني
1886- 1803	محيي الدين اليافي	1818- 1759	عمر اليافي
1864- 1805	أحمد الإسلامبولي	1828- 1760	محمد الكيلاني
1867- 1806	قاسم الحلاق القاسمي	1801- 1761	عبد الغني الغزي
1871- 1806	عبد القادر الخطيب	1840- 1762	أحمد المنيني
1880- 1807	عبد الغني الميداني	1828- 1764	محمد العطار
1873- 1809	محيي الدين العاني	1826- 1765	خليل الخشة
1911- 1812	عبد الله السكري	1834- 1767	محمد الأيوبي
1886- 1812	أحمد الحسيني	1846- 1771	عبد الرحمن الكزبري
1880- 1813	عمر المالكي	1845- 1772	حامد العطار

1907- 1841	سليم الياس كساب	1889- 1813	أحمد الحلواني
1900- 1842	محمد سعيد القاسمي	1899- 1814	سليمان الصولة
1911- 1844	جرجي مرقس	1896- 1816	إبراهيم العطار
1914- 1844	أحمد الشمعة	1893- 1818	أمين السفرجلاني
1927- 1844	أحمد دهمان	1862- 1819	عبد القادر الحسيني
1900- 1847	عبد المجيد الخاني	1887- 1821	محمود حمزة
1941- 1847	أنطوان صالحاني	1889- 1823	أحمد بن عابدين
1923- 1848	محمد عارف المنير	1890- 1823	أنيس قصاب حسن
1892- 1848	بهاء الدين البيطار	1921- 1824	أسعد الحمصي
1918- 1848	أوسطاكيوس سركيس	1894- 1824	سعد الدين اليافي
1919- 1848	عبد القادر المؤيد العظم	1890- 1826	عمر العطار
1915- 1850	مصطفى خلقي	1909- 1827	أنيس الطالوي
1922- 1850	محمود أبو الشامات	1888- 1828	علاء الدين بن عابدين
1926- 1850	الياس القدسي	1913- 1828	أبو الفرج الخطيب
1928- 1851	سليم البخاري	1900- 1830	محمد الطيبي
1935- 1851	بدر الدين الحسيني	1902- 1832	زاهد العمري الاشبي
1920- 1852	طاهر الجزائري	1890- 1832	محمد الشطي
1912- 1853	جرمانوس معقد	1896- 1833	عبد القادر الأسطواني
1913- 1853	محمد سليم قصاب حسن	1902- 1833	أبو خليل القباني
1925- 1853	أبو الخير بن عابدين	1897- 1834	أبو الفتح الخطيب
1928- 1855	أسعد الصاحب	1898- 1835	أحمد الشطي
1885- 1856	أديب أسحق	1875- 1836	محمود العظم
1920- 1856	نعمان القساطلي	1914- 1836	حسين عودة
1923- 1856	يوسف سركيس	1906- 1837	أبو النصر الخطيب
1933- 1856	سليم عنحوري	1916- 1837	عبد الرزاق البيطار
1904- 1860	عبد العزيز الأدرسي الجزائري	1878- 1840	عبد السلام الشطي
		1913- 1840	محمد الجزائري
		1904- 1841	محمد الموقع

1879 -	أمين مرشاق	1861- 1916	شفيق المؤيد العظم
1879- 1916	سليم الجزائري	1863- 1890	حنا عنحوري
1880- 1911	أبو الخير الطباع	1864- 1955	حقي العظم
1880- 1934	فوزي العظم	1865- 1916	رشدي الشمعة
1882 -	محمد سعيد الجزائري	1865- 1925	رفيق العظم
1882- 1940	عبد الرحمن الشهبندر	1866- 1913	جمال الدين القاسمي
1883- 1959	محمد جميل الشطي	1868- 1903	رضال آل المرتضى
1885- 1966	فخري البارودي	1868- 1916	شكري العسلي
1887- 1916	صلاح الدين القاسمي	1868- 1929	عبد الرحمن القصار
1887- 1926	توفيق الحلبي	1870- 1917	سلمى القساطلي
1887- 1945	عبد القادر المبارك	1870- 1926	خليل العظم
1887- 1955	محمد البزم	1871- 1954	حبيب الزيات
1888- 1968	لطفی الحفار	1872- 1896	مراد حسن الشطي
1888- 1928	حكمت المرادي	1873- 1927	محمد الداوودي
1888- 1965	ماري عجمي	1873- 1933	جميل العظم
1889- 1966	عز الدين التنوخي	1873- 1954	كامل القصاب
1890- 1940	سليم الحنفي	1874- 1940	أديب تقي الدين الخصني
1891- 1929	فوزي الغزي	1875 -	أحمد الزروق الجزائري
1893 -	جورج صيدح	1876- 1933	محمد سعيد الباني
1894- 1976	محمد بهجت البيطار	1876- 1953	محمد كرد علي
1895- 1959	أديب محمد سعيد التقي	1877 -	حسن التفليبي
1895- 1945	خليل مردم بك	1878- 1916	عبد الوهاب الإنكليزي
1898 -	شفيق جبري		



## ملحق (11)

### أدباء دمشق

بحسب سني الوفاة (1801 – 1976)

1828- 1764	محمد العطار	1801- 1748	حسين العمري
1831- 1785	صالح الدسوقي	1801- 1761	عبد الغني الغزي
1833-	سعيد العجلاني	1802-	مصطفى اللوجي
1834-	صالح اليافي	1803- 1725	أحمد العطار
1834- 1767	محمد الأيوبي	1804- 1744	علي الشمعة
1836- 1756	أحمد العجلوني	1805- 1718	خليل الرومي
1836- 1783	محمد أمين بن عابدين	1806-	أحمد اليافي
1838-	رسلان القاري	1806- 1727	محمد الكزبري
1839-	إبراهيم الدرويش	1807- 1744	محمد شاکر العمري
1839- 1801	علي الطيبي	1808-	عبد الخليم اللوجي
1840- 1762	أحمد المنيني	1809- 1738	هبة الله تاجي
1845-	يوحنا عنجوري	1814-	سعید علي الأسطواني
1845- 1772	حامد الطعار	1814- 1749	علي المرادي
1846- 1771	عبد الرحمن الكزبري	1818- 1759	عمر اليافي
1849-	مصطفى البرهاني	1821-	حسن الأسطواني
1849- 1786	محمد نسيب حمزة	1822-	محمد الجملة الخلوني
1849- 1795	عبد الغني السادات	1824-	صالح القزاز
1850- 1785	حسين المرادي	1826- 1742	علي الحسيني
1851-	جبرائيل المخلع	1826- 1765	خليل الخشة
1852-	أبو بكر الكردي	1828- 1760	محمد الكيلاني

1889-	أسعد نسيب حمزة	1855- 1791	حسن البيطار
1889-	ميخائيل بريك	1858- 1790	حسن الشطي
1889- 1813	أحمد الحلواني	1860-	شهادة الصباغ
1889- 1823	أحمد بن عابدين	1861- 1786	عمر الغزي
1890- 1823	أنيس قصاب حسن	1862-	عبد القادر الحمزاوي
1890- 1826	عمر العطار	1862- 1819	عبد القادر الحسيني
1890- 1832	محمد الشطي	1864- 1805	أحمد الإسلامبولي
1890- 1863	حنا عنحوري	1865-	محمد تلو
1892- 1848	بهاء الدين البيطار	1866- 1791	محمد أحمد الكنجي
1893- 1818	أحمد السفرجلاني	1867- 1806	قاسم الحلاق القاسمي
1894- 1824	سعد الدين اليافي	1868-	أحمد زكية
1895-	ميشيل دبانه	1871-	راغب تقسي السدين
1896- 1816	إبراهيم العطار		الحصني
1896- 1833	عبد القادر الأسطواني	1871-	عبد الغني الشيخ فضلي
1896- 1872	مراد حسن الشطي	1871-	أنطون بولاد
1897- 1834	أبو الفتح الخطيب	1871- 1806	عبد القادر الخطيب
1898- 1835	أحمد الشطي	1873- 1809	محي الدين العاني
1899-	سليم بهجت الحصني	1875- 1836	محمود العظم
1899- 1814	سليمان الصولة	1876- 1791	أحمد الحسيني
1900-	أحمد اللباييدي	1878- 1840	عبد السلام الشطي
1900- 1830	محمد الطيبي	1880- 1807	عبد الغني الميداني
1900- 1842	محمد سعيد القاسمي	1880- 1813	عمر المالكي
1900- 1847	عبد المجيد الخاني	1883-	طاهر الأمدى
1902- 1832	زاهر العمري الألسي	1885- 1856	أديب أسحق
1902- 1833	أبو خليل القباني	1886- 1803	محيي الدين اليافي
1903-	محمد صالح المثير	1886- 1812	أحمد الحسيني
1903- 1868	رضا آل المرتضى	1887- 1821	محمود حمزة
1904- 1841	محمد الموقع	1888- 1828	علاء الدين بن عابدين

1916- 1868	شكري العسلي	1904- 1860	عبد العزيز الأدرسي
1916- 1878	عبد الوهاب الإنكليزي	1905-	الجزائري أمين شيبب
1916- 1879	سليم الجزائري	1906- 1837	أبو النصر الخطيب
1916- 1887	صلاح الدين القاسمي	1906	محمد أمين الكنجي
1917- 1870	سلمى القساطلي	1907- 1827	أنيس الطالوي
1918-	أديب نظمي	1911-	جمال الدين الخطيب
1918- 1848	أوسطاكيوس سركيس	1911- 1812	عبد الله السكري
1919- 1848	عبد القادر المزيدي العظم	1911- 1844	جرجي مرقس
1920- 1852	طاهر الجزائري	1911- 1880	أبو الخير الطباع
1920- 1856	نعمان القساطلي	1912-	محمد عز الدين عربي كاتبي
1921-	مختار مؤيد العظم	1912- 1853	جرمانوس معقد
1921- 1824	أسعد الحمصي	1913-	حسن اللحام
1922- 1850	محمود أبو الشامات	1913- 1828	أبو الفرج الخطيب
1923- 1848	محمد عارف المنير	1913- 1840	محمد الجزائري
1925- 1853	أبو الخير بن عابدين	1913- 1853	محمد سليم قصاب حسن
1925- 1865	رفيق العظم	1913- 1866	جمال الدين القاسمي
1926- 1850	الياس القدسي	1914-	رشيد سنان
1926- 1870	خليل العظم	1914- 1836	حسين عودة
1926- 1887	توفيق الحلبي	1914- 1844	أحمد الشمعة
1927- 1844	أحمد دهمان	1915- 1850	مصطفى خلقي
1927- 1877	محمد الداودي	1916-	محمد الحكيم
1928- 1851	سليم البخاري	1916-	طاهر حمزة
1928- 1855	أسعد الصاحب	1916-	أمين السفرجلاني
1928- 1888	حكمت المرادي	1916- 1837	عبد الرزاق البيطار
1929- 1868	عبد الرحمن القصار	1916- 1861	شفيق المؤيد العظم
1929- 1891	فوزي الغزوي	1916- 1865	رشدي الشمعة

1945- 1895	أديب محمد سعيد التقي	1931-	محيي الدين الخاني
1953- 1876	محمد كرد علي	1932-	توفيق الأيوبي
1954- 1871	حبيب الزيات	1932- 1856	يوسف سر كيس
1954- 1873	كامل القصاب	1933- 1856	سليم عنحوري
1955- 1864	حقي العظم	1933- 1873	جميل العظم
1955- 1887	محمد البزم	1933- 1876	محمد سعيد الباني
1959- 1883	محمد جميل الشطي	1934- 1880	فوزي العظم
1959- 1895	خليل مردم بك	1935- 1851	بدر الدين الحسني
1965- 1888	ماري عجمي	1940- 1874	أديب تقي الدين الحصني
1966- 1885	فخري البارودي	1940- 1882	عبد الرحمن الشهبندر
1966- 1889	عز الدين التنوخي	1940- 1890	سليم الحنفي
1968- 1888	لطفي الحفار	1941- 1847	أنطوان صالحاني
1976- 1894	محمد بهجة البيطار	1945- 1887	عبد القادر المبارك

## ملحق (12)

### أهم الأحداث في تاريخ الدولة العثمانية

(1798 - 1918)

#### ● سليم الثالث :

- 1798 حملة نابليون بونابرت على مصر.
- 1801 جلاء الفرنسيين عن مصر. سقوط كربلاء بأيدي الوهابيين.
- 1803 سقوط مكة بأيدي الوهابيين.
- 1804 سقوط المدينة بأيدي الوهابيين. ثورة الصرب بقيادة قره جورج
- 1805 محمد علي باشا يمسي سيد مصر. دمشق تغدو أياًلة.
- 1806 اعتراف الباب العالي بمحمد علي باشا والياً على مصر. بدء الحرب مع روسيا (حتى 1812)

#### ● مصطفى الرابع :

- 1807 الانكشاريون يخلعون السلطان سليم الثالث (آذار). محمد علي يصد هجوماً إنكليزياً في موقعة رشيد ويجلي الجنود الغازية عن الإسكندرية بعد اتفاق. تنصيب مصطفى الرابع سلطاناً ومقتل سليم الثالث.

#### ● محمود الثاني :

- 1808 الانكشاريون يخلعون مصطفى الرابع. تنصيب محمود الثاني سلطاناً ومقتل مصطفى الرابع.
- 1810 والي صيدا (سليمان باشا) يغزو دمشق ويطردها إليها الكنج يوسف باشا.

- 1811 محمد علي باشا يجهز حملة لتحرير مكة والمدينة من الوهابيين وخصوم الدولة بقيادة ولده طوسون باشا.
- 1812 أبرام صلح بوخارست مع روسيا. طوسون باشا يستعيد المدينة.
- 1813 سقوط مكة بأيدي المصريين ومحمد علي باشا يشرف بنفسه على العمليات الحربية في الحجاز. إخضاع الصرب.
- 1816 وفاة طوسون باشا. إبراهيم باشا يشارك في قتال الوهابيين في أرجاء الحجاز.
- 1817 نشوب ثورة مسلحة في الصرب مجدداً.
- 1818 استسلام عبد الله بن سعود والقضاء على الحركة الوهابية. والي دمشق يأمر بإلقاء القبض على النصارى وتعذيبهم (23 حزيران)
- 1819 والي دمشق يأمر بنفي رؤساء الطائفة الكاثوليكية إلى جزيرة أرواد (8 كانون الثاني).
- 1820 الاقتتال بين جنود دمشق وجند صيدا. نشوب حريق كبير في المزة طغيان الانكشارية وفقدان الأمن في المدينة.
- 1821 نشوب ثورة الموره في جنوب اليونان. السلطان محمد الثاني يأمر بقتل بطريك الشام ومطران قبرص رداً على ثوار الموره.
- 1822 الدولة توافق على تعيين ولاية الأفلاق والبغدان من أهلها. عزل الأمير بشير الشهابي عن ولاية لبنان.
- 1824 محمد علي باشا يشارك في الحملة العسكرية لإخماد ثورة اليونان.
- 1826 استسلام آخر حصون الثوار في الموره. القضاء على الانكشارية.
- 1827 إبرام معاهدة ثلاثية بين فرنسا وإنكلترا وروسيا (7 تموز) لإكراه السلطان على تحرير الشعب اليوناني وانضمام بروسيا إلى المعاهدة فيما بعد
- 1828 بدء الحرب مع روسيا بسبب أزمة اليونان.

- 1829 صلح أدرنه وانتهاء الحرب مع روسيا. استقلال اليونان.
- 1830 فرنسا تحتل الجزائر. والي حلب يقود حملة ضد حكم المماليك في العراق ويدخل بغداد بأمر من الدولة. سليم باشا يبدأ ولايته لدمشق بفرض ضرائب جديدة على سكانها.
- 1831 الدولة ترفض إقطاع محمد علي باشا ولايتي دمشق وعكا. إضراب دمشق والانتقام من الوالي بقتله حرقاً. بدء الحملة المصرية على الشام، إلغاء التقسيمات الإدارية السابقة.
- 1832 سقوط عكا ودمشق وحمص وحماء وحلب وبيلان والإسكندرونة وأضنة وقونية بأيدي المصريين بقيادة إبراهيم باشا.
- 1833 ضم سورية إلى ولاية محمد علي باشا بمعاهدة كوتاهية. عقد معاهدة خنكار أسكله سي مع روسيا. السماح لقنصل إنكلترا بدخول دمشق كأول تمثيل لدولة أجنبية فيها.
- 1834 اضطرابات في دمشق بسبب التجنيد. اعتبار اليوم العاشر من أيار يوماً حزيناً وهو يوم سوق المجندين لمواجهة الغزو التركي لسورية من الشمال.
- 1835 بدء العصيان المدني في السويداء. نزع السلاح من اللبنانيين والأمر بتجنيد الدرّوز.
- 1836 إبراهيم باشا يخضع الدرّوز الثائرين على حكمه.
- 1837 استئناف عمليات التجنيد في سورية. تشكيل مجلس الوالا لتدوين القوانين والنظم ومحاكمة الموظفين وإبداء الرأي في الأمور الإدارية.
- 1838 إبرام معاهدة إلغاء الاحتكار في جميع البلاد العثمانية مع إنكلترا (17 آب). فرنسا تنضم إلى المعاهدة (23 تشرين الثاني). إبراهيم باشا يقاتل الدرّوز الثائرين مجدداً في حوران.
- عبد المجيد:
- 1839 وفاة السلطان محمود الثاني (30 حزيران) وتنصيب عبد المجيد سلطاناً (عموز). إنكلترا تحتل عدن. السلطان يذيع الخطب الإصلاحية المعروف بخط كلخانة (3 تشرين الثاني). ظهور بوادر الخلافات الطائفية بين نصارى ودرّوز لبنان. السلطان يتفق مع إنكلترا لإخراج المصريين من الشام.

- 1840 خروج إبراهيم باشا من دمشق. سقوط عكا بأيدي الحملة العثمانية (تشرين الثاني). اللبنانيون يثورون ضد التجنيد وأعمال السخرة.
- 1841 عباس باشا حفيد محمد علي ، الذي منح الحكم الوراثي في مصر بموجب اتفاق لندن ، يشارك في إخماد الثورة بـ 12 ألف مقاتل. بدء الفتنة الطائفية المسماة بالحركة الأولى بين الدروز والنصارى في دير القمر بلبنان.
- 1848 روسيا تشارك في إخماد ثورة مسلحة نشبت ضد الدولة في ولايتي الأفلاق والبغدان. الهوء الأصفر يجتاح دمشق.
- 1849 جلاء المصريين من الحجاز.
- 1851 امتناع الدروز عن تأدية الضرائب لوالي دمشق.
- 1852 الهوء الأصفر يجتاح دمشق.
- 1854 بدء حرب القرم مع روسيا (حتى سنة 1856). الدولة تعود لتطبيق "نظام الأمانة" لضمان تموين الجيش.
- 1855 اشتباك بين الدروز والنصارى في دير القمر بلبنان (الحركة الثانية).
- 1856 انتهاء حرب القرم مع روسيا بمعاهدة باريس (30 آذار). اعتبار الأفلاق والبغدان إمارتين مستقلتين تحت السيادة العثمانية ، وبضمان الدول الأوروبية اشتباك مسلح بين الدروز والأهالي في حوران. إعلان الخط الإصلاحى الثانى المعروف "بمخطط التنظيمات الخيرية" (18 شباط).
- 1859 إمارتا الأفلاق والبغدان تتخذان اسماً جديداً هو: رومانيا.
- 1860 اندلاع الفتنة الطائفية بأوسع أشكالها بين النصارى والدروز في لبنان وامتدادها إلى دمشق. فرنسا تجرد حملة عسكرية باسم الدول الأوروبية لحماية المسيحيين في بلاد الشام.
- عبد العزيز :
- 1861 وفاة السلطان عبد المجيد وتنصيب عبد العزيز خلفاً له. عصيان الجبل الأسود ضد الدولة.
- 1862 صدور أول نظام لترتيب شؤون الدولة المالية وميزانيتها.
- 1863 صدور نظام الإدارة الخارجية والاستخدام في السلك القنصلي الأجنبي.



- 1864 صدور نظام الولايات. إقرار الدولة بحق تمثيل الطوائف غير الإسلامية في المجالس. السلطان يقوم بزيارة لمصر. الجراد يتلف المزروعات وتقهرق الأعمال في دمشق.
- 1865 سورية تغدو ولاية. صدر قانون الصحافة وأول جريدة في دمشق رسمية باسم "سورية". الهواء الأصفر يجتاح المدينة.
- 1866 عصيان في جزيرة كريت والبندقية. إجازة تعديل طريقة التوارث في خديوية مصر وحصر الوراثة في ذرية إسماعيل باشا. ظهور أول سالنامه (مخابة الجريدة الرسمية أو جريدة الوقائع) في ولاية سورية.
- 1867 محاولة انقلابية فاشلة قادها "العثمانيون الجدد" للإطاحة بالسلطان (30 أيار). إعادة تشكيل مجلس الولا المحدث في سنة 1837. جلاء العثمانيين عن الصرب. السلطان يزور باريس بدعوة من نابليون لحضور معرضها.
- 1869 صدور نظام المعارف العمومية لتنظيم المدارس في الدولة، ونظام تملك الأجانب.
- 1871 صدور نظام إدارة الولايات العمومية. صدور نظام ميزانية ولاية سورية، ونظام المحاكم النظامية. فصل إمارة الحج الشامي عن وظيفة والي دمشق وإفرادها بأمير خص. خروج أهالي عسبر على السلطان والبطش بهم.
- 1873 فصل القدس عن ولاية سورية وجعلها متصرفية. ارتفاع أسعار الحاجيات وانتشار الضيق في دمشق.
- 1875 توقف الدولة عن تسديد ديونها (5 تشرين الأول). أعضاء حزب "تركيا الفتاة" يهتاجون بسبب إعلان الإفلاس وتردي أحوال الدولة. ثورة مسلحة في بلغاريا وقمعها بوحشية. ثورة أخرى مسلحة للفلاحين في البوسنة والهرسك. اضطراب الأحوال في دمشق بسبب الضيق الاقتصادي واجتياح الهواء الأصفر لها.

● مراد الخامس :

1876 خلع السلطان عبد العزيز وترجيح موته قتلاً. حزب "تركيا الفتاة" يستولي على زمام السلطة. الصرب تعلن الحرب على الدولة.

1876 تنصيب مراد الخامس سلطاناً وخلعه بعد ثلاثة وتسعين يوماً.

● عبد الحميد :

1876 تنصيب عبد الحميد الثاني سلطاناً الدول الأوروبية الخمس إنكلترا والنمسا وروسيا وإيطاليا وألمانيا تعقد مؤتمراً لها في الأستانة بحضور ممثلين عن الدولة لتدارس إجراءات الإصلاح (23 كانون الأول). إعلان الدستور المعروف باسم دستور 1876 (23 كانون الأول). تشكيل المجلس العمومي من هيئة الأعيان والمبعوثان.

1877 الدولة ترفض مذكرة الدول الأوروبية الخمس (20 كانون الثاني) ومندوبو هذه الدول يغادرون الأستانة دلالة على قطع العلاقات بين دولهم والباب العالي. روسيا تطالب دول مؤتمر الأستانة بالتدخل لحماية الأقليات المسيحية (31 كانون الثاني). إجراء الانتخابات للمرة الأولى وافتتاح المجلس العمومي (19 آذار). توقيع بروتوكول لندن بين الدول الأوروبية (31 آذار). مجلس المبعوثان يرفض البروتوكول (9 نيسان). روسيا تعلن الحرب ضد الدولة (24 نيسان) ورومانيا تتحالف مع روسيا في هذه الحرب. اشتباك مسلح بين الأهالي والدروز في حوران.

1878 إنكلترا تبعث بأسطولها إلى بحر مرمرة (14 شباط). توقف الحرب بين الدولة وروسيا بمعاهدة سان ستيفانو. تعديل شروط المعاهدة في مؤتمر برلين. الاعتراف باستقلال رومانيا. تعليق دستور 1876 وكذلك المجلس العمومي وتعديل قانون الصحافة لعام 1865.

1879 الدولة تمنح إنكلترا جزيرة قبرص لسنين مؤقتة. خلع والي مصر إسماعيل باشا وتولية توفيق باشا.

- 1881 ثورة في مصر يقودها أحمد عرابي ضد توفيق باشا. فرنسا تحتل تونس. إعلان رومانيا مملكة.
- 1882 إنكلترا تحتل مصر (11 تموز)
- 1885 ضم شرقي الروملي إلى بلغاريا.
- 1886 صدور قانون التجنيد الإلزامي (أخذ العساكر). ثورة للفلاحين في جبل الدروز.
- 1887 فصل بيروت عن ولاية سورية وجعلها ولاية مستقلة. فصل عكا ونابلس وطرابلس واللاذقية عن ولاية سورية. الطائفة الأرمنية تبدأ بتنظيم صفوفها لتحرير أبنائها من طغيان العهد الحميدي.
- 1890 إخضاع الدروز في السويداء بسبب انقساماتهم على أنفسهم.
- 1893 الدولة تناهض الحركة الأرمنية وتأمّر بذبحهم بحجة تدبير ثورة ضد الحكم (5 كانون الثاني). الدروز يثورون ضد السلطة.
- 1894 الإعلان عن تأليف "جمعية الاتحاد والترقي" من أفراد "حزب تركيا الفتاة". التضييق على الأرمن رداً على تشكيلهم "جمعية الانقلاب الأرمنية".
- 1896 إخضاع الدروز مجدداً بعد اشتباكهم مع أهالي حوران. مذابح الأرمن الشهيرة في ساسون.
- 1897 الدولة تحارب اليونان وتهزم ثوارها "أذار ونيسان". السلطان يأمر بمحاكمات أعضاء "جمعية الاتحاد والترقي" لنهاضتهم إياه.
- 1898 إمبراطور ألمانيا يزور دمشق والأستانة وسط مظاهر الحفاوة البالغة.
- 1899 إنكلترا تحتل الكويت.
- 1902 الجمعيات السرية المناهضة لحكم السلطان تعقد مؤتمرها الأول في باريس.

- 1907 انعقاد مؤتمر باريس الثاني وإقرار خلع السلطان وتبديل الإدارة ووضع أسس المشروطية المعروفة بدستور 1908
- 1908 ثورة أعضاء "جمعية الاتحاد والترقي" وحمل السلطان على إعادة العمل بالدستور المعلن في سنة 1876 باسم "المشروطية الثانية" المعروف بدستور 1908 (24 تموز).
- 1909 خلع السلطان عبد الحميد الثاني (13 نيسان)
- محمد رشاد الخامس :
- 1909 تنصيب محمد رشاد الخامس سلطاناً (27 نيسان).
- 1911 إيطاليا تحتل طرابلس الغرب (ليبيا).
- 1912 بلغاريا ورومانيا تبرمان معاهدة ضد الدولة العثمانية (13 آذار). "حزب الحرية والائتلاف" يستولي على السلطة بانقلاب ناجح ضد الاتحاديين. اليونان توقع على معاهدة 13 آذار. الجبل الأسود يعلن الحرب على الدولة (8 تشرين الأول). قيام الحرب البلقانية الأولى (18 تشرين الأول).
- 1913 الاتحاديون يعودون إلى السلطة بانقلاب ضد "حزب الحرية والائتلاف" (23 كانون الثاني). بدء المؤتمر العربي الأول في باريس (18 حزيران).
- 1914 ألمانيا تعلن الحرب على روسيا (1 آب). إعلان التعبئة العامة في جميع أرجاء الإمبراطورية العثمانية تمهيداً لخوض الحرب بجانب ألمانيا عملاً بأحكام معاهدة سرية بين الدولتين (2 آب). إنكلترا تعلن انتهاء السيادة العثمانية على مصر بسبب نشوب الحرب. وصول أحمد جمال باشا إلى دمشق بديلاً عن زكي باشا الحلبي في قيادة الجيش الرابع (5 كانون الأول).
- 1915 جمال باشا يأمر باعتقال عدد من الوطنيين العرب في سورية ولبنان ويحيلهم إلى ديوان الحرب العرفي بعاليه ، ثم يعدمهم في ساحة البرج ببيروت (21 آب). مذابح الأرمن الشهيرة (24 نيسان).

- 1916 إعدام القافلة الثانية من الوطنيين العرب في ساحتي البرج ببيروت ،  
والشهداء في دمشق (6 أيار). إعلان الثورة العربية الكبرى (10  
حزيران).
- 1917 قادة الثورة الشيوعية في روسيا ينشرون نص اتفاقية سايكس بيكو  
لاقتسام تركيا الدولة العثمانية المشرفة على الانهيار.
- 1918 دخول الجيش العربي دمشق بقيادة الشريف ناصر بن الحسين (1 تشرين  
الأول) ، ثم الجيش البريطاني مع الأمير فيصل بن الحسين (2 تشرين  
الأول). استسلام الجيوش العثمانية وتلاشي النفوذ العثماني عن بلاد  
الشام (30 تشرين الأول).

## ملحق (13)

### كلمات ومصطلحات متداولة في العهد العثماني

يواجه الدارس لتاريخ الأقطار العربية الحديث ، بعض الصعوبات في العثور على معاني أو مدلول الكلمات والمصطلحات التي كانت متداولة في العهد العثماني. وتتضاعف الصعوبة بسبب افتقار المكتبة العربية إلى قاموس عثماني - عربي ، وقلة العارفين باللغة التركية القديمة التي نسميها اصطلاحاً باللغة العثمانية. من هنا ، حرصنا على أن نلحق بدراستنا هذه قائمة بأكثر الكلمات والمصطلحات الواردة في كتب التاريخ للأقطار العربية خلال فترة خضوعها للحكم العثماني ، ومن هذه الكلمات : المصطلحات ما ورد في الفصل الأول من كتابنا. وقد ساعدنا في عملنا هذا معرفتنا باللغتين التركية المعاصرة والتركية العثمانية ، إلى جانب اعتمادنا على بعض المصادر المراجع المتوافرة لدينا<sup>(1)</sup>.

ولئن بدت علاقة الملحق بدراستنا هذه جانبية بعض الشيء ، لاقتصر البحث التاريخي فيها على فصل واحد فقط ، فإن ذلك لم يمنعنا من القيام بهذه المبادرة المتواضعة لتكون بتصرف الراغبين في الإفادة منه ، أو الاستئناس به عند الحاجة.

---

(1) أحمد جواد : "لساني عثماني". نعوم فتح الله سحار : "التحفة السنية لطلاب اللغة العثمانية". مجهول : "لهجة عثماني". مجهول : "قراءة فنية". محمد صلاح : "قاموس عثماني". ش. سامي : "قاموس عثماني فرانسوي".

Özön, Mustafa Nihat: "Osmanlica Türkçe Sözlük". "Türkçe-İngilizçe Büyük Lûgat".

مجهول : "Türkçe İngilizçe Büyük Lûgat".

صاحب الأبهة.	:	ابهللو
مجلس الإدارة.	:	إدارة مجلسي
ضابط الفرقة	:	آغا الوجاق
كرسي.	:	اسكمه
مرفأ ميناء.	:	اسكله
لقب كل عثماني من رجال الدين وأرباب المسلك العلمي "فشيخ الإسلام والبطريك وتلميذ المدرسة كلهم أفندية".	:	أفندي
كيتان من الجيش.	:	الاي
لقب أمير مكة المكرمة:	:	أمير
قائد اللواء.	:	أمير الأي
جنود محترفون تعددهم الدولة من غلمان المسيحيين من أبناء الشام "وهم من الفرسان".	:	انكشارية
مطالب:	:	انهايات
فرقة من الجند.	:	أوجاق
فرقة من الجند.	:	أوده
جيش.	:	أوردى
جيش سلطاني.	:	أوردى
	:	همايوني
مشير المعسكر السلطاني.	:	أوردى همايون
	:	مشيري
فرقة من الجند.	:	أورطه

أوطاق	: خيمة.
أوطاق همايون	: خيمة فخمة معدة لرجل عظيم.
أوطه	: غرفة.
أوغلي	: ابن.
أولو وزير	: صدر أعظم "بمعنى رئيس وزراء".
أونباشي	: عريف "رتبة عسكرية".
ايات	: أياتة "بمعنى مقاطعة أو محافظة أو إقليم".

## ب

الباب العالي	: مقر الصدر الأعظم "ويضم مستشاره ورئيس الشورى للدولة ووزيري الداخلية والخارجية".
بادشاه	: لقب سلطاني ، شاه ، ملك.
باره	: عملة تركية نحاسية اعتباراً من سنة 1844 ، أبطلت عام 1929.
باش	: رئيس ، الأول.
باش جوقدار	: رئيس غلمان القصر.
باش كاتب	: رئيس الكتاب "بمعنى رئيس الديوان".
باشا	: لقب الوزير والوالي ونائب السلطان ، وفي الأصل لقب كبير أمناء العائلات التركية.
باشالق	: ولاية
باي	: لقب رئيس حكومة تونس.
برنس	: لقب أمير بلغاريا.



بشلك	: عملة تركية بمعنى خمسية.
بقطر اغاسي	: آغا البغال.
بكجي	: حارس.
بلوك	: فرقة من الجنود.
بورى	: نفير.
بوغاز	: بحر بحري.
بهجتلو	: صاحب البهجة.
بيردى	: الأمر السامي.
بيرق	: علم، لواء، راية.
بيرقدار	: حامل الراية.
بيرقـدار	: حامل لواء فرقة الرماة.
التفكجية	
بيك	: (وتلفظ بي) لقب معظم كبار الموظفين، وفي الأصل لقب أبناء الخائزين على لقب الباشوية وذريتهم.
بيكزاده	: الشريف.
بيكلر بكي	: أمير أمراء. باشا بطوخين (من رتب الباشوية الثانية انظر: طوخ).

## ' ت '

تاجدار	: لقب الجالس على العرش.
ترسنة	: خزانة الأسلحة.
ترسخانة	: دار الأسلحة.

تريكي	: (ويقال ترياكسي): مولع بشرب القهوة أو الشاي أو التدخين، مدمن.
تشريفاتي	: مدير الاحتفالات.
تفكجي	: الجندي حامل البندقية، قناص، الرامي.
تكه	: زاوية "في داخل مسجد أو جامع".
تكز	: (تقرأ تنز): بحر.
تيمار	: إقطاعة تعطي للجندي مقابل تقديمه عدداً من الفرسان.

## ج

جادر	: خيمة عادية.
جاويش	: رقيب "رتبة عسكرية"، وفي الأصل حاجب.
جبخانة	: مكان معد لحفظ الذخيرة والسلاح.
جربجي	: من أعيان جند الانكشارية.
جفتلك	: مزرعة.
جليبي	: خواجه، سيد.
جنك	: حرب.
جوقدار	: من غلمان القصر، رسول السلطان، موظف.
جوهر آغا	: رئيس أغوات الحریم في القصر.

## ح

حاجي	: حاج.
حاشية	: رجال يحيطون بالسلطان أو الوالي أو المتنفذ.

حاكم مطلق	: الله عز وجل.
حالداش	: رفيق درب.
حرم أغاسي	: آغا الحریم.
حرم ملك	: مضافة معدة لاستقبال الضيوف من النساء.
حشمتلو	: لقب ملك دولة أجنبية ، صاحب الحشمة.
حكمدار	: حاكم عام ، قائد الشرطة.

## خ

خاتون	: سيدة متزوجة.
خاقان	: من ألقاب السلطان.
خان	: لقب الملوك والأمراء وسادة الترك.
خانم	: لقب للسيدات عموماً.
خانم أفندي	: لزيادة تفخيم السيدات.
خانة عسكرية	: مقر القيادة العسكرية.
خرمتيان	: نصراني.
خديوي	: لقب والي مصر ، نائب السلطان.
خزندار	: أمين الخزينة أو الصندوق.
خستخانه	: مستشفى.
خط شريف	: فرمان سلطاني "مرسوم أو قرار يصدر حاملاً خط السلطان أو توقيعه".
خنكار	: من ألقاب السلطان.
خواجه	: مدرس.

## د

- داخلية ناظري : ناظر "وزير" الداخلية.
- دالاتية : طائفة من الجند، أخلاط من المغاربة (مشاة) والأكراد والتركمان (فرسان).
- دالي : مجنون، متهور.
- دالي باش : رئيس، أمر.
- داماد : لقب صهر السلطنة.
- درسخانه : مكان معد للدراسة.
- دفتر دار : رئيس المحاسبة، المسؤول عن الإدارة المالية.
- دنز : بحر.
- دوشمان : العدو.
- دولت عثمانية : الدولة العثمانية.
- دولتلو : صاحب الدولة.
- دونما : أسطول.
- دوننمه : سفن حربية.
- همايونيه

## ر

- رصد خانه : مرصد.
- رفعتلو : صاحب الرفعة.
- روزنامه : تقويم.
- روزنامه جي : محاسب، الذي يعمل على دفتر اليومية.

- روم ايلسي ، : الأجزاء الواقعة في القارة الأوروبية من الإمبراطورية  
روملي العثمانية.  
رئيس : (ويقال رئيس) : رئيس ، قائد.

## ز

- زاده : ابن.  
زردخانه : مستودع أسلحة.  
زندارمه : (تلفظ جندارما) : رجال الدرك.  
زورنال : (تلفظ جورنال) : جريدة ، صحيفة يومية.

## س

- ساده : فقط.  
سالنامه : تقويم سنوي ، جريدة رسمية.  
سباهي : فارس من المرتزقة لدى الباب العالي.  
سرايا : دار الحكومة.  
سر خفية : رئيس الجواسيس.  
سردار : قائد فرقة الجند ، أمير الجيش.  
سر عسكر : قائد الجيش الأول برتبة مشير.  
سر عسكري : قائد الجيوش.  
سعاد تلو : صاحب السعادة.  
سلاحخانه : مستودع الأسلحة.  
سلحدار : ضابط يعهد إليه أمر العناية بأسلحة السلطان أو الأمير.

كريمة السلطان.	: كريمة السلطان.	"عائشة"
سلطان		
مضافة ، بهو معد لاستقبال الضيوف من الرجال.	: مضافة ، بهو معد لاستقبال الضيوف من الرجال.	سلمك
رتبة رفيعة تمنح للعلماء.	: رتبة رفيعة تمنح للعلماء.	سليمانية
الختان.	: الختان.	سنت
العلم ، اللواء.	: العلم ، اللواء.	سنجق
حامل اللواء.	: حامل اللواء.	سنجقدار

## "ش"

ضريبة الحرفة.	: ضريبة الحرفة.	شاشية
لقب الجالس على العرش.	: لقب الجالس على العرش.	شاهنشاه
من أعيان الانكشارية.	: من أعيان الانكشارية.	شربجية
لقب قنصل الدولة.	: لقب قنصل الدولة.	شهيندر
لقب ولي العهد وأبناء السلاطين.	: لقب ولي العهد وأبناء السلاطين.	شهزاده
شيخ البلد.	: شيخ البلد.	شهير أميني
حامل قصبه التدخين عند بعض الأشخاص المرموقين.	: حامل قصبه التدخين عند بعض الأشخاص المرموقين.	شوبقجي
مجلس الدولة ، مجلس الشورى.	: مجلس الدولة ، مجلس الشورى.	شورا دولت
اضطراب ، حيرة.	: اضطراب ، حيرة.	شوشره
من ألقاب السلطان ، صاحب الشوكة.	: من ألقاب السلطان ، صاحب الشوكة.	شوكتلو

## "ص"

لقب صاحب المقام الأول في الحكومة ، رئيس مجلس وكلاء وزراء" الدولة ، رئيس الوزراء.	: لقب صاحب المقام الأول في الحكومة ، رئيس مجلس وكلاء وزراء" الدولة ، رئيس الوزراء.	صدر أعظم
--	--	----------

صنجدق : راية ، قسم من الأقسام الإدارية في الدولة "بمعنى محافظة أو إقليم".

صنجدق الخزنة : قائد الجند الذين يجرسون الخزنة.

صندوق أميني : أمين الصندوق.

صوياشي : أمين الفرقة السباهية.

## 'ط'

طاهور : فرقة عسكرية ، كتبية ، فوج.

طبنجة : "غدارة" مسدس من طراز قديم.

طواشي : خادم حريم الباشا.

طواشيه : الخصيان.

طوب : مدفع.

طوبجي : مدفعي.

طوخ : خصلة من ذيل حصان تدل على الرتبة الباشوية "للسلطان سبعة أطواخ".

## 'ظ'

ظفر : نصر ، غلبة.

## 'ع'

عراضه : موكب ، تظاهرة شعبية للتأييد أو الترحيب.

عربي كاتبي : كاتب اللغة العربية.

عرض أوردو : استعراض عسكري ، معسكر أو مركز للجيش.

## غ

غزه ته : جريدة، صحيفة.

## ف

فرمان : مرسوم أو قرار صادر عن السلطان.

## ق

قاجي : حاجب السلطان، بواب دائرة في قصر السلطان.

قادين : سيدة.

قادين أفندي : لقب زوجة السلطان.

قايق : زورق.

قابودان باشا : أمير البحرية.

قبة وزيرى : وزير يجلس مع الصدر الأعظم تحت قبة واحدة إلا أنه لا يملك أية سلطة.

قبودان : قبطان.

قبو قول : جند الدولة الذين يرسلهم السلطان إلى الولايات (من المشاة).

قدرتلو : من ألقاب السلطان.

قريان : ضحية، ذبيحة.

قزلىر أغاسى : خصي يشرف على شؤون جرم السلطان.

قشلة : ثكنة عسكرية.

قفطنجى : حامل خلعة السلطان.



لباس يوضع على الرأس.	: قلبق
حي ضيق ، فندق متواضع للمسافرين	: قناق
مخبر سري ، عسس.	: قول
مجلس.	: قومسيون
قنصل.	: قونسلاس

## ك

دار الكتب	: كتيخانه
رئيس الأتباع في البيت بما فيهم المالك. رئيس المستخدمين ، نائب الباشا ، أمين النفقة ، أمين بيت المال ، مدير.	: كتخدا
محافظة مخزن المؤونة.	: كلارجي
لقب يطلق على الأنسة ، الخاتم الصغيرة.	: كوجك خانم
مملوك.	: كول

## ل

مربي أولاد العظماء ، مؤدب ، مهذب.	: لالا
طائفة من الجنود القدماء الذين يعاد تطوعهم في الجيش	: لاوند
سجن.	: لومان

## م

الديوان الملكي.	: ما بين
ديوان السلطان (ويتولى شؤون المعاملات الخاصة بين السلطان والحكومة).	: ما بين همايوني

الحاجب .	:	ماينجي
وكيل الباشا في إدارة شؤون الولاية .	:	متسلم
مجلس تدوين القوانين والأنظمة ، مجلس تأديب الموظفين وإبداء الرأي في مسائل الإدارة .	:	مجلس الولا
مجلس إدارة الأيالة .	:	مجلس إيالة
سفير فوق العادة .	:	مرخص
(ويقال ميرزا) : ابن الأمير .	:	مرزا
مسلم .	:	مسلمان
أمين السر لعام لوالي الولاية .	:	مكتوبي
الأمّة .	:	ملة
القومية .	:	ملية
عالم ، سيد جليل .	:	متلا
من ألقاب السلطان ، صاحب المهابة .	:	مهابتلو
حامل الأختام ، أمين الختم .	:	مهردار

## 'ن'

وزير .	:	ناظر
المسؤول عن خاتم السلطان .	:	نشانجي
(تقرأ نوبتشي) : حارس .	:	نوبجي

## 'ه'

من ألقاب السلطان .	:	همايون
--------------------	---	--------

## و

- والدة سلطان : أم السلطان.  
واليء ولايت : والي الولاية.  
وجاق : النسق من الجند، فرقة جنود.  
ويركو : ضريبة، أتاوة، جزية، خراج.

## ي

- يازجي : كاتب  
ياشمق : خمار، غطاء رأس العروس.  
يالي : ساحل.  
ياور : مرافق، معاون.  
يايا باشي : رئيس المشاة.  
يدي قوله : بيت مال السلطان.  
يرلي : جندي محلي من جند الانكشارية (من الفرسان).  
يسق : ممنوع.  
يغما : غش، خداع.  
يغنيش : خطأ، سلب، غنيمة.  
يكبي جري : (تلفظ يني جري): الانكشارية.  
يقق : أصحاب الحرف الذين يلتحقون بجند الانكشارية ويساعدونهم في الدفاع والحراسة.  
يمكخانة : مطعم.

## ملحق (14) فهرس أدباء دمشق

أعدنا هذا الفهرس لتسهيل العودة إلى تراجم الأدباء الدمشقيين ذوي الأثر، الذين استشهدنا بهم في سياق الدراسة ولم يشتمل الملحق (7) على تراجمهم، وتجدها في الصفحات التي وردت أسماؤهم فيها.

1883	الأمدي، طاهر	٣	
1916 - 1878	الإنكليزي، عبد الوهاب	1887 - 1821	ابن حمزة، محمود حمزة الحسيني <sup>(1)</sup>
1932 -	الأيوبي، توفيق	1889 - 1823	ابن عابدين، أحمد
1834 - 1767	الأيوبي، محمد	1925 - 1853	ابن عابدين، محمد أبو الخير
	"ب"		
1966 - 1885	البارودي، فخري	1836 - 1783	ابن عابدين، محمد أمين
1933 - 1876	الباني، محمد سعيد	1888 - 1828	ابن عابدين، محمد علاء الدين
1928 - 1851	البخاري، سليم	1922 - 1850	أبو الشامات، محمود
1849 -	البرهاني، مصطفى	1885 - 1856	أسحق، أديب
بعد 1889	بريك، ميخائيل	1821	الأسطواني، حسن
1955 - 1887	اليزم، محمد	1814 -	الأسطواني، سعيد
1871 -	بولاد، أنطون	1896 - 1833	الأسطواني، عبد القادر
1892 - 1848	البيطار، بهاء الدين	1864 - 1805	الإسلامبولي، أحمد
1855 - 1791	البيطار، حسن	1903 - 1868	آل مرتضى، رضا <sup>(2)</sup>
1916 - 1837	البيطار، عبد الرزاق	1902 - 1832	الالشي، زاهد العمري
1976 - 1894	البيطار، محمد بهجة		
	"ت"		
1809 - 1738	تاجي، هبة الله		
1877	التغليبي، حسن		
1945 - 1895	التقي، أديب		
1865 -	تللو، محمد		

(1) انظر: حمزه، محمود.

(2) انظر: مرتضى، رضا آل.

1968 - 1888	الحفار، لطفي	1966 - 1889	التنوخى، عز الدين
1916 -	الحكيم، محمد	ج	
1867 - 1806	الحلاق، قاسم <sup>(3)</sup>	1898 -	جبري، شفيق
1926 - 1887	الحلبي، توفيق	الحياة	
1889 - 1813	الحلواني، أحمد	1875 -	الجزائري، أحمد
1862 -	الحمزاوي، عبد القادر	الزروق	
1889 -	حمزة، أسعد نسيب	1916 - 1879	الجزائري، سليم
1916 -	حمزة، طاهر	1920 - 1852	الجزائري، طاهر
1849 - 1786	حمزة، محمد نسيب	1904 - 1860	الجزائري، عبد العزيز
1887 - 1821	حمزة، محمود <sup>(4)</sup>	الإدرسي	
1921 - 1824	الحمصى، أسعد	1882 -	الجزائري، محمد سعيد
1940 - 1890	الحنفي، سليم	1913 - 1840	الجزائري، محمد عبد
1866 - 1791	الحنفي، محمد أحمد <sup>(5)</sup>	القادر	
1906 -	الحنفي، محمد أمين <sup>(6)</sup>	الجزائري، محمد	
	خ	المبارك	
1900 - 1847	الحانني، عبد المجيد	ح	
1931 -	الحانني، محيي الدين	1935 - 1851	الحسني، محمد بدر الدين
1826 - 1765	الحنشة، خليل	بعد 1897	الحسيبي، أبو السعود <sup>(1)</sup>
1897 - 1834	الخطيب، أبو الفتح	1876 - 1791	الحسيبي، أحمد
1913 - 1828	الخطيب، أبو الفرج	1826 - 1742	الحسيبي، علي
1911 -	الخطيب، جمال	1886 - 1812	الحسيني، أحمد
	الدين	1862 - 1819	الحسيني، عبد القادر
1871 - 1806	الخطيب، عبد القادر	1887 - 1821	الحسيني، محمود
1906 - 1837	الخطيب، محمد أبو	حمزة <sup>(2)</sup>	
	النصر	1871 -	الحصني، راغب آل تقي
1915 - 1850	خلقي، مصطفى <sup>(7)</sup>	الدين	
		الحصني، محمد أديب آل	
		تقي الدين	
		1940 - 1874	الحصني، محمد أديب آل
		تقي الدين	
		1899 -	الحصني، سليم بهجت

(3) انظر: القاسمي، قاسم الحلاق.

(4) ورد ولادته 1820 والأصح كما ورد هنا.

(5) انظر: الكنجي، محمد أحمد.

(6) يعرف أحياناً بالكنجي.

(7) في بعض المراجع ولادته في سنة 1851 ووفاته في سنة

1916، والأصح كما ورد هنا.

(1) ورد بعد سنة 1867 والأصح كما ورد هنا.

(2) انظر: حمزه، محمود.

1940 - 1882	الشهبندر، عبد الرحمن	1822 -	الخلوتي، محمد الجملة
1871 -	الشيخ قسطلبي، عبد الغني	"د"	
	"ص"	1927 - 1877	الداوودي، محمد
1928 - 1855	الصاحب، أسعد	1895 -	ديانه، ميشيل
1941 - 1847	صالحاني، أنطون	1839 -	الدرويش، إبراهيم
بعد 1860 -	الصباغ، شحادة	1831 - 1785	الدسوقي، صالح
1899 - 1814	الصولة، سليمان	1927 - 1844	دهمان، أحمد
1893 -	صيدح، جورج	"ز"	
الحياة	"ط"	-	الرحبي، شرف الدين
1911 - 1880	الطباع، أبو الخير	1805 - 1718	الرومي، خليل
1839 - 1801	الطبيبي، علي	"ز"	
1900 - 1830	الطبيبي، محمد	1868 -	زكية، أحمد
	"خ"	1954 - 1871	الزيات، حبيب
	عابدين أحمد، محمد، محمد أمين <sup>(1)</sup>	"س"	
1873 - 1809	العاني، محيي الدين	1849 - 1795	السادات، عبد الغني
1833 -	العجلاني، سعيد	1918 - 1848	سركيس، أوسطاكيوس
1936 - 1756	العجلوني، أحمد	1932 - 1856	سركيس، يوسف
1965 - 1888	عجمي، ماري	1893 - 1818	السفرجلاني، أحمد
1912 -	عربي كاتبي، محمد	1911 - 1812	السكري، عبد الله
	عز الدين	1914 -	سنان، رشيد
1916 - 1868	العسلي، شكري	1885 -	السوقية، محمد آغا
1996 - 1816	العطار، إبراهيم	"ش"	
1845 - 1772	العطار، حامد	1905 -	شبيب، أمين
1890 - 1826	العطار، عمر	1898 - 1835	الشطبي، أحمد
1828 - 1764	العطار، محمد	1858 - 1790	الشطبي، حسن
1933 - 1873	العظم، جميل	1878 - 1840	الشطبي، عبد السلام
1955 - 1864	العظم، حقي	1959 - 1883	الشطبي، محمد جميل
		1890 - 1883	الشطبي، محمد حسن
		1890 - 1872	الشطبي، مراد
		1914 - 1844	الشمعة، أحمد
		1916 - 1865	الشمعة، رشدي
		1804 - 1744	الشمعة، علي

(1) انظر: ابن عابدين.

1867 - 1806	القاسمي، قاسم الحلاق	1926 - 1870	العظم، خليل
1914 - 1866	القاسمي، محمد جمال الدين	1925 - 1865	العظم، رفيق
1900 - 1842	القاسمي، محمد سعيد	1916 - 1861	العظم، شفيق المؤيد
1902 - 1833	القباني، أحمد أبو خليل	1919 - 1848	العظم، عبد القادر المؤيد
1926 - 1850	القدسي، الياس عبده	1934 - 1880	العظم، فوزي
1824 -	الفزاز، صالح	1875 - 1836	العظم، محمود
1917 - 1870	القساطلي، سلمى	1921 -	العظم، مختار المؤيد
1920 - 1856	القساطلي، نعمان <sup>(2)</sup>	1801 - 1748	العمرى، حسين
1954 - 1873	القصاب، محمد كامل	1807 - 1744	العمرى، محمد شاكر
1890 - 1823	قصاب حسن، أنيس	1758	العمرى، محمد
1929 - 1868	القصار، عبد الرحمن "ك"	-	أوائل القرن 19
1912 -	كاتبي، محمد عز الدين عربي <sup>(3)</sup>	1890 - 1863	عنحوري، حنا
-	الكامل، صلاح الدين	1933 - 1856	عنحوري، سليم
1953 - 1876	كرد علي، محمد	1845 -	عنحوري، يوحنا
1852 -	الكردي، أبو بكر	1914 - 1836	عودة، حسين
1846 - 1771	الكريري، عبد الرحمن	"غ"	-
1806 - 1727	الكريري، محمد	-	غازي، رشيد
1907 - 1841	كساب، سليم الياس	1801 - 1761	الغزي، عبد الغني
1866 - 1791	الكنجي، محمد أحمد	1861 - 1786	الغزي، عمر
1906 -	الكنجي، محمد أمين <sup>(4)</sup>	1929 - 1891	الغزي، فوزي
1828 - 1760	الكيلاي، محمد	"ف"	-
. 1759	الكيواني، أحمد	1871 -	فضلي، عبد الغني <sup>(1)</sup>
		"ق"	-
		1838 -	القاري، رسلان
		1916 - 1887	القاسمي، صلاح الدين

(2) وردت ولادته في سنة 1854، والأصح كما ورد هنا.

(3) انظر: عربي كاتبي محمد عز الدين.

(4) انظر: الحنفي محمد أمين.

(1) انظر: الشيخ فضلي، عبد الغني.

1911 - 1844	مرقس، جرجي	"ن"	
1912 - 1853	معقد، جرمانوس	1900 -	اللبايدي، أحمد
1903 -	المنير، محمد صالح	1913 -	اللحام، حسن
1923 - 1848	المنير، محمد عارف	1808 - 1748	اللوجي، عبد الحليم
1840 - 1762	المنيني، محمد أحمد	1802 -	اللوجي، مصطفى
1904 - 1841	الموقع، محمود	"م"	
1880 - 1807	الميداني، عبد الغني	1880 - 1813	المالكي، عمر
	"ن"	1945 - 1887	المبارك، عبد القادر
1918 -	نظمي، أديب	1851 -	المخلع، جبرائيل
	"ي"	1850 - 1785	المرادي، حسين
1806 -	الياني، أحمد	1928 - 1888	المرادي، حكمة
1894 - 1824	الياني، سعد الدين	1814 - 1749	المرادي، علي
1834 -	الياني، صالح	1903 - 1868	مرتضى، رضا آل <sup>(1)</sup>
1886 - 1803	الياني، محيي الدين	1959 - 1895	مردم بك، خليل
		- 1879	مرشاق، أمين

(1) أثرتنا عدم اعتبار لقب الآل جزءاً من الشهرة  
لندرة اتصالها باسم الأديب.



## المصادر والمراجع العربية المطبوعة

١١

- |        |   |                             |
|--------|---|-----------------------------|
| 1858   | مصباح الساري ونزعة القاري (الجزء الأول)   | إبراهيم أفندي               |
| 1886   | تراجم بعض أعيان دمشق من علمائها وأدبائها  | ابن شوشو، عبد الرحمن        |
| 1961   | جمال الدين الأفغاني   | أبورية، محمود               |
| 1964   | مسرح عربي قديم  | أبو شنب، عادل               |
| 1929   | إبراهيم باشا في سورية   | أبو عز الدين، سليمان        |
| 1916   | ثورة العرب: مقدماتها، أسبابها، نتائجها  | أحد أعضاء الجمعيات العربية  |
| 1905   | الدرر (أربعة أجزاء في مجلدين)   | اسحق، أديب                  |
| 1961   | السياسة الدولية في الشرق العربي (الجزء الثالث)  | إسماعيل، عادل. (وأميل خوري) |
| 1972   | تطور الصحافة السورية في العهد العثماني. أطروحة دبلوم دراسات عليا في الآداب أعدت بمعهد الآداب الشرقية بإشراف د. جبور عبد النور | الياس، جوزيف                |
| 1965   | زعماء الإصلاح في العصر الحديث   | أمين، أحمد                  |
| 1951   |   | "ب"                         |
| 1952   | مذكرات البارودي (جزءان)   | البارودي، فخري              |
| (1972) | جوهر القضية العربية   | الياس، د. فاروق             |
| 1960   | منادمة الأطلال ومسامرة الخيال   | بلران، عبد القادر           |
| 1972   | عبد الرحمن الكواكبي   | برج، د. محمد عبد الرحمن     |
| 1956   | اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية  | برصوم، أغناطيوس             |
| 1965   | القومية العربية في القرن التاسع عشر   | برو، د. توفيق               |
| 1968   | تاريخ الشعوب الإسلامية (الطبعة الخامسة)   | بروكلمان، كارل              |

1971	دمشق	المسرح السوري منذ أبي خليل القباني إلى اليوم	بن ذريل ، عدنان
1974	دمشق	الدول الإسلامية (جزءان)	بول ، ستانلي لين
1963	دمشق	حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (ثلاثة أجزاء)	البيطار ، عبد الرزاق
1931	صيدا	أوليت سلاطين تركيا المدنية والاجتماعية والسياسية	بيهم ، محمد جميل
"ت"			
1960	حلب	صفحات من تاريخ الأمة الأرمنية	الترك ، عثمان
1972	دمشق	وثائق التدخل الأجنبي في الوطن العربي (الجزء الأول)	التونسي ، موسى كاظم
"ج"			
1932	حمّاه	التبيين في الرد على المبشرين	الجابي ، محمد سعيد
1967	بيروت	النكر العربي في مائة سنة	الجامعة الأمريكية
1960	بيروت	مع القومية العربية (الطبعة الرابعة) أبو خليل القباني ، رائد المسرح السوري "دبلوم دراسات عليا أعدت في الجامعة اللبنانية بإشراف د. جبور عبد النور"	الجبوري ، حامد (والحكم دروزة)
1972	بيروت	- أعلام الأدب والفن (جزءان)	جندي ، أدهم آل
1960	دمشق	- شهداء الحرب العالمية الكبرى	الجندي ، أنور
1969	القاهرة	أضواء على الأدب العربي المعاصر	
"ح"			
1952	دمشق	العقلية العربية بين الحربين	حاج بكري ، علي
(؟)	دمشق	في الموسيقى السورية	حداد ، حسني
1931	سان باولو	البلاغ المبين في أصل حركة الستين وجرائم المبشرين والمستعمرين	الحداد ، جرجي
؟	؟	صراع العرب خلال العصور	حسن ، محمد عبد الغني
1962	القاهرة	الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (الجزء الأول)	حسين ، محمد محمد
1956	بيروت	البلاد العربية والدول العثمانية محاضرات في نشوء الفكرة القومية	الحصري ، ساطع

(الطبعة الثالثة)

- 1927 الحصري، محمد تقي الدين  
دمشق متخبات التواريخ لدمشق (ثلاثة أجزاء)  
1961 الحكيم، يوسف  
بيروت سورية والعهد العثماني  
1969 الحمصي، قسطاكي  
حلب أدباء حلب ذوو الأثر في القرن التاسع عشر  
1968 حوراني، ألبرت  
بيروت الفكر العربي في عصر النهضة (1798 - 1939)

"خ"

- 1908 الخالدي، محمد روهي بك  
مصر أسباب الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة  
1970 الخالدي، د. مصطفى. (والدكتور  
بيروت التبشير والاستعمار في البلاد العربية  
عمر فروخ)  
1959 الخربوطلي، د. علي  
القاهرة المجتمع العربي  
1973 خضور، أديب  
دمشق الصحافة السورية، نشأتها، تطورها، واقعها الراهن  
1959 الخطيب، محب الدين  
مصر الدكتور صلاح الدين القاسمي آثاره (أو: صفحات من تاريخ النهضة العربية في أوائل القرن العشرين)  
1971 الخفيف، محمود  
القاهرة أحمد عرابي الزعيم المقترى عليه (الجزء الثاني)

"د"

- 1973 دار المشرق  
بيروت المنجد في اللغة والإعلام (الطبعة 21)  
1961 الدقاق، عمر  
القاهرة - الانجاء القومي في الشعر المعاصر  
1971 الدقاق، د. عمر  
حلب - فنون الأدب المعاصر في سورية  
1912 الدمشقي، ميخائيل  
بيروت تاريخ حوادث جرت بالشام وسواحل بر الشام والجبيل (أو: تاريخ حوادث الشام ولبنان 1782 - 1841)  
1960 الدوري، د. عبد العزيز  
بيروت الجذور والتاريخية للقومية العربية  
1913 دي طرازي، فيليب  
1933 بيروت تاريخ الصحافة العربية (أربعة أجزاء)

		ز	
1968	دمشق	— بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت 1516 - 1798 (الطبعة الثانية)	وافق، د. عبد الكريم
1974	دمشق	— العرب والعثمانيون 1516 — 1916	
؟	؟	المخطوطات الملكية المصرية بيان بوثائق الشام	رستم، د. أسد
1967	القاهرة	تاريخ الصحافة السورية (الجزء الأول)	الرفاعي، د. شمس الدين
1929 1930	بيروت	مجموعة القوانين (سنة أجزاء)	رمضان، عارف أفندي
		ز	
1969	بيروت	الإعلام، قاموس تراجع لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين (أحد عشر جزءاً - الطبعة الثالثة)	الزركلي، خير الدين
1940	بيروت	الوعي القومي (الطبعة الثانية)	زريق، قسطنطين
1903	القاهرة	خزائن الكتب في دمشق وضواحيها	الزيات، حبيب
1967	بيروت	— تاريخ آداب اللغة العربية (المجلد الثاني - الجزء 4)	زيدان، جرجي
1970	بيروت	— تراجع مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر (الجزء الثاني)	
		س	
1965	القاهرة	الشيخ ناصيف اليازجي	سابا، عيسى ميخائيل
1967	دمشق	أضواء على الرأسمال الأجنبي في سورية 1850 - 1958	السباعي، د. بدر الدين
1928	مصر	معجم المطبوعات العربية والمعربة (اثنا عشر جزءاً في ثلاثة مجلدات)	سركيس، يوسف اليان
؟	بيروت	أسرار الثورة العربية الكبرى مأساة الشريف حسين (الطبعة الثانية)	سعيد، أمين
1936	بيروت	دمشق الشام	سوفاجية، جان

"ش"

- 1970 شرايبي، هشام  
الثقافون العرب والغرب بيروت
- 1963 الشرباصي، أحمد  
شكيب أرسلان، داعية العمروية القاهرة  
والإسلام
- 1964 شريف، د. محمد بديع (ورفاقه)  
دراسات تاريخية في النهضة العربية القاهرة  
الحديثة
- 1946 الشطي، محمد جميل  
— روض البشر في أعيان دمشق في دمشق  
القرن الثالث عشر
- 1972 — أعيان دمشق في القرن الثالث عشر دمشق  
ونصف القرن الرابع عشر (طبعة ثانية  
منتحة)
- 1900 الشهابي، حيدر أحمد  
تاريخ الأمير حيدر آل الشهابي (الجزء مصر  
الثالث)
- 1958 الشيال، د. جمال الدين  
رفاعة رافع الطهطاوي القاهرة
- 1972 شيخ أمين، د. بكري  
مطالعات في الشعر المملوكي بيروت  
والعثماني

"ص"

- 1965 صابات، د. خليل  
تاريخ الطباعة في الشرق العربي القاهرة  
(الطبعة الثانية)
- 1958 صليبا، د. جميل  
— الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام القاهرة  
وأثرها في الأدب الحديث
- 1969 — اتجاهات النقد الحديث في سورية القاهرة

"ط"

- 1970 طربين، د. أحمد  
— التأريخ والمؤرخون في العصر دمشق  
الحديث
- 1970 — الوحدة العربية في تاريخ المشرق دمشق  
العناصر
- 1958 طلّس، محمد أسعد  
محاضرات عن الشيخ عبد القادر القاهرة  
المغربي

"ع"

- 1966 عبود، مارون  
بيروت رواد النهضة الحديثة
- 1964 العدوي، د. إبراهيم أحمد  
مصر رشيد رضا، الإمام المجاهد

1969	دمشق	سُر انحلال الأمة العربية ووهن المسلمين (الطبعة الثانية)	العربي، محمد سعيد
1925	مصر	مجموعة آثار رفيق بك العظم	العظم، عثمان
1969	القاهرة	محمد عبده	العقاد، عباس محمود
؟	؟	ثورة وفتنة في لبنان 1841 - 1914	العقيقي، أنطون ضاهر
1972	بيروت	الإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرزاق، دراسة ووثائق	عمارة، محمد
1969	القاهرة	الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1864 - 1914	عوض، عبد العزيز محمد
1966	القاهرة	المؤتمرات الأجنبية في الأدب العربي الحديث	عوض، لويس
			"غ"
؟	القاهرة	الشرق والغرب من الحروب الصليبية إلى حرب السويس	الغيتيت، محمد علي
1960	دمشق	مقدمة في تاريخ العرب الحديث (الجزء الأول)	غرايه، عبد الكريم
1965	القاهرة	الموسوعة العربية الميسرة	غريال، محمد شفيق (ورفاقه)
			"ف"
1912	القاهرة	تاريخ الدولة العلية العثمانية (الطبعة الثالثة)	فريد، محمد
			"ق"
1960	لاهاي	قاموس الصناعات الشامية (الجزء الثاني)	القاسمي، جمال الدين
1965	دمشق	- جمال الدين القاسمي	القاسمي، ظافر
1964	بيروت	- مكتبعتبر	
1960	لاهاي	قاموس الصناعات الشامية (الجزء الأول)	القاسمي، محمد سعيد
1965	دمشق	معالم وأعلام في بلاد العرب (القسم الأول - الجزء الأول)	قدامة، أحمد
1879	بيروت	الروضة الغناء في دمشق الفيحاء	قساطلي، نعمان
1947	بيروت	مدحت باشا، أبو الدستور العثماني وخالف السلاطين	قلعجي، قدرى

"ك"

- 1957 دمشق معجم المؤلفين (14 جزءاً) كحالة، عمر رضا  
 1944 القاهرة - دمشق، مدينة السحر كرد علي، محمد  
 1970 بيروت - خطط الشام "الجزءان 3، 4" الكواكبي، عبد الرحمن  
 1950 دمشق - كنوز الأجداد  
 1959 حلب - أم القرى  
 1931 مصر - طبائع الاستبداد ومضارح الاستعباد  
 1968 مصر الأدب العربي المعاصر في سورية الكيالي، سامي  
 1850 - 1950 (الطبعة الثانية)  
 1973 دمشق شخصيات الكيلاني، د. إبراهيم  
 "ل"  
 1971 موسكو تاريخ الأقطار العربية الحديث لوتسكي، ف.ل.  
 "م"  
 1895 مصر حسر اللثام عن نكبات الشام مجهول  
 1963 بغداد مذكرات جمال باشا السفاح محمود، عبد المجيد  
 1971 بيروت أعيان القرن الثالث عشر في الفكر مردم بك، خليل  
 والسياسة والاجتماع  
 1960 دمشق ديران خليل مردم بك دراسة مردم بك، عدنان  
 1958 القاهرة القصة في سورية حتى الحرب العالمية مصطفى، شاكر  
 الثانية  
 1966 دمشق ماري عجمي: مجموعة كلمات في مطابع ألف باء  
 حفل تأبينها سنة 1966 بدمشق  
 1967 بيروت - الاتجاهات الأدبية في العالم العربي المقدسي، أنيس الخوري  
 الحديث (الطبعة الرابعة)  
 1965 بيروت - تطور الأساليب الشعرية في الأدب العربي (الطبعة الثالثة)  
 1939 دمشق عصر السلطان عبد الحميد وأثره في المكتبة الهاشمية  
 الأقطار العربية  
 1968 بيروت - مدينة دمشق عند الجغرافيين المنجد، د. صلاح الدين  
 والرحالين المسلمين  
 1964 بيروت - المؤرخون الدمشقيون في العهد العثماني وأثارهم المخطوطة

1949	؟	- ولادة دمشق في العهد العثماني	
1973	بيروت	الفكر العربي في العصر الحديث	موسى، د. منير مشابك
1967	لبنان	أدب الدول المتابعة	مويبي باشا، د. عمر "ن"
1976	بيروت	المسرحية في الأدب العربي الحديث (الطبعة الثانية)	نجم، د. محمد يوسف
1926	بيروت	أسباب النهضة العربية في القرن التاسع عشر	نصولي، أنيس زكريا "ه"
1974	موسكو	سورية الحديثة	هيئة التحرير المركزية للأدب الشرقية "ي"
1966	جونه القاهرة (1)	الصحائف السود الشرق الأدنى، مجتمعه وثقافته	يكن، ولي الدين يونغ، كويلر

(1) فضلاً عن ذلك، فقد اطلعنا على المجموعات المتوافرة من الصحف والمجلات الدمشقية في دار الكتب الظاهرية، ومكتبة جامعة دمشق المركزية في دمشق، إلى جانب المؤلفات والمخطوطات التي أشرنا إليها برمز (♦) في الملحقين الثامن والتاسع، وما ورد ذكره في هوامش كتابنا بشكل عرضي من مصادر ومراجع.



## SELECTED BIBLIOGRAPHY

- |                         |   |                |               |
|-------------------------|---|----------------|---------------|
| <b>Azoury, N. :</b>     | Lé veil de la nation arabe  | Paris          | 1905          |
| <b>Bowman, H. :</b>     | Middle East window  | London         | 1942          |
| <b>Bradley, A.M. :</b>  | How we Defended Arabi   | London         | 1884          |
| <b>Creasy, E. :</b>     | History of the Ottoman<br>Turks   | Rep. Beirut    | 1963          |
| <b>Fesch, P. :</b>      | Constantinople aux derniers<br>jours d'Abdul-Hamid  | Paris          | 1907          |
| <b>Ganem, H. :</b>      | Les Sultans Ottomans "2<br>vols"  | Paris          | 1901-2        |
| <b>Haddad, G. :</b>     | Fifty years of modern Syria<br>and Lebanon  | Beirut         | 1950          |
| <b>Haslip, J. :</b>     | Bilinmeyen taraflariyle<br>Abdül-hamit  | Ankara         | 1963          |
| <b>Hopwood, D. :</b>    | The Russian presence in<br>Syria and Palestine 1843-<br>1914                                    | London         | 1969          |
| <b>Hourani, A.H. :</b>  | Arabic Thought in the<br>Liberal age, 1798-1939   | London         | 1962          |
| <b>Huart, C. :</b>      | A History of Arabic<br>Literature   | Beirut         | 1966          |
| <b>Inal, M.K. :</b>     | Osmanh Devrinde son<br>Sadriazamanlar "14 pts"  | Istanbul       | 1940-<br>1953 |
| <b>Lammens, H. :</b>    | La Syria "2 vols."  | Beirut         | 1921          |
| <b>Mantran, R. :</b>    | Histoire de la Turquie  | France         | 1952          |
| <b>Midhat Pasha :</b>   | La Turquie, son passé, son<br>avenir,   | Paris          | 1878          |
| <b>Pearson, J.D :</b>   | Index Islamicus, 1906-1955  | Cambridge      | 1958          |
| <b>Salibi, K.D. :</b>   | The 1860 upheaval in<br>Damascus,   | Chicago        | 1968          |
| <b>Svoronos, M.N. :</b> | Les Correspondance des<br>Consuls de France comme<br>source de l'histoire du<br>Proche-Orients. | Paris          | 1949          |
| <b>Tibawi, A. :</b>     | American interests in Syria<br>1800-1901  | Oxf.<br>London | 1966          |
| <b>Wiet, G. :</b>       | Chronique d'Egypte 1798-<br>1804  | Le Caire       | 1950          |
| <b>Wittek, P. :</b>     | The Rise of the Ottoman<br>Empire   | London         | 1938          |

## للمؤلف:

- |             |                        |   |
|-------------|------------------------|---|
| 1952        | قصص قصيرة              | 1- حب في كنيسة                            |
| 1953        | قصص قصيرة              | 2- وفي ليلة قمراء                         |
| 1954        | قصص قصيرة              | 3- العامل المجهول                         |
| 1955        | قصص قصيرة              | 4- أنصاف مخلوقات                          |
| 1958        | قصص قصيرة              | 5- نافذة على الحياة                       |
| 1960        | مسرحية                 | 6- إسكندورنة                              |
| 1961        | قصص قصيرة              | 7- رأس سمكة                               |
| 1963        | قصص قصيرة              | 8- التفق والأرقام                         |
| 1964        | قصص قصيرة              | 9- من ملفات القضاء                        |
| 1969        | أفكار                  | 10- أوراق من الحياة                       |
| 1970        |                        | 11- الاختزال العربي                       |
| 1971        | قصص قصيرة              | 12- الوليمة                               |
| 1971        | قصة طويلة              | 13- سر في المقهى                          |
| 1971        | قصة طويلة              | 14- سر العلبة المميتة                     |
| 1973        | تركي - عربي            | 15- المعجم الفضي                          |
| 1976        |                        | 16- المدخل إلى اللغتين التركية والعثمانية |
| 1976        | دراسة رسالة<br>دكتوراه | 17- الحركة الأدبية في دمشق (1800 - 1918)  |
| 1985 / 77   | قصص للأطفال            | 18- المعجزة في قلب الصحراء                |
| 1987 / 86   | دراسة تحليلية          | 19- حافظ الأسد، قيم فكرية إنسانية - ج 1   |
| 1989        | دراسة تحليلية          | 20- حافظ الأسد، قيم فكرية إنسانية - ج 2   |
| 1991 / 1990 | دراسة تحليلية          | 21- حافظ الأسد، قيم فكرية إنسانية - ج 3   |
| 1992        | دراسة تحليلية          | 22- شعب وقائد                             |

2. حافظ الأسد، قيم فكرية إنسانية . ج4  
 24. حافظ الأسد، قيم فكرية إنسانية . مجلد  
 25. حافظ الأسد: معجم في الفكر السياسي  
 26. عودة شاهين  
 27. تأملات..  
 28. محاضرات ثقافية [1976 . 2000]  
 29. محاضرات سياسية [1978 . 2004]  
 30. محاضرات اجتماعية [1990 . 2005]  
 31. محاضرات دينية [1970 . 2004]  
 32. أحاديث مع الذات [1966 . 2004]  
 33. عازف الناي - قروية من شولم  
 34. المفكرة الشامية لسورية 1516 . 1977  
 35. الأرض باقية  
 36. الوحل  
 37. من حكايات ليلة 29 أيار  
 38. ضياع في غابة  
 39. غريب أنا في بيتي  
 40. رحلة جسد  
 41. المدينة مدينتي  
 42. قصص منسية  
 43. أوراق الخريف - الأسير
- 1993 دراسة تحليلية  
 1994 دراسة تحليلية  
 1999 / 1997 قصص قصيرة  
 2005 قراءات فكرية  
 2005 قراءات ثقافية  
 2005 قراءات سياسية  
 2005 قراءات اجتماعية  
 2005 قراءات دينية  
 2005 لقاءات إعلامية  
 2006 مسرحيتان  
 2006 مفكرة تاريخية  
 2006 قصص قصيرة  
 2007 . 2006 رواية  
 2007 رواية  
 2007 رواية  
 2007 رواية  
 2007 رواية  
 2007 رواية  
 2008 قصص قصيرة  
 2008 مسرحيتان

\*\*\*

## الفهرس

5	الإهداء
7	على عتبة الدراسة
11	المقدمة
15	الفصل الأول: خلفيات الحركة الأدبية
16	السلطان سليم الثالث
18	السلطان مصطفى الرابع
19	السلطان محمود الثاني
22	السلطان عبد المجيد
26	السلطان عبد العزيز
28	السلطان مراد الخامس
28	السلطان عبد الحميد
31	السلطان محمد رشاد الخامس
41	الفصل الثاني: منابع الثقافة
42	التعليم
51	الطباعة
56	خزائن الكتب
61	الصحافة
69	الجمعيات الأدبية
72	التمثيل
82	خلاصة
83	الفصل الثالث: الاتجاهات الأدبية
84	الاتجاه المبكوري
90	1 - العثمانية، ضرورة إسلامية
92	2 - الوحدة الإسلامية، والعصبية الدينية
94	الاتجاه الانتقائي
97	1 - المسلمات العثمانية وثقافة الغرب
100	2 - المطالبة بالإصلاحات الشاملة
101	3 - الإصلاح الديني
103	الاتجاه المستقبلي
106	1 - اللامركزية

108	2 - الدولة العربية المستقلة.....
110	خلاصة الفصل الثالث.....
113	الفصل الرابع: الفنون والموضوعات الأدبية الموضوعات التقليدية.....
115	في الفنون التقليدية.....
116	1 - الدينيات.....
122	2 - الأدب الاجتماعي.....
132	3 - الأدب الوجداني التألمي.....
140	4 - الأدب التمجيلي.....
155	الفصل الخامس: الفنون والموضوعات الأدبية الموضوعات الجديدة.....
156	المقالة الصحفية.....
165	أدب القصة.....
174	أدب التمثيلية.....
181	خلاصة الفصل الخامس.....
183	خلاصة عامة.....

#### الملاحق

185	ملحق (1): سلاطين آل عثمان 1789 - 1918 .....
186	ملحق (2): ولاية دمشق 1799 - 1918.....
190	ملحق (3): مدارس دمشق في القرن التاسع عشر (1800 - 1918).....
194	ملحق (4): أسماء الصحف والمجلات ومؤسسيها في دمشق (1865-1916).....
197	ملحق (5): الصحف والمجلات التي أسسها الدمشقيون خارج مدينتهم.....
198	ملحق (6): الجمعيات العربية.....
203	ملحق (7): الآثار المطبوعة والمخطوطة لأدباء دمشق وأهم مصادر دراستهم ...
278	ملحق رقم (8): المؤلفات المطبوعة في دمشق (1856 - 1915).....
289	ملحق (9): المؤلفات المخطوطة للأدباء الدمشقيين.....
292	ملحق (10): أدباء دمشق بحسب سني الميلاد (1718 - 1898).....
295	ملحق (11): أدباء دمشق بحسب سني الوفاة (1801 - 1976).....
299	ملحق (12): أهم الأحداث في تاريخ الدولة العثمانية (1798 - 1918).....
308	ملحق (13): كلمات ومصطلحات متداولة في العهد العثماني.....
322	ملحق (14): فهرس أدباء دمشق.....
327	المصادر والمراجع العربية المطبوعة.....
335	SELECTED BIBLIOGRAPHY.....
336	للمؤلف.....



الحركة الأدبية في دمشق ١٨٠٠-١٩١٨ / اسكنر لوقا  
دمشق : اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٨ - ٢٣٩ ص، ٢٥ سم .

طبعة خاصة بمناسبة إعلان دمشق عاصمة للثقافة العربية

١ - ٨١٠,٩ لوق ح ٢-٨١٠,٩٩٥٦١ لوق ح ٢ - العنوان  
٤- لوقا ٥- السلسلة  
ع- ٢٠٠٨/٨/١١٧

مكتبة الأسد







الاتحاد التأسيسي العربي  
Union des Circonscriptions Arabes  
Damas دمشق

